

سلسلة تفسير القرآن

١٧

أبو القاسم الزمخشري

الكشاف عن حقائق غولمض

التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل

الجزء التاسع عشر

دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع

2024

الناشر: شركة كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع
العنوان: إقامة الزيتونة - III/2 - المنار 2 - تونس - الجمهورية التونسية
الهاتف: +216 71886914
الفاكس: +216 71886872
العنوان الإلكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرف الناشر: 9938-02
عدد الطبعة: الأولى
ت د م ك: 6-070-02-9938-978

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع

أبو القاسم الزجاجي

الكشاف عن حقائق غولمض

التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل

الجزء التاسع عشر

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ،

[الآيَةُ 48 فَمَدِّيَّةٌ]

وَآيَاتُهَا خَمْسُونَ

[نَزَلَتْ بَعْدَ الْهُمَزَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُزْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا فَالْمَلْقِيَاتِ
ذِكْرًا عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾¹

أَفَسَمَ - سُبْحَانَهُ - بِطَوَائِفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَرْسَلَهُنَّ بِأَمْرِهِ فَعَصَفْنَ فِي مُضِيِّهِنَّ كَمَا
تَعَصِفُ الرِّيَّاحُ، تَحْفُفًا فِي امْتِنَالِ أَمْرِهِ، وَبَطَوَائِفَ مِنْهُنَّ نَشْرَنَ أَجْنِحَتَهُنَّ فِي الْجَوِّ عِنْدَ
انْحِطَاطِهِنَّ بِالْوَحْيِ. أَوْ نَشْرَنَ الشَّرَائِعَ فِي الْأَرْضِ. أَوْ نَشْرَنَ النُّفُوسَ الْمَوْتَى بِالْكَفْرِ وَالْجَهْلِ
بِمَا أَوْحَيْنَ، فَفَرَّقْنَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَالْقَيْنَ ذِكْرًا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿عُدْرًا﴾² لِلْمُحِقِّينَ ﴿أَوْ
نُذْرًا﴾³ لِلْمُبْطِلِينَ. أَوْ أَفَسَمَ بِرِيَّاحِ عَذَابٍ أَرْسَلَهُنَّ. فَعَصَفْنَ، وَبِرِيَّاحِ رَحْمَةٍ نَشْرَنَ السَّحَابَ
فِي الْجَوِّ فَفَرَّقْنَ بَيْنَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾⁴ [الرُّوم: 48]. أَوْ بِسَحَابٍ نَشْرَنَ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

الْمَوَاتِ، فَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يَشْكُرُ لِلَّهِ -تَعَالَى- وَيَبِينُ مَنْ يَكْفُرُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَأَسْفِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنُفْسِنَهُمْ فِيهِ﴾¹ [الجن: 16-177].

فَالْقَيْنِ ذِكْرًا إِمَّا غَدْرًا لِلَّذِينَ يَعْتَدُونَ إِلَى اللَّهِ بِتَوْبَتِهِمْ وَأَسْتَغْفَرِهِمْ إِذَا رَأَوْا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي الْعَيْثِ وَيَشْكُرُونَهَا، وَإِمَّا إِندَارًا لِلَّذِينَ يَغْفُلُونَ الشُّكْرَ لِلَّهِ وَيَنْسُبُونَ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْوَاءِ، وَجُعِلْنَ مُلْقِيَاتٍ لِلذِّكْرِ لِكُونِهِنَّ سَبَبًا فِي حُصُولِهِ إِذَا شَكَرَتِ النِّعْمَةَ فِيهِنَّ أَوْ كَفَرَتْ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى عُرْفًا؟

قُلْتُ: مُتَّابِعَةٌ كَشَعْرِ الْعُرْفِ يُقَالُ: جَاءُوا عُرْفًا وَاحِدًا، وَهُمْ عَلَيْهِ كَعُرْفِ الضَّبُعِ: إِذَا تَأَلَّبُوا عَلَيْهِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْعُرْفِ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النُّكْرِ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، أَي: أُرْسِلْنَ لِلإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ، وَالْأَوَّلُ عَلَى الْحَالِ. وَقُرِيءَ: عُرْفًا عَلَى التَّثْقِيلِ، نَحْوُ نُكْرٍ فِي نُكْرٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ فَسَّرْتَ الْمُرْسَلَاتُ بِمَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِرْسَالُهُمْ مَعْرُوفًا؟ قُلْتُ: إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا لِلْكَفَّارِ فَإِنَّهُ مَعْرُوفٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ انْتَقَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْعُدْرُ وَالنُّذْرُ، وَبِمَا انْتَصَبَا؟ قُلْتُ: هُمَا مَصْدَرَانِ مِنْ أَعْدَرَ إِذَا مَحَا الإِسَاءَةَ، وَمِنْ أَنْذَرَ إِذَا خَوَّفَ عَلَى فِعْلٍ، كَالْكَفْرِ وَالشُّكْرِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ عَذِيرٍ، بِمَعْنَى الْمَعْدِرَةِ، وَجَمْعَ نَذِيرٍ بِمَعْنَى الْإِنْدَارِ. أَوْ بِمَعْنَى الْعَاذِرِ وَالْمُنْدِرِ.

وَأَمَّا انْتِصَابُهُمَا، فَعَلَى الْبَدَلِ مِنْ "ذِكْرًا" عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ أَوْ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ. وَأَمَّا عَلَى الْوَجْهِ الثَّالِثِ، فَعَلَى الْحَالِ بِمَعْنَى عَاذِرِينَ أَوْ مُنْدِرِينَ. وَقُرِيءَ: مُحَفِّقِينَ وَمُثَقِّلِينَ.

¹ سورة ، الآية .

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ فَإِذَا الثُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ
نُسِفَتْ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتْ لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِلَّتْ لِيَوْمِ الْفُضْلِ وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ
وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾¹

إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَهُ مِنْ مَجِيءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَائِنٌ نَازِلٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَهُوَ جَوَابُ
الْقَسَمِ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ الْمَعْنَى: وَرَبِّ الْمُرْسَلَاتِ.
﴿طُمِسَتْ﴾²: مَحِيَتْ وَمُحَقَّتْ. وَقِيلَ: ذَهَبَ بِنُورِهَا وَمَحَقَّ ذَوَاتَهَا، مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ:
"انْتَشَرَتْ" و"انْكَدَرَتْ" وَيَجُوزُ أَنْ يُمَحَقَّ نُورُهَا ثُمَّ تَنْتَشِرُ مَمْحُوقَةَ النُّورِ.
﴿فُرِجَتْ﴾³: فَسِحَتْ فَكَانَتْ أَبْوَابًا. قَالَ الْفَارِجِيُّ: بَابُ الْأَمِيرِ إِلَيْهِمْ.
﴿نُسِفَتْ﴾⁴ كَالْحَبِّ إِذَا نُسِفَ بِالْمُنْسَفِ. نَحْوُهُ: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًا﴾⁵ [الْوَاقِعَةُ: 5]، ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾⁶ [الْمُرَّمِّلُ: 144].
وَقِيلَ: أُخِذَتْ بِسُرْعَةٍ مِنْ أَمَاكِنِهَا، مِنْ انْتَسَفَتْ الشَّيْءَ إِذَا اخْتَطَفْتَهُ.
وَقُرِئَتْ: "طُمِسَتْ" وَفُرِجَتْ وَنُسِفَتْ مُشَدَّدَةً.
قُرِيءَ: أُقِيتْ وَوُقِّتَتْ، بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ فِيهِمَا.
وَالْأَصْلُ: الْوَأْوُ. وَمَعْنَى تَوْقِيتِ الرُّسُلِ: تَبْيِينُ وَقْتِهَا الَّذِي يَحْضُرُونَ فِيهِ لِلشَّهَادَةِ عَلَى
أُمَّهِمْ.

وَالتَّأْجِيلُ: مِنَ الْأَجْلِ، كَالتَّوْقِيتِ: مِنَ الْوَقْتِ.
﴿لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِلَّتْ﴾⁷: تَعْظِيمٌ لِلْيَوْمِ، وَتَعْجِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِيَوْمِ الْفُضْلِ﴾⁸: بَيَانٌ
لِيَوْمِ التَّأْجِيلِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

وَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى وَقَّتَتْ: بَلَغَتْ مِيقَاتَهَا الَّذِي كَانَتْ تَنْتَظِرُهُ: وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَأُجِّلَتْ: أُحْرِثَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وَقَعَ التَّكْرَرُ مُبْتَدَأً فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾¹؟
قُلْتُ: هُوَ فِي أَصْلِهِ مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ سَادٌّ مَسَدٌّ فِعْلُهُ، وَلَكِنَّهُ عُدِلَ بِهِ إِلَى الرَّفْعِ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى ثَبَاتِ الْهَلَاكِ وَدَوَامِهِ لِلْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ. وَنَحْوُهُ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾² [الْأَنْعَامُ:
54]. وَيَجُوزُ: وَيَلَا، بِالنَّصْبِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقْرَأْ بِهِ. يُقَالُ: وَيَلَا لَهُ، وَيَلَا كَيْلًا.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولِينَ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾³

قَرَأَ قَتَادَةُ: "نُهْلِكِ" بَفَتْحِ التَّوْنِ، مِنْ هَلَكَهُ بِمَعْنَى أَهْلَكَهُ.
قَالَ الْحَجَّاجُ:

وَمَهْمَهُ هَالِكٌ مَنْ تَعَرَّجَا

﴿ثُمَّ نُنَبِّئُهُمْ﴾⁴ بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِسْتِنَافِ، وَهُوَ وَعِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ يُرِيدُ: ثُمَّ نَفْعَلُ
بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْآخِرِينَ مِثْلَ مَا فَعَلْنَا بِالْأُولِينَ، وَنَسَلُّكَ بِهِمْ سَبِيلَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا مِثْلَ
تَكْذِيبِهِمْ، وَيُقَوِّيَهَا قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ "ثُمَّ سُنِّعُهُمْ".

وَقُرِئَ بِالْجُزْمِ لِلْعَطْفِ عَلَى نُهْلِكِ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ أَهْلَكَ الْأُولِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُمُ الْآخِرِينَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ وَلُوطٍ وَمُوسَى.

﴿كَذَلِكَ﴾⁵: مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلِ الشَّيْعِ ﴿نَفْعَلُ﴾⁶ بِكُلِّ مَنْ أَجْرَمَ إِنْذَارًا وَتَحْذِيرًا مِنْ
عَاقِبَةِ الْجُرْمِ وَسُوءِ أَثَرِهِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

﴿الْم تَخْلُقُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
الْقَادِرُونَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾¹

﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾²: إِلَى مِقْدَارٍ مِنَ الْوَقْتِ مَعْلُومٍ قَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ وَحَكَمَ بِهِ: وَهُوَ
تِسْعَةُ الْأَشْهُرِ، أَوْ مَا دُونَهَا، أَوْ مَا فَوْقَهَا.
﴿فَقَدَرْنَا﴾³ فَقَدَرْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرًا.
﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾⁴: فَنِعْمَ الْمُقَدِّرُونَ لَهُ نَحْنُ. أَوْ فَقَدَرْنَا عَلَى ذَلِكَ، فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ
عَلَيْهِ نَحْنُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: "فَقَدَرْنَا" بِالتَّشْدِيدِ، وَلِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ نَطَقَهُ خَلَقَهُ
فَقَدَرَهُ﴾⁵ [عَبَسَ: 19].

﴿الْم نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً
فُرَاتًا وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾⁶

الْكِفَاتُ: مِنْ كَفَتَ الشَّيْءُ إِذَا ضَمَّهُ وَجَمَعَهُ، وَهُوَ اسْمٌ مَا يُكْفَتُ، كَقَوْلِهِمْ: الضَّمَامُ
وَالْجَمَاعُ لِمَا يُضَمُّ وَيُجْمَعُ، يُقَالُ: هَذَا الْبَابُ جَمَاعُ الْأَبْوَابِ، وَبِهِ انْتَصَبَ: ﴿أَحْيَاءً
وَأَمْوَاتًا﴾⁷، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَافِتَةٌ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا. أَوْ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ تَكْفِتُ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى: تَكْفَيْتُ أَحْيَاءَ عَلَى ظَهْرِهَا، وَأَمْوَاتًا فِي بَطْنِهَا. وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَلَى قَطْعِ النَّبَاشِ بِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- جَعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا لِلْأَمْوَاتِ، فَكَانَ بَطْنُهَا حِزْرًا لَهُمْ، فَالْتَبَّاشُ سَارِقٌ مِنَ الْحِزْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا عَلَى التَّنْكِيرِ، وَهِيَ كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: هُوَ مِنْ تَنْكِيرِ التَّفْخِيمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: تَكْفَيْتُ أَحْيَاءً لَا يُعْدُونَ وَأَمْوَاتًا لَا يُحْصَرُونَ، عَلَى أَنَّ أَحْيَاءَ الْإِنْسِ وَأَمْوَاتَهُمْ لَيْسُوا بِجَمِيعِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. وَيَحْزُرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: تَكْفَيْتُكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، فَيَنْتَصِبَا عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا كِفَاتُ الْإِنْسِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَالْتَّنْكِيرُ فِي ﴿رَوَاسِي شَامِخَاتٍ وَمَاءٍ فُرَاتًا﴾¹؟

قُلْتُ: يَحْتَمِلُ إِفَادَةَ التَّبْعِيضِ، لِأَنَّ فِي السَّمَاءِ جِبَالَ؛ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَيُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾² [التَّوْر: 433]. وَفِيهَا مَاءٌ فُرَاتٌ أَيْضًا، بَلْ هِيَ مَعْدِنُهُ وَمَصْبُهُ، وَأَنْ يَكُونَ لِلتَّفْخِيمِ.

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ الرِّقْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْدِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾³

أَيُّ: يُقَالُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا إِلَى مَا كَذَّبْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَانْطَلِقُوا الثَّانِي تَكْرِيْرًا. وَقُرِيءَ: "انْطَلِقُوا" عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي إِخْبَارًا بَعْدَ الْأَمْرِ عَنْ عَمَلِهِمْ بِمُوجِبِهِ، لِأَنَّهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ لَا

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

يَسْتَطِيعُونَ امْتِنَاعًا مِنْهُ ﴿إِلَى ظِلٍّ﴾¹، يَعْنِي دُخَانَ جَهَنَّمَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وِظَلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾² [الواقعة: 43].

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾³: يَتَشَعَّبُ لِعَظْمِهِ ثَلَاثَ شُعَبٍ، وَهَكَذَا الدُّخَانُ الْعَظِيمُ تَرَاهُ يَتَفَرَّقُ ذَوَائِبَ.

وَقِيلَ: يَخْرُجُ لِسَانٌ مِنَ النَّارِ فَيُحِيطُ بِالْكَفَّارِ كَالسَّرَادِقِ، وَيَتَشَعَّبُ مِنْ دُخَانِهَا ثَلَاثَ شُعَبٍ، فَتُظِلُّهُمْ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ.

﴿لَا ظَلِيلٍ﴾⁴: تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَتَعْرِيفٌ بِأَنَّ ظِلَّهُمْ غَيْرُ ظِلِّ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَا يُعْنِي﴾⁵ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ، أَي: وَغَيْرُ مُعْنٍ عَنْهُمْ مِنْ حَرِّ اللَّهَبِ شَيْئًا.

﴿بِشَرِّ﴾⁶، وَقُرِئَ: "كَالْقَصْرِ"، أَي: كُلُّ شَرِّةٍ كَالْقَصْرِ مِنَ الْقُصُورِ فِي عِظْمِهَا.

وَقِيلَ: هُوَ الْغَلِيظُ مِنَ الشَّجَرِ، الْوَاحِدَةُ قَصْرَةٌ، نَحْوُ: جَمْرَةٌ وَجَمْرٍ.

وَقُرِئَ كَالْقَصْرِ بِفَتْحَتَيْنِ: وَهِيَ أَعْنَاقُ الْإِبِلِ، أَوْ أَعْنَاقُ النَّخْلِ، نَحْوُ شَجَرَةٍ وَشَجَرٍ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَالْقَصْرِ بِمَعْنَى الْقُصُورِ، كَرَهْنٍ وَرُهْنٍ.

وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَالْقَصْرِ فِي جَمْعِ قَصْرَةٍ، كَحَاجَةِ وَحَوْجٍ.

﴿جَمَالَتْ﴾⁷ جَمْعُ جَمَالٍ. أَوْ جَمَالَةٌ جَمْعُ جَمَلٍ، شَبَّهَتْ بِالْقُصُورِ، ثُمَّ بِالْجَمَالِ

لِبَيَانِ التَّشْبِيهِ. أَلَا تَرَاهُمْ يُشَبِّهُونَ الْإِبِلَ بِالْأَفْدَانِ وَالْمَجَادِلِ.

وَقُرِئَ: جُمَالَاتٌ بِالضَّمِّ: وَهِيَ قُلُوسُ الْجُسُورِ.

وَقِيلَ: قُلُوسُ سُفُنِ الْبَحْرِ، الْوَاحِدَةُ جُمَالَةٌ.

وَقُرِئَ: جَمَالَةٌ بِالْكَسْرِ، بِمَعْنَى: جَمَالٍ وَجَمَالَةٍ بِالضَّمِّ: وَهِيَ الْقُلْسُ.

وَقِيلَ: ﴿صُفْرٌ﴾⁸ لِإِرَادَةِ الْجِنْسِ. وَقِيلَ: ﴿صُفْرٌ﴾⁹: سُودٌ تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

وَفِي شِعْرِ عَمْرَانَ بْنِ حِطَّانِ الْخَارِجِيِّ:
دَعْتُهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَرَمَتْهُمْ بِمِثْلِ الْجَمَالِ الصُّفْرِ نَزَاعَهُ الشَّوَى
وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ:

حَمْرَاءُ سَاطِعَةُ الدَّوَابِّ فِي الدُّجَى تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافٍ
فَشَبَّهَهَا بِالطَّرَافِ وَهُوَ بَيْتُ الْأَدَمِ فِي الْعِظَمِ وَالْحُمْرَةَ، وَكَأَنَّهُ قَصَدَ بِخَبِيثِهِ: أَنْ يَزِيدَ
عَلَى تَشْبِيهِ الْقُرْآنِ وَلِتَبْجُحَ بِمَا سُؤِلَ لَهُ مِنْ تَوْهَمِ الزِّيَادَةِ جَاءَ فِي صَدْرِ بَيْتِهِ بِقَوْلِهِ:
"حَمْرَاءُ" تَوَطُّتْ لَهَا وَمُنَادَاةً عَلَيْهَا، وَتَشْبِيهَا لِلْسَامِعِينَ عَلَى مَكَانِهَا، وَلَقَدْ عَمِيَ: جَمَعَ اللَّهُ لَهُ
عَمَى الدَّارَيْنِ عَنْ قَوْلِهِ -عَزَّ وَعَلَى-: ﴿كَأَنَّهُ جَمَالَتْ صُفْرًا﴾¹، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: كَبَيْتِ
أَحْمَرَ، وَعَلَى أَنَّ التَّشْبِيَةَ بِالْقَصْرِ، وَهُوَ الْحِصْنُ تَشْبِيهَا مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ الْعِظَمِ، وَمِنْ
جِهَةِ الطُّولِ فِي الْهَوَاءِ؛ وَفِي التَّشْبِيهِ بِالْجَمَالَاتِ، وَهِيَ الْقُلُوسُ: تَشْبِيَهُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ:
مِنْ جِهَةِ الْعِظَمِ وَالطُّولِ وَالصُّفْرَةَ، فَأَبْعَدَ اللَّهُ إِغْرَابَهُ فِي طِرَافِهِ، وَمَا نَفَخَ شِدْقِيهِ مِنْ
اسْتِطْرَافِهِ.

فَرَى بِنَصَبِ الْيَوْمِ وَنَصَبِهِ الْأَعْمَشُ، أَي: هَذَا الَّذِي قُصَّ عَلَيْكُمْ وَاقَعَ يَوْمِنِدٍ، وَيَوْمُ
الْقِيَامَةِ طَوِيلٌ ذُو مَوَاطِنَ وَمَوَاقِيتَ: يَنْطِقُونَ فِي وَقْتٍ وَلَا يَنْطِقُونَ فِي وَقْتٍ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ
الْأَمْرَانِ فِي الْقُرْآنِ. أَوْ جُعِلَ نَطْفُهُمْ كَلَا نَطْقِي، لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَسْمَعُ.
﴿فَيَعْتَدِرُونَ﴾² عَطْفٌ عَلَى ﴿يُؤْذَنُ﴾³ مُنْخَرِطٌ فِي سِلْكِ النَّفْيِ.
وَالْمَعْنَى: وَلَا يَكُونُ لَهُمْ إِذْنٌ وَاعْتِدَارٌ مُتَعَقِّبٌ لَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُجْعَلَ الْإِعْتِدَارُ مُسَبِّبًا
عَنِ الْإِذْنِ وَلَوْ نُصِبَ لَكَانَ مُسَبِّبًا عَنْهُ لَا مَحَالَةَ.

9 سورة ، الآية .

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ إِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُثُوبٍ وَفَوَاحِشٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾¹

﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ﴾²: كَلَامٌ مُّوَضَّحٌ لِقَوْلِهِ: ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾³، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ
يَوْمَ الْفَصْلِ بَيْنَ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَّهَاتِهِمْ. فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ الْأُولَىٰ
وَالْآخِرِينَ، حَتَّى يَقَعَ ذَلِكَ الْفَصْلُ بَيْنَهُمْ.

﴿إِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾⁴: تَفْرِيعٌ لَهُمْ عَلَى كَيْدِهِمْ لِدِينِ اللَّهِ وَذَوْبِهِ، وَتَسْجِيلِ
عَيْبِهِمْ بِالْعِزِّ وَالِاسْتِكَانَةِ.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾⁵ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَّقِينَ، فِي الظَّرْفِ الَّذِي هُوَ فِي
ظِلَالٍ، أَي: هُمْ مُسْتَقِرُّونَ فِي ظِلَالٍ، مَقُولًا لَهُمْ ذَلِكَ.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا
يَرْكَعُونَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾⁶

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾⁷ حَالٌ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، أَيِ الْوَيْلُ ثَابِتٌ لَهُمْ فِي حَالِ مَا يُقَالُ لَهُمْ
كُلُوا وَتَمَتَّعُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ؟

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

قُلْتُ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ إِذَانًا بِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَحِقَّاءَ بِأَنْ يُقَالَ لَهُمْ،
وَكَانُوا مِنْ أَهْلِهِ تَذَكِيرًا بِحَالِهِمُ السَّمِجَةَ وَبِمَا جَنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ إِيثارِ الْمَتَاعِ الْقَلِيلِ عَلَى
التَّعِيمِ وَالْمُلْكِ الْخَالِدِ.
وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُهُ:

إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعُدُوا
يُرِيدُ: كُنْتُمْ أَحِقَّاءَ فِي حَيَاتِكُمْ بِأَنْ يُدْعَى لَكُمْ بِذَلِكَ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِكَوْنِهِمْ مُجْرِمِينَ
دَلَالَةً عَلَى أَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ مَا لَهُ إِلَّا الْأَكْلُ وَالتَّمَتُّعُ أَيَّامًا قَلِيلًا، ثُمَّ الْبَقَاءُ فِي الْهَلَاكِ أَبَدًا.
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾¹ [الْمُرْسَلَاتِ: 46] كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا خِطَابًا
لِلْمُكَذِّبِينَ فِي الدُّنْيَا.

﴿ارْكَعُوا﴾² اخْشَعُوا لِلَّهِ وَتَوَاضَعُوا لَهُ بِقَبُولِ وَحْيِهِ وَاتِّبَاعِ دِينِهِ. وَاطْرَحُوا هَذَا
الِاسْتِكْبَارَ وَالتَّخَوُّةَ، لَا يَخْشَعُونَ وَلَا يَقْبَلُونَ ذَلِكَ، وَيُصِرُّونَ عَلَى اسْتِكْبَارِهِمْ.
وَقِيلَ: مَا كَانَ عَلَى الْعَرَبِ أَشَدَّ مِنَ الرُّكُوعِ وَالتَّسْجُودِ: وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي تَقْيِيفِ حِينَ
أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالصَّلَاةِ، فَقَالُوا: لَا نُجِيبُ؛ فَإِنَّهَا مَسْبُوءَةٌ عَلَيْنَا.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلَا
سُجُودٌ ﴿بَعْدَهُ﴾³: بَعْدَ الْقُرْآنِ، يَعْنِي أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ بَيْنِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ آيَةٌ مُبْصِرَةٌ وَمُعْجِزَةٌ
بَاهِرَةٌ؛ فَحِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَبَإَيِّ كِتَابٍ بَعْدَهُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾⁴.
وَقُرِئَ: تُؤْمِنُونَ بِالتَّاءِ!؟

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْمُرْسَلَاتِ] كَتَبَ لَهُ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

]

[

[]
مَكِّيَّةٌ، وَتُسَمَّى سُورَةَ النَّبِإِ،
وَهِيَ أَرْبَعُونَ، أَوْ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَعَارِجِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ﴾¹

﴿عَمَّ﴾²: أَصْلُهُ عَمَّا، عَلَى أَنَّهُ حَرْفٌ جَرَّ دَخَلَ عَلَى مَا الْإِسْتِفْهَامِيَّةِ، وَهُوَ فِي
قِرَاءَةِ عِكْرَمَةَ وَعَيْسَى بْنِ عَمَرَ.
قَالَ حَسَّانٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتَمُنِي لَيْمٌ كَخَنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ
وَالِإِسْتِعْمَالُ الْكَثِيرِ عَلَى الْحَدْفِ، وَالْأَصْلُ: قَلِيلٌ وَمَعْنَى هَذَا الْإِسْتِفْهَامِ: تَفْخِيمُ
الشَّأْنِ، كَأَنَّهُ قَالَ: عَنِ أَيِّ شَأْنٍ يَتَسَاءَلُونَ.
وَنَحْوُهُ مَا فِي قَوْلِكَ: زَيْدٌ مَا زَيْدٌ؟ جَعَلْتَهُ لِإِنْقِطَاعِ قَرِينِهِ وَعَدَمِ نَظِيرِهِ كَأَنَّهُ شَيْءٌ خَفِيٌّ
عَلَيْكَ جِنْسُهُ فَأَنْتَ تَسْأَلُ عَنِ جِنْسِهِ وَتَفْحَصُ عَنْ جَوْهَرِهِ، كَمَا تَقُولُ: مَا الْغُولُ وَمَا الْعَنْقَاءُ؟

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

تُرِيدُ: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ جَرَدَ الْعِبَارَةَ عَنِ التَّفْخِيمِ، حَتَّى وَقَعَ فِي كَلَامٍ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾¹: يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. أَوْ يَتَسَاءَلُونَ غَيْرَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنِينَ نَحْوًا: يَتَدَاعَوْنَهُمْ وَيَتَرَاءَوْنَهُمْ.

وَالضَّمِيرُ لِأَهْلِ مَكَّةَ: كَانُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنِ الْبَعْثِ، وَيَتَسَاءَلُونَ غَيْرَهُمْ عَنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِهْزَاءِ ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾² بَيَانٌ لِلشَّأْنِ الْمُفْجَمِ.

وَعَنِ ابْنِ كَثِيرٍ قَرَأَ: "عَمَّةٌ" بِهَاءِ السَّكْتِ، وَلَا يَخْلُو: إِذَا أَنْ يُجْرِي الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ وَإِنَّمَا أَنْ يَقِفَ وَيَبْتَدِئَ: ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾³، عَلَى أَنْ يُضْمَرَ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾⁴، لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ يُفَسِّرُهُ، كَشَيْءٍ يُبْهَمُ ثُمَّ يُفَسَّرُ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ زَعَمْتَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي يَتَسَاءَلُونَ لِلْكَفَّارِ. فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾⁵؟

قُلْتُ: كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَقْطَعُ الْقَوْلَ بِانْكَارِ الْبَعْثِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْكُ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ جَمِيعًا، وَكَانُوا جَمِيعًا يَسْأَلُونَ عَنْهُ. أَمَّا الْمُسْلِمُ فَلْيَزِدَادَ خَشِيَّةً وَاسْتِعْدَادًا وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلْيَزِدَادَ اسْتِهْزَاءً. وَقِيلَ: الْمُتَسَاءَلُ عَنْهُ الْقُرْآنُ. وَقِيلَ: نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقُرِئَ: يَسَاءَلُونَ بِالْإِذْغَامِ، وَسَتَعْلَمُونَ بِالتَّاءِ.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾⁶

﴿كَلَّا﴾⁷: رَدُّعٌ لِلْمُتَسَائِلِينَ هُزُؤًا.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾¹: وَعِيدٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ حَقٌّ؛ لِأَنَّهُ وَاقِعٌ لَا رَيْبَ فِيهِ. وَتَكَرُّرُ الرَّدْعِ مَعَ الْوَعِيدِ تَشْدِيدٌ فِي ذَلِكَ. وَمَعْنَى ﴿ثُمَّ﴾²: الْإِشْعَارُ بِأَنَّ الْوَعِيدَ الثَّانِيَّ أْبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَشَدُّ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاً لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾³

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾⁴، قُلْتَ: لَمَّا أَنْكَرُوا الْبُعْثَ قِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ يَخْلُقْ مَنْ يُصَافُ إِلَيْهِ الْبُعْثُ هَذِهِ الْخَلَائِقَ الْعَجِيبَةَ الدَّالَّةَ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ، فَمَا وَجْهُ إِنْكَارِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْبُعْثِ، وَمَا هُوَ إِلَّا اخْتِرَاعُ كَهَذِهِ الْاِخْتِرَاعَاتِ أَوْ قِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ يَفْعَلْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ الْمُتَكَاتِرَةَ. وَالْحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ فِعْلًا عَبَثًا، وَمَا تُنْكِرُونَهُ مِنَ الْبُعْثِ وَالْجَزَاءِ مُؤَدِّ إِلَى أَنَّهُ عَابَثُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَ.

﴿مِهَادًا﴾⁵: فِرَاشًا.

وَقُرِئَ مِهَادًا، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا لَهُمْ كَالْمِهْدِ لِلصَّبِيِّ، وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لَهُ فَيَنُومُ عَلَيْهِ، تَسْمِيَةً لِلْمَمْهُودِ بِالْمَصْدَرِ، كـ "ضَرْبِ الْأَمِيرِ". أَوْ وُصِفَتْ بِالْمَصْدَرِ. أَوْ بِمَعْنَى: ذَاتَ مِهْدٍ، أَي: أَرْسِنَاهَا بِالْجِبَالِ كَمَا يُرْسَى الْبَيْتُ بِالْأَوْتَادِ.

﴿سُبَاتًا﴾⁶: مَوْتًا، وَالْمَسْبُوتُ: الْمَيِّتُ، مِنَ السَّبْتِ وَهُوَ الْقَطْعُ، لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْحَرَكَةِ. وَالنُّومُ: أَحَدُ التَّوَقُّيَيْنِ، وَهُوَ عَلَى بِنَاءِ الْأَدْوَاءِ. وَلَمَّا جَعَلَ النَّوْمَ مَوْتًا، جَعَلَ الْيَقِظَةَ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

مَعَاشًا، أَي: حَيَاةً فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾¹ النَّبِيَّ: [11]، أَي: وَقْتَ مَعَاشٍ تَسْتَقِظُونَ فِيهِ وَتَتَقَلَّبُونَ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَكَاسِكِكُمْ. وَقِيلَ: السُّبَاتُ الرَّاحَةُ.

﴿لِبَاسًا﴾²: يَسْتُرُكُمْ عَنِ الْعُيُونِ إِذَا أَرَدْتُمْ هَرَبًا مِنْ عَدُوٍّ، أَوْ بِيَاتًا لَهُ. أَوْ إِخْفَاءَ مَا لَا تُحِبُّونَ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ:

وَكَمْ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

﴿سَبْعًا﴾³: سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ﴿شَدَادًا﴾⁴: جَمْعُ شَدِيدَةٍ، يَعْنِي: مُحْكَمَةٌ قَوِيَّةُ الْخَلْقِ لَا يُؤَثِّرُ فِيهَا مُرُورُ الْأَزْمَانِ.

﴿وَهَاجًا﴾⁵: مُتَلَاثِمًا وَقَادِرًا، يَعْنِي: الشَّمْسُ. وَتَوَهَّجَتِ النَّارُ: إِذَا تَلَمَّظَتْ فَتَوَهَّجَتْ بِضَوِّيَّهَا وَحَرَّهَا.

الْمُعْصِرَاتُ: السَّحَابُ إِذَا أُعْصِرَتْ، أَي: شَارَفَتْ أَنْ تَعْصِرَهَا الرِّيحُ فَتُمْطِرُ، كَقَوْلِكَ: أَجَزَّ الزَّرْعُ، إِذَا حَانَ لَهُ أَنْ يُجَزَّ. وَمِنْهُ: أُعْصِرَتِ الْجَارِيَةُ إِذَا دَنَتْ أَنْ تَحِيضَ.

وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: "بِالْمُعْصِرَاتِ"، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ تُرَادَ الرِّيحُ الَّتِي حَانَ لَهَا أَنْ تَعْصِرَ السَّحَابَ، وَأَنْ تُرَادَ السَّحَابُ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْإِنْزَالُ مِنْهَا فَهُوَ بِهَا، كَمَا تَقُولُ: أَعْطَى مِنْ يَدِهِ دِرْهَمًا، وَأَعْطَى بِيَدِهِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْمُعْصِرَاتُ الرِّيحُ ذَوَاتُ الْأَعَاصِيرِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: هِيَ السَّمَوَاتُ. وَتَأْوِيلُهُ: أَنَّ الْمَاءَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ، فَكَأَنَّ السَّمَوَاتِ يُعْصِرْنَ، أَي: يُحْمَلْنَ عَلَى الْعَصْرِ وَيُمْكِنُ مِنْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾⁶ وَقَسَرَهَا بِالرِّيحِ ذَوَاتِ الْأَعَاصِيرِ، وَالْمَطَرُ لَا يَنْزِلُ مِنَ الرِّيحِ؟

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

قُلْتُ: الرِّيحُ هِيَ الَّتِي تُنَشِئُ السَّحَابَ وَتَدِيرُ أَخْلَافَهُ فَصَحَّ أَنْ تُجْعَلَ مَبْدَأً لِلْإِنزَالِ، وَقَدْ جَاءَ أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- يَبْعَثُ الرِّيحَ فَتَحْمِلُ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ، فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَالْإِنزَالُ مِنْهَا ظَاهِرٌ.

فَإِنْ قُلْتُ: ذَكَرَ ابْنُ كَيْسَانَ أَنَّهُ جَعَلَ الْمُعْصِرَاتِ بِمَعْنَى الْمُغِيثَاتِ، وَالْعَاصِرُ هُوَ الْمُغِيثُ لَا الْمُعْصِرُ. يُقَالُ: يُعْصِرُ. يُقَالُ: عَصَرَهُ فَاعْتَصَرَ.

قُلْتُ: وَجْهُهُ أَنْ يُرِيدَ اللَّاتِي أُعْصِرْنَ، أَي: حَانَ أَنْ تُعْصِرَ، أَي: تُغِيثَ.

﴿تَجَاوَجًا﴾¹: مُنْصَبًا بِكَثْرَةِ يُقَالُ: تَجَّهَ وَتَجَّ نَفْسُهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "أَفْضَلُ الْحَجِّ: الْعَجُّ وَالشَّجُّ"، أَي: رَفَعَ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، وَصَبَّ دِمَاءِ الْهَدْيِ.

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ مُتَجًّا يُسْبِلُ غَرَبًا، يَعْنِي يَشْجُ الْكَلَامَ تَجًّا فِي خُطْبَتِهِ.

وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ: تَجَّجًا وَمَتَّجُّجُ الْمَاءِ: مَصَابُهُ، وَالْمَاءُ يَنْشَجُّ فِي الْوَادِي.

﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾² يُرِيدُ مَا يُتَّقَوْتُ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَمَا يُغْلَفُ مِنَ التَّنِّ وَالْحَشِيشِ،

كَمَا قَالَ: ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ﴾³ [طه: 54] ، وَ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ

وَالرَّيْحَانُ﴾⁴ [الرَّحْمَنِ: 12].

﴿أَلْفَافًا﴾⁵ مُلْتَفَّةٌ وَلَا وَاحِدَ لَهُ، كَالْأَوْزَاعِ وَالْأَخْيَافِ.

وَقِيلَ: الْوَاحِدُ لَفٌّ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْإِقْلِيدِ: أَنْشَدَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ:

جَنَّةُ لَفٍّ وَعَيْشٌ مُغْدِقٌ وَنَدَامَى كُلُّهُمْ بِيضٌ زُهْرٌ

وَزَعَمَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّهُ لَفَاءٌ وَلَفٌّ، ثُمَّ أَلْفَافٌ: وَمَا أَظُنُّهُ وَاجِدًا لَهُ نَظِيرًا مِنْ نَحْوِ خُضْرٍ

وَأَخْضَارٍ وَحُمْرٍ وَأَحْمَارٍ؛ وَلَوْ قِيلَ: هُوَ جَمْعٌ مُلْتَفَّةٌ بِتَقْدِيرِ حَذْفِ الرَّوَائِدِ، لَكَانَ قَوْلًا وَجِيهًا.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾¹

﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾²: كَانَ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ حَدًّا تُوقَّتُ بِهِ الدُّنْيَا وَتَنْتَهِي عِنْدَهُ، أَوْ
حَدًّا لِلْخَلَاقِ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ.

﴿يَوْمَ يَنْفَخُ﴾³ بَدَلٌ مِنْ يَوْمِ الْفُضْلِ، أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾⁴ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْمَوْقِفِ أَمَّا كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ إِمَامِهِمْ.

وَقِيلَ: جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةً.

وَعَنْ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَأَلَ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، سَأَلْتُ عَنْ أَمْرِ عَظِيمٍ مِنَ الْأُمُورِ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: تُحْشِرُ عَشْرَةَ
أَصْنَافٍ مِنْ أُمَّتِي: بَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقِرْدَةِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ، وَبَعْضُهُمْ
مُنْكَسُونَ: أَرْجُلُهُمْ فَوْقَ وُجُوهِهِمْ يُسْحَبُونَ عَلَيْهَا، وَبَعْضُهُمْ عُمِيًّا، وَبَعْضُهُمْ صَمًّا بُكْمًا،
وَبَعْضُهُمْ يَمْضَعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فِيهَا مَدْلَأَةً عَلَى صُدُورِهِمْ: يَسِيلُ الْقَيْحُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يَتَقَدَّرُهُمْ
أَهْلُ الْجَمْعِ، وَبَعْضُهُمْ مَقْطَعَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَبَعْضُهُمْ مُصَلَّبُونَ عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَارٍ،
وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ نَتْنًا مِنَ الْجِيْفِ، وَبَعْضُهُمْ مُلْبَسُونَ جَبَابًا سَابِعَةً مِنْ قَطْرَانٍ لَارِقَةً يَجْلُودُهُمْ.

فَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْقِرْدَةِ، فَالْقَتَاتُ مِنَ النَّاسِ. وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ،
فَأَهْلُ السُّحْتِ. وَأَمَّا الْمُنْكَسُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، فَأَكَلَةُ الرِّبَا. وَأَمَّا الْعُمِيُّ، فَالَّذِينَ يَجُورُونَ فِي
الْحُكْمِ. وَأَمَّا الصَّمُّ الْبُكْمُ، فَالْمُعْجَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ. وَأَمَّا الَّذِينَ يَمْضَعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ، فَالْعُلَمَاءُ
وَالْقُصَاصُ الَّذِينَ خَالَفَ قَوْلُهُمْ أَعْمَالُهُمْ. وَأَمَّا الَّذِينَ قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، فَهُمْ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ الْجِيرَانَ. وَأَمَّا الْمُصَلَّبُونَ عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَارٍ، فَالسُّعَاةُ بِالنَّاسِ إِلَى السُّلْطَانِ. وَأَمَّا
الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ نَتْنًا مِنَ الْجِيْفِ، فَالَّذِينَ يُتْبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ، وَمَنْعُوا حَقَّ اللَّهِ فِي
أَمْوَالِهِمْ. وَأَمَّا الَّذِينَ يُلْبَسُونَ الْجَبَابَ، فَأَهْلُ الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَقُرِئَ: وَفُتِّحَتْ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ.
وَالْمَعْنَى: كَثْرَةُ أَبْوَابِهَا الْمُفْتَحَةِ لِزُجُولِ الْمَلَائِكَةِ، كَأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا أَبْوَابًا مُفْتَحَةً،
كَقَوْلِهِ: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾¹ [القَمَرِ: 122]، كَأَنَّ كُلَّهَا عُيُونٌ تَتَفَجَّرُ.
وَقِيلَ: الْأَبْوَابُ: الطُّرُقُ وَالْمَسَالِكُ، أَي: تُكْشَطُ فَيَنْفَتِحُ مَكَانُهَا وَتَصِيرُ طُرُقًا يَسُدُّهَا
شَيْءٌ.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾²، كَقَوْلِهِ: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾³ [الْوَاقِعَةِ: 6]، يَعْنِي أَنَّهَا تَصِيرُ
شَيْئًا كَلَا شَيْءٍ، لِتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا وَانْبِثَاتِ جَوَاهِرِهَا.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَابًا لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرِزْدًا وَلَا
سَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا جِزَاءً وَفَاقًا إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا
فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾⁴

الْمِرْصَادُ: الْحَدُّ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الرَّصْدُ.
وَالْمَعْنَى: أَنَّ جَهَنَّمَ هِيَ حَدُّ الطَّاغِينَ الَّذِي يُرْصَدُونَ فِيهِ لِلْعَذَابِ، وَهِيَ مَابِيَهُمْ. أَوْ
هِيَ مِرْصَادٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ تَرْصُدُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُونَهُمْ عِنْدَهَا، لِأَنَّ مَجَازَهُمْ عَلَيْهَا،
وَهِيَ مَابٌ لِلطَّاغِينَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ نَحْوَهُ، قَالَا: طَرِيقًا وَمَمَرًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ.
وَقَرَأَ ابْنُ يَعْمُرَ: "أَنَّ جَهَنَّمَ" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ عَلَى تَغْلِيلِ قِيَامِ السَّاعَةِ بِأَنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ لِإِقَامَةِ الْجَزَاءِ.
قُرِئَ: لَابِثِينَ وَلَبِثِينَ. وَاللَّبِثُ أَقْوَى، لِأَنَّ اللَّابِثَ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ اللَّبِثُ، وَلَا يُقَالُ:
"لَبِثٌ" إِلَّا لِمَنْ شَأْنُهُ اللَّبِثُ، كَالَّذِي يَجْتُمُّ بِالْمَكَانِ لَا يَكَادُ يَنْفَلِكُ مِنْهُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

﴿أَحْقَابًا﴾¹: حَقْبًا بَعْدَ حَقْبٍ، كَلَّمَا مَضَى حَقْبٌ تَبِعَهُ آخَرٌ إِلَى غَيْرِ نَهَائِهِ، وَلَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ الْحَقْبُ وَالْحَقْبَةُ إِلَّا حَيْثُ يُرَادُ تَتَابُعُ الْأَزْمَنَةِ وَتَوَالِيهَا، وَالِاشْتِقَاقُ يَشْهَدُ لِذَلِكَ.

أَلَا تَرَى إِلَى حَقِيبةِ الرَّكِيبِ، وَالْحَقْبِ الَّذِي وَرَاءَ التَّصْدِيرِ؟!

وَقِيلَ: الْحَقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: لَا يَبِينُ فِيهَا أَحْقَابًا غَيْرَ ذَانِقِينَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا، ثُمَّ يُبَدَّلُونَ بَعْدَ الْأَحْقَابِ غَيْرَ الْحَمِيمِ وَالْغَسَاقِ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ.

وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ: حَقْبٍ عَامًّا. إِذَا قَلَّ مَطَرُهُ وَخَيْرُهُ، وَحَقْبٍ فُلَانٌ: إِذَا أَخْطَأَهُ الرَّزْقُ، فَهُوَ حَقْبٌ، وَجَمَعَهُ أَحْقَابٌ، فَيَنْتَصِبُ حَالًا عَنْهُمْ، يَعْنِي لَا يَبِينُ فِيهَا حَقِيبةً جَعْدِيَّةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾²: تَفْسِيرٌ لَهُ وَالِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَرُوحًا يُنْفَسُ عَنْهُمْ حَرُّ النَّارِ، وَلَا شَرَابًا يُسَكِّنُ مِنْ عَطَشِهِمْ، وَلَكِنْ يَذُوقُونَ فِيهَا حَمِيمًا وَغَسَاقًا.

وَقِيلَ: "الْبَرْدُ": النَّوْمُ، وَأَنْشَدَ:

فَلَوْ شِئْتُ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحًا وَلَا بَرْدًا

وَعَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: مَنَعَ الْبَرْدُ الْبَرْدَ.

وَقُرِئَ "غَسَاقًا" بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ: وَهُوَ مَا يَغْسِقُ، أَي: يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِهِمْ.

﴿وَفَاقًا﴾³: وَصَفٌ بِالمَصْدَرِ. أَوْ ذَا وَفَاقٍ.

وَقَرَأَ أَبُو حَيَوَةَ: "وَفَاقًا" فَعَالٌ مِنْ وَفَّقَهُ كَذَا.

﴿كَذَّابًا﴾⁴ تَكْذِيبًا، وَفَعَالٌ فِي بَابِ فَعَلَ كُلُّهُ فَاشٍ فِي كَلَامِ فَصَحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ لَا

يَقُولُونَ غَيْرَهُ، وَسَمِعِنِي بَعْضُهُمْ أَفْسَرُ آيَةً، فَقَالَ: لَقَدْ فَسَّرْتَهَا فَسَارًا مَا سَمِعَ بِمِثْلِهِ.

وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ كَذَبٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ:

فَصَدَقْتَهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾¹ [نُوح: 17]. يَعْنِي: وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَكَذَّبُوا كِذَابًا. أَوْ تَنْصِبُهُ بِكَذَّبُوا؛ لِأَنَّهُ يَتَّصِمُنْ مَعْنَى كَذَّبُوا، لِأَنَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ بِالْحَقِّ كَاذِبٌ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ بِمَعْنَى الْمُكَادِبَةِ، فَمَعْنَاهُ: وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَكَادَّبُوا مُكَادِبَةً. أَوْ كَذَّبُوا بِهَا مُكَادِبِينَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كَاذِبِينَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَهُمْ كَاذِبِينَ، فَيَبِينُهُمْ مُكَادِبَةً، أَوْ لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا هُوَ إِفْرَاطٌ فِي الْكُذْبِ فِعْلٌ مَنْ يُغَالِبُ فِي أَمْرٍ، فَيَبْلُغُ فِيهِ أَقْصَى جُهْدِهِ.

وَقُرِيءَ: كُذِّبًا وَهُوَ جَمْعُ كَاذِبٍ، أَي: كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَاذِبِينَ.
 وَقَدْ يَكُونُ الْكُذَّابُ بِمَعْنَى الْوَاحِدِ الْبَلِيغِ فِي الْكُذْبِ، يُقَالُ: رَجُلٌ كُذِّبٌ، كَقَوْلِكَ: حُسَّانٌ، وَبُخَالٌ؛ فَيُجْعَلُ صِفَةً لِمَصْدَرٍ كَذَّبُوا، أَي: تَكْذِيبًا كُذِّبًا مُفْرَطًا كَذِبُهُ.
 وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ، بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِنْتِدَاءِ.
 ﴿كِتَابًا﴾²: مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ إِحْصَاءٍ وَأَحْصَيْنَا فِي مَعْنَى كَتَبْنَا، لِإِتِّفَاقِ الْإِحْصَاءِ، وَالْكَتَبَةِ فِي مَعْنَى الصَّبْطِ وَالتَّحْصِيلِ. أَوْ يَكُونُ خَالًا فِي مَعْنَى: مَكْتُوبًا فِي اللُّوحِ وَفِي صُحُفِ الْحَفْظَةِ.

وَالْمَعْنَى: إِحْصَاءُ مَعَاصِيهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾³ [المُجَادَلَةُ: 6]. وَهُوَ اعْتِرَاضٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذُوقُوا﴾⁴ مُسَبَّبٌ عَنِ كُفْرِهِمْ بِالْحِسَابِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِالْآيَاتِ، وَهِيَ آيَةٌ فِي غَايَةِ الشَّدَةِ، وَنَاهِيكَ بَلَنْ نَزِيدِكُمْ، وَبِدَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّ تَرْكَ الزِّيَادَةِ كَالْمُحَالِ الَّذِي لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الصَّحَّةِ. وَبِمَجِيئِهَا عَلَى طَرِيقَةِ الْإِتِّفَاتِ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ الْعَضْبَ قَدْ تَبَالَعُ.
 وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "هَذِهِ الْآيَةُ أَشَدُّ مَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا وَكَأَسَا دِهَاقًا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾¹

﴿مَفَازًا﴾²: فَوْزًا وَظَفْرًا بِالْبُعْيَةِ. أَوْ مَوْضِعَ فَوْزٍ.
وَقِيلَ: نَجَاةٌ مِمَّا فِيهِ أَوْلِيكَ. أَوْ مَوْضِعَ نَجَاةٍ. وَفُسِّرَ الْمَفَازُ بِمَا بَعْدَهُ.
وَالْحَدَائِقُ: الْبَسَاتِينُ فِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ الْمُشْبِرِ.
وَالْأَعْنَابُ: الْكُرُومُ. وَالْكَوَاعِبُ: اللَّاتِي فَلَكْتَ تُدِيهُنَّ، وَهِنَّ التَّوَاهِدُ. وَالْأَثْرَابُ:
اللِّدَاتُ. وَالْدِّهَاقُ: الْمُتْرَعَةُ. وَأَدَهَقَ الْحَوْضَ: مَلَأَهُ حَتَّى قَالَ قِطْنِي.
وَقُرِي: وَلَا كِدَابًا بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، أَي: لَا يُكَدِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَلَا يَكْذِبُهُ. أَوْ لَا
يُكَادِبُهُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ بِتَخْفِيفِ الْإِثْنَيْنِ.
﴿جَزَاءً﴾³: مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ مَنْصُوبٌ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾⁴، كَأَنَّهُ قَالَ:
جَازَى الْمُتَّقِينَ بِمَفَازٍ.

﴿وَعَطَاءً﴾⁵: نَصَبٌ بِ «جَزَاءً»⁶ نَصَبَ الْمَفْعُولِ بِهِ. أَي: جَزَاهُمْ عَطَاءً.
و﴿حِسَابًا﴾⁷ صِفَةٌ بِمَعْنَى: كَافِيًا. مِنْ أَحْسَبَهُ الشَّيْءَ إِذَا كَفَاهُ حَتَّى قَالَ: حَسْبِي.
وَقِيلَ: عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.
وَقَرَأَ ابْنُ قُطَيْبٍ: حِسَابًا، بِالتَّشْدِيدِ، عَلَى أَنَّ الْحِسَابَ بِمَعْنَى الْمُحْسِبِ، كَالدَّرَاكِ
بِمَعْنَى الْمُدْرِكِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ
وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾¹

قُرئ: رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَالرَّحْمَنُ بِالرَّفْعِ، عَلَى: هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ الرَّحْمَنُ. أَوْ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ مُبْتَدَأً، وَالرَّحْمَنُ صِفَةً، وَلَا يَمْلِكُونَ: خَبَرٌ أَوْ هُمَا خَبَرَانِ وَبِالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ
رَبِّكَ، بِجَرِّ الْأَوَّلِ وَرَفْعِ الثَّانِي عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾² أَوْ هُوَ الرَّحْمَنُ لَا
يَمْلِكُونَ.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾³ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَي: لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمْ مِمَّا
يُخَاطَبُ بِهِ اللَّهُ وَيَأْمُرُ بِهِ فِي أَمْرِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ خِطَابٌ وَاحِدٌ يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ تَصَرَّفَ
الْمَلَكِ، فَيَزِيدُونَ فِيهِ أَوْ يَنْقُصُونَ مِنْهُ. أَوْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُخَاطَبُوا بِشَيْءٍ مِنْ نَقْصِ الْعَذَابِ
أَوْ زِيَادَةِ فِي الثَّوَابِ، إِلَّا أَنْ يَهَبَ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَأْذَنَ لَهُمْ فِيهِ.
وَ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾⁴: مُتَعَلِّقٌ بِلَا يَمْلِكُونَ، أَوْ بِلَا يَتَكَلَّمُونَ.

وَالْمَعْنَى: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ وَأَشْرَفُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ طَاعَةً وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ، وَهُمْ
الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَمْلِكُونَ التَّكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ عَدَاهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ؟

وَالرُّوحُ: أَعْظَمُ خَلْقًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَشْرَفُ مِنْهُمْ، وَأَقْرَبُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَقِيلَ: هُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ مَا خَلَقَ اللَّهُ بَعْدَ الْعَرْشِ خَلْقًا أَعْظَمَ مِنْهُ. وَقِيلَ: لَيْسُوا
بِالْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ. وَقِيلَ: جَبْرِيْلُ. هُمَا شَرِيْطَتَانِ: أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ مَأْذُونًا لَهُ فِي
الْكَلَامِ.

وَأَنْ يَتَكَلَّمَ بِالصَّوَابِ فَلَا يَشْفَعُ لِغَيْرِ مُرْتَضَى، لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا
لِمَنْ ارْتَضَى﴾⁵ [الْأَنْبِيَاءُ: 28].

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾¹

﴿الْمَرْءُ﴾² هُوَ الْكَافِرُ لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾³؛ وَالْكَافِرُ: ظَاهِرٌ
وُضِعَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِرِيَادَةِ الدَّمِّ، وَيَعْنِي ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾⁴ مِنَ الشَّرِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾⁵ [الْأَنْفَال: 50-51]، ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾⁶ [الْحَجَّ: 9-10]، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ﴾⁷ [الْبَقَرَةَ: 955].

﴿مَا﴾⁸ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامِيَّةً مَنْصُوبَةً بِ ﴿قَدَّمْتُمْ﴾⁹، أَي: يَنْظُرُ أَيَّ شَيْءٍ
قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَمَوْصُولَةٌ مَنْصُوبَةٌ بِ ﴿يَنْظُرُ﴾¹⁰، يُقَالُ: نَظَرْتُهُ بِمَعْنَى نَظَرْتُ إِلَيْهِ، وَالرَّاجِعُ مِنَ
الصَّلَاةِ مَحْدُوفٌ.

وَقِيلَ: الْمَرْءُ عَامٌّ، وَخُصَّصَ مِنْهُ الْكَافِرُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: هُوَ الْمُؤْمِنُ.

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾¹¹ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ أُخْلَقْ وَلَمْ أُكَلَّفْ. أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا فِي
هَذَا الْيَوْمِ فَلَمْ أُبْعَثْ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

9 سورة ، الآية .

10 سورة ، الآية .

11 سورة ، الآية .

وَقِيلَ: يَحْشُرُ اللَّهُ الْحَيَّوَانَ غَيْرَ الْمُكَلَّفِ حَتَّى يَفْتَصَّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ، ثُمَّ يَرُدُّهُ
تُرَابًا، فَيَوُدُّ الْكَافِرُ حَالَهُ.

وَقِيلَ: الْكَافِرُ إِبْلِيسُ، يَرَى آدَمَ وَوَلَدَهُ وَتَوَابِهِمْ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الشَّيْءَ الَّذِي
اِحْتَفَرَهُ حِينَ قَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹ [الأعراف: 12].

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ عَمَّ [يَتَسَاءَلُونَ] سَقَاهُ اللَّهُ
بَرْدَ الشَّرَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

¹ سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ،
وَهِيَ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً
[تَزَلَّتْ بَعْدَ النَّبَأِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّاجِدَاتِ سَجْدًا فَالسَّابِقَاتِ
سَبْقًا فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَحْرَةً قَالُوا
تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾¹

أَقْسَمَ - سُبْحَانَهُ - بِطَوَائِفِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ مِنَ الْأَجْسَادِ، وَبِالطَّوَائِفِ
الَّتِي تُنَشِّطُهَا أَيْ تُخْرِجُهَا. مِنْ نَشْطِ الدَّلْوِ مِنَ البَيْرِ إِذَا أَخْرَجَهَا، وَبِالطَّوَائِفِ الَّتِي تُسَبِّحُ فِي
مُضِيِّهَا، أَيْ: تُسْرِعُ فَتَسْبِقُ إِلَى مَا أَمُرُوا بِهِ، فَتُدَبِّرُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْعِبَادِ مِمَّا يُصْلِحُهُمْ فِي
دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ كَمَا رَسَمَ لَهُمْ .

﴿غَرْقًا﴾²: إِغْرَاقًا فِي النَّعْرِ، أَيْ: تَنْزِعُهَا مِنْ أَقَاصِي الْأَجْسَادِ مِنْ أَنَامِلِهَا وَأَطْفَارِهَا
أَوْ أَقْسَمَ بِخَيْلِ الْغُرَاةِ الَّتِي تَنْزِعُ فِي أَعْنَتِهَا تَغْرُقُ فِيهِ الْأَعِنَّةَ لِطَوْلِ أَعْنَاقِهَا، لِأَنَّهَا عَرَابٌ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

وَالَّتِي تَخْرُجُ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ مِنْ قَوْلِكَ: "تُورُ نَاشِطٌ" إِذَا خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَالَّتِي تَسِيحُ فِي جَرِيهَا فَتَسْبِقُ إِلَى الْعَايَةِ فَتُدْبِرُ الْعَلْبَةَ وَالظَّفَرَ، وَإِسْنَادُ التَّدْبِيرِ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِهِ. أَوْ أَقْسَمَ بِالنُّجُومِ الَّتِي تَنْزِعُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَإِعْرَافُهَا فِي النَّزْعِ: أَنْ تَقْطَعَ الْفَلَكَ كُلَّهُ حَتَّى تَنْحَطَّ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ، وَالَّتِي تَخْرُجُ مِنْ بُرْجِ إِلَى بُرْجٍ، وَالَّتِي تَسِيحُ فِي الْفَلَكَ مِنَ السَّيَّارَةِ فَتَسْبِقُ فَتُدْبِرُ أَمْرًا مِنْ عِلْمِ الْحِسَابِ.

وَقِيلَ: النَّازِعَاتُ أَيْدِي الْعُرَاةِ، أَوْ أَنْفُسُهُمْ تَنْزِعُ الْقَسِيَّ بِأَعْرَاقِ السَّهَامِ، وَالَّتِي تَنْشِطُ الْأَوْهَاقَ وَالْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ مَحْدُوفٌ، وَهُوَ "كُنْبَعَثٌ" لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ. و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾¹ مَنْصُوبٌ بِهَذَا الْمُنْصَرِ.

و﴿الرَّاجِفَةُ﴾²: الْوَاقِعَةُ الَّتِي تَرْجُفُ عِنْدَهَا الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى: وَصِفَتْ بِمَا يَحْدُثُ بِحُدُوثِهَا ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾³، أَي: الْوَاقِعَةُ الَّتِي تُرْدِفُ الْأُولَى، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الرَّادِفَةُ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁴ [التَّمَلُّ: 722]، أَي الْقِيَامَةُ الَّتِي يَسْتَعْجِلُهَا الْكُفْرَةُ اسْتِيعَادًا لَهَا، وَهِيَ رَادِفَةٌ لَهُمْ لِاقْتِرَابِهَا.

وَقِيلَ: ﴿الرَّاجِفَةُ﴾⁵: الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾⁶ [الْمُرَّمِّلُ: 144].

وَالرَّادِفَةُ: السَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ، لِأَنَّهَا تَنْشَقُّ وَتَنْتَبِرُ كَوَاكِبُهَا عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ. فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَحَلُّ تَتَّبِعُهَا؟ قُلْتُ: الْحَالُ، أَي: تَرْجُفُ تَابِعَتَهَا الرَّادِفَةُ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ جَعَلْتَ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾¹ ظَرْفًا لِلْمُضْمَرِ الَّذِي هُوَ لَتَبَعْتَنَ، وَلَا يُبْعَثُونَ عِنْدَ التَّفْحَةِ الْأُولَى؟

قُلْتُ: الْمَعْنَى: لَتَبَعْتَنَ فِي الْوَقْتِ الْوَاسِعِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ التَّفْحَتَانِ، وَهُمْ يُبْعَثُونَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَاسِعِ، وَهُوَ وَقْتُ التَّفْحَةِ الْأُخْرَى.

وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿تَسْبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾² جُعِلَ حَالًا عَنِ الرَّاجِفَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾³ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾⁴، أَي: يَوْمَ تَرْجُفُ وَجِفَتْ الْقُلُوبُ.

﴿وَاجِفَةٌ﴾⁵: شَدِيدَةٌ الْإِضْطِرَابِ، وَالْوَجِيبُ وَالْوَجِيفُ: أَخْوَانٌ.

﴿خَاشِعَةٌ﴾⁶: ذَلِيلَةٌ.

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ جَاَزَ الْإِبْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ؟

قُلْتُ: ﴿قُلُوبٌ﴾⁷ مَرْفُوعَةٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ﴿وَاجِفَةٌ﴾⁸ صِفْتُهَا، وَ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾⁹ خَبَرُهَا فَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ [البقرة: 221].

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ صَحَّ إِضَافَةُ الْأَبْصَارِ إِلَى الْقُلُوبِ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾¹⁰ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى، يَعْنُونَ: الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

فَإِنْ قُلْتُ: مَا حَقِيقَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ؟

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .
- 10 سورة ، الآية .

قُلْتُ: يُقَالُ: رَجَعَ فُلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ، أَي: فِي طَرِيقِهِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا فَحَفَرَهَا، أَي: أَثَرَ فِيهَا بِمَشْيِهِ فِيهَا: جُعِلَ أَثَرُ قَدَمَيْهِ حَفْرًا، كَمَا قِيلَ: حَفَرْتُ أَسْنَانَهُ حَفْرًا: إِذَا أَثَرَ الْأَكَالَ فِي أَسْنَانِهَا. وَالْحَطُّ الْمَحْفُورُ فِي الصَّخْرِ.

وقيل: حَافِرَةٌ، كَمَا قِيلَ: عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ، أَي: مُنْسُوبَةٌ إِلَى الْحَفْرِ وَالرِّضَا، أَوْ كَقَوْلِهِمْ: نَهَارُكَ صَائِمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ كَانَ فِي أَمْرٍ فَخَرَجَ مِنْهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ: رَجَعَ إِلَى حَافِرَتِهِ، أَي طَرِيقَتِهِ وَحَالَتِهِ الْأُولَى.
قَالَ:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَاحٍ وَشَيْبٍ! مَعَادَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ

يُرِيدُ: أَرْجُو عَا إِلَى حَافِرَةٍ؟ وَقِيلَ: التَّقْدُّ عِنْدَ الْحَافِرَةِ، يُرِيدُونَ عِنْدَ الْحَالَةِ الْأُولَى، وَهِيَ الصَّفَقَةُ.

وَقَرَأَ أَبُو حَيَّوَةَ: "فِي الْحُفْرَةِ" وَالْحُفْرَةُ بِمَعْنَى: الْمَحْفُورَةِ. يُقَالُ: حَفَرْتُ أَسْنَانَهُ، فَحَفَرْتُ حَفْرًا، وَهِيَ حُفْرَةٌ. وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَافِرَةَ فِي أَصْلِ الْكَلِمَةِ بِمَعْنَى الْمَحْفُورَةِ.

يُقَالُ: "نَخَرَ" الْعَظْمَ فَهُوَ نَخْرٌ وَنَاخِرٌ، كَقَوْلِكَ: طَمَعَ فَهُوَ طَمِعٌ وَطَامِعٌ، وَفَعَلَ أَبْلَغَ مِنْ فَاعِلٍ.

وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا: وَهُوَ الْبَالِي الْأَجُوفُ الَّذِي تَمُرُّ فِيهِ الرِّيحُ فَيُسْمَعُ لَهُ نَخِيرٌ.
﴿إِذَا﴾¹ مَنْصُوبٌ بِمَحْدُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: أَنْدَا كُنَّا عِظَامًا نُرْدُ وَنُبْعَثُ، ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾² مُنْسُوبَةٌ إِلَى الْخُسْرَانِ، أَوْ خَاسِرٌ أَصْحَابُهَا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا، إِنْ صَحَّتْ، فَنَحْنُ إِذَا خَاسِرُونَ لِتَكْذِيبِنَا بِهَا، وَهَذَا اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ.
فَإِنْ قُلْتُ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾³.

قُلْتُ: بِمَحْدُوفٍ، مَعْنَاهُ: لَا تَسْتَصْعِبُوهَا، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، يَعْنِي: لَا تَحْسَبُوا تِلْكَ الْكَرَّةَ صَعْبَةً عَلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَإِنَّهَا سَهْلَةٌ هَيِّنَةٌ فِي قُدْرَتِهِ، مَا هِيَ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ، يُرِيدُ التَّنْفِخَةَ الثَّانِيَةَ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

﴿فَإِذَا هُمْ﴾¹ أَحْيَاءٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَا كَانُوا أَمْوَاتًا فِي جُوفِهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ:
زَجَرَ الْبَعِيرِ، إِذَا صَاحَ عَلَيْهِ.
وَالسَّاهِرَةُ: الْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ السَّرَابَ يَجْرِي فِيهَا، مِنْ
قَوْلِهِمْ: عَيْنٌ سَاهِرَةٌ جَارِيَةٌ الْمَاءِ، وَفِي ضِدِّهَا: نَائِمَةٌ.
قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ:

وَسَاهِرَةٌ يُضْحِي السَّرَابُ مُجَلَّلًا لِأَقْطَارِهَا قَدْ جُبَّتْهَا مُتَلَتِّمًا
أَوْ لِأَنَّ سَالِكَهَا لَا يَنَامُ خَوْفَ الْهَلَكَةِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: فَإِذَا هُمْ فِي جَهَنَّمَ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكَى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ
الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾²

﴿أَذْهَبَ﴾³ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ.
وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنْ أَذْهَبَ؛ لِأَنَّ فِي النَّدَاءِ مَعْنَى الْقَوْلِ. هَلْ لَكَ فِي كَذَا، وَهَلْ
لَكَ إِلَى كَذَا، كَمَا تَقُولُ: هَلْ تَرْغَبُ فِيهِ؟ وَهَلْ تَرْغَبُ إِلَيْهِ؟
﴿إِلَى أَنْ تَزْكَى﴾⁴: إِلَى أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنَ الشَّرِّ.
وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: تَزْكَى بِالْإِذْعَامِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾¹: وَأَرْشِدُكَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ أَنْبَهُكَ عَلَيْهِ فَتَعْرِفُهُ،
﴿فَتَخْشَى﴾²، لِأَنَّ الْخَشْيَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾³ [فَاطِرٍ: 28]، أَي:
الْعُلَمَاءُ بِهِ، وَذَكَرَ الْخَشْيَةَ لِأَنَّهَا مَلَكَ الْأَمْرِ، مَنْ خَشِيَ اللَّهَ أَتَى مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ. وَمَنْ أَمِنَ
اجْتَرَأَ عَلَى كُلِّ شَرٍّ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ"،
بَدَأَ مُحَاطَبَتَهُ بِالِاسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ الْعَرْضُ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَيْفِهِ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْزِلَ بِنَا،
وَأَرْدَفَهُ الْكَلَامَ الرَّقِيقَ، لِيَسْتَدْعِيَهُ بِالتَّلَطُّفِ فِي الْقَوْلِ، وَيَسْتَنْزِلُهُ بِالْمُدَارَاةِ مِنْ عُنُوتِهِ، كَمَا أَمَرَ
بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسًا﴾⁴ [طه: 44].

﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾⁵ قَلْبَ الْعَصَا حَيَّةً؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ الْمُقَدَّمَةَ وَالْأَصْلَ، وَالْأُخْرَى كَالْتَّبَعِ
لَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَّقِيهَا بِيَدِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أُدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ، أَوْ أَرَادَهُمَا جَمِيعًا، إِلَّا أَنَّهُ
جَعَلَهُمَا وَاحِدَةً، لِأَنَّ الثَّانِيَةَ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأُولَى لِكَوْنِهَا تَابِعَةً لَهَا.

﴿فَكَذَّبَ﴾⁶ بِمُوسَى وَالْآيَةَ الْكُبْرَى، وَسَمَّاهُمَا سَاحِرًا وَسَحْرًا، ﴿وَعَصَى﴾⁷ اللَّهَ -
تَعَالَى- بَعْدَ مَا عَلِمَ صِحَّةَ الْأَمْرِ، وَأَنَّ الطَّاعَةَ قَدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾⁸، أَي: لَمَّا رَأَى الثُّغْبَانَ أَدْبَرَ مَرْغُوبًا، يَسْعَى: يُسْرِعُ فِي مَشِيئَتِهِ.
قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ رَجُلًا طَيَّاشًا خَفِيمًا. أَوْ تَوَلَّى عَنْ مُوسَى يَسْعَى وَيَجْتَهِدُ فِي
مُكَابَدَتِهِ، وَأَرِيدَ: ثُمَّ أَقْبَلَ يَسْعَى، كَمَا تَقُولُ: أَقْبَلَ فُلَانٌ يَفْعَلُ كَذَا، بِمَعْنَى: أَنْشَأَ يَفْعَلُ،
فَوَضَعَ ﴿أَدْبَرَ﴾⁹ مَوْضِعَ: أَقْبَلَ، لِيَلَّا يُوصَفَ بِالِاقْبَالِ .

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

9 سورة ، الآية .

﴿فَحَشَرَ﴾¹: فَجَمَعَ السَّحْرَةَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾² [الشُّعْرَاءُ: 53].

﴿فَنَادَى﴾³ فِي الْمَقَامِ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ مَعَهُ. أَوْ أَمَرَ مُنَادِيًّا فِي النَّاسِ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا فَقَالَ تِلْكَ الْعَظِيمَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَلِمَتُهُ الْأُولَى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁴ [الْقَصَصِ: 38]. وَالْآخِرَةَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁵ [التَّارِعَاتِ: 24].

﴿نَكَالٌ﴾⁶ هُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، كَ "وَعَدَ اللَّهُ"، وَصِبْغَةٌ لِلَّهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: نَكَالَ اللَّهُ بِهِ نَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى. وَالنَّكَالُ بِمَعْنَى التَّنْكِيلِ، كَالسَّلَامِ بِمَعْنَى التَّسْلِيمِ. يَعْنِي الْإِعْرَاقَ فِي الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاقَ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَكَالَ كَلِمَتِيهِ الْآخِرَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁷، وَالْأُولَى، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾⁸ [الْقَصَصِ: 38]. وَقِيلَ: كَانَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَقِيلَ: عِشْرُونَ.

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَعْفَهَا وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾⁹

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .

الْحِطَابُ لِمُنْكَرِي الْبُعْثِ، يَعْنِي: ﴿أَنْتُمْ﴾¹ أَصْعَبُ ﴿خَلْقًا﴾² وَإِنْشَاءً، ﴿أَمِ السَّمَاءِ﴾³.

ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفَ خَلَقَهَا، فَقَالَ: ﴿بَنَاهَا﴾⁴.
ثُمَّ بَيَّنَّ الْبِنَاءَ، فَقَالَ: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾⁵، أَي: جَعَلَ مَقْدَارَ ذَهَابِهَا فِي سَمْتِ الْعُلُوِّ مَدِيدًا رَفِيعًا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ.

﴿فَسَوَّاهَا﴾⁶: فَعَدَلَهَا مُسْتَوِيَةً مَلْسَاءً، لَيْسَ فِيهَا تَفَاوُتٌ وَلَا فُطُورٌ. أَوْ فَتَمَّمَهَا بِمَا عَلِمَ أَنَّهَا تَتِمُّ بِهِ وَأَصْلَحَهَا، مِنْ قَوْلِكَ: سَوَى فُلَانٌ أَمْرَ فُلَانٍ.
عَطَشَ اللَّيْلُ وَأَعْطَشَهُ اللَّهُ، كَقَوْلِكَ: ظَلَمَ وَأَظْلَمَهُ. وَيُقَالُ أَيضًا: أَعْطَشَ اللَّيْلُ، كَمَا يُقَالُ: أَظْلَمَ.

﴿وَأَخْرَجَ ضِحَاهَا﴾⁷: وَأَبْرَزَ ضَوْءَ شَمْسِهَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَالشَّمْسُ وَضِحَاهَا﴾⁸ [الشَّمْسُ: 1]. يُرِيدُ: وَضَوْئِهَا.

وَقَوْلُهُمْ: وَقَتِ الضُّحَى، لِلْوَقْتِ الَّذِي تُشْرِقُ فِيهِ الشَّمْسُ وَيَقُومُ سُلْطَانُهَا، وَأَضِيفَ اللَّيْلُ وَالشَّمْسُ إِلَى السَّمَاءِ، لِأَنَّ اللَّيْلَ ظِلُّهَا وَالشَّمْسُ هِيَ السَّرَاجُ الْمُثَقَّبُ فِي جَوْهَا.
﴿مَاءَهَا﴾⁹: عُيُونُهَا الْمُتَفَجِّرَةُ بِالمَاءِ.

﴿وَمَرَعَاهَا﴾¹⁰: وَرَعِيَّهَا، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَوْضِعُ الرَّعِيِّ.
وَنَصَبَ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ بِإِضْمَارِ "دَحَا" وَ"أَرَسَى"، وَهُوَ الْإِضْمَارُ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .
- 10 سورة ، الآية .

وَقَرَأَهُمَا الْحَسَنُ مَرْفُوعَيْنِ عَلَى الْإِنْبِدَاءِ.
فَإِنْ قُلْتَ: هَلَا أَدْخَلَ حَرْفَ الْعَطْفِ عَلَى أَخْرَجَ؟
قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْنَى: ﴿دَحَاهَا﴾¹: بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا لِلسُّكْنَى، ثُمَّ فَسَّرَ التَّمْهِيدَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي تَأْتِي سُكْنَاهَا، مِنْ تَسْوِيَةِ أَمْرِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ، وَإِمْكَانِ الْقَرَارِ عَلَيْهَا، وَالسُّكُونِ بِإِخْرَاجِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى، وَإِرْسَاءِ الْجِبَالِ وَإِنْبَاتِهَا أَوْتَادًا لَهَا حَتَّى تَسْتَقِرَّ وَيُسْتَقَرَّ عَلَيْهَا.
- وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ﴿أَخْرَجَ﴾² حَالًا بِإِضْمَارِ "قَدْ" كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ جَاءَوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾³ [النِّسَاءِ: 90].

وَأَرَادَ بِمَرْعَاهَا: مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ.
وَاسْتَعْبِرَ الرَّعْيَ لِلْإِنْسَانِ كَمَا اسْتَعْبِرَ الرَّثْعَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾⁴ [يُوسُفَ: 122].

وَقُرِي: نَرْتَعُ مِنَ الرَّعْيِ، وَلِهَذَا قِيلَ: دَلَّ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- بِذِكْرِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى عَلَى عَامَّةٍ مَا يُرْتَفَقُ بِهِ، وَيُتَمَتَّعُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى الْمِلْحُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَاءِ.
﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾⁵: فَعَلَ ذَلِكَ تَمْتِيعًا لَكُمْ، ﴿وَلَأَنْعَامِكُمْ﴾⁶، لِأَنَّ مَنَفَعَةَ ذَلِكَ التَّمْهِيدِ وَاصِلَةٌ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَنْعَامِهِمْ.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾⁷

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

﴿الطَّائِمَةُ﴾¹: الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَطْمُ عَلَى الدَّوَاهِي، أَي: تَعْلُو وَتَغْلِبُ.
وَفِي أَمْثَالِهِمْ: جَرَى الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرْيِ، وَهِيَ الْقِيَامَةُ لِطُمُومِهَا عَلَى كُلِّ هَائِلَةٍ.
وَقِيلَ: هِيَ النَّفْحَةُ الثَّانِيَةُ. وَقِيلَ: السَّاعَةُ الَّتِي يُسَاقُ فِيهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ
النَّارِ إِلَى النَّارِ.

﴿يَوْمٌ يَتَذَكَّرُ﴾² بَدَلٌ مِنْ: إِذَا جَاءَتْ، يَعْنِي: إِذَا رَأَى أَعْمَالَهُ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابِهِ تَذَكَّرَهَا
وَكَانَ قَدْ نَسِيَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾³ [الْمُجَادَلَةُ: 6].
﴿مَا﴾⁴ فِي ﴿مَا سَعَى﴾⁵ مَوْضُوعَةٌ، أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ.

﴿وَبَرَزَتْ﴾⁶: أَظْهَرَتْ وَقَرَأَ أَبُو نَهَيْكٍ: "وَبَرَزَتْ" ﴿لِمَنْ يَرَى﴾⁷ لِلرَّائِينَ جَمِيعًا، أَي:
لِكُلِّ أَحَدٍ، يَعْنِي: أَنَّهَا تُظْهِرُ إِظْهَارًا بَيِّنًا مَكْشُوفًا، يَرَاهَا أَهْلُ السَّاهِرَةِ كُلُّهُمْ، كَقَوْلِهِ: قَدْ بَيَّنَّ
الصُّبْحُ لِدِي عَيْنَيْنِ، يُرِيدُ: لِكُلِّ مَنْ لَهُ بَصَرٌ، وَهُوَ مِثْلٌ فِي الْأَمْرِ الْمُنْكَشِفِ الَّذِي لَا يَخْفَى
عَلَى أَحَدٍ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ "لِمَنْ رَأَى".

وَقَرَأَ عِكْرَمَةُ: "لِمَنْ تَرَى" وَالصَّمِيرُ لِلْجَحِيمِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ﴾⁸ [الْفُرْقَانِ: 12].
وَقِيلَ: لِمَنْ تَرَى يَا مُحَمَّدٌ.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَى﴾⁹

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .

﴿فَأَمَّا﴾¹ جَوَابٌ ﴿فَإِذَا﴾²، أَي: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ فَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ.
وَالْمَعْنَى: فَإِنَّ الْجَحِيمَ مَأْوَاهُ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ: غَضُّ الطَّرْفِ، تُرِيدُ: طَرَفَكَ، وَكَانَ
الْأَلْفُ وَاللَّامُ بَدَلًا مِنَ الْإِضَافَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الطَّاعِي هُوَ صَاحِبُ الْمَأْوَى، وَأَنَّهُ لَا
يَعُضُّ الرَّجُلُ طَرْفَ غَيْرِهِ: تَرَكْتَ الْإِضَافَةَ، وَدُخُولَ حَرْفِ التَّعْرِيفِ فِي الْمَأْوَى وَالطَّرْفِ
لِلتَّعْرِيفِ، لِأَنَّهُمَا مَعْرُوفَانِ، وَ﴿هِيَ﴾³ فَصَلَّ أَوْ مُبْتَدَأً.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾⁴

﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾⁵ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾⁶ الْمُرْدِي، وَهُوَ اتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ
وَزَجْرُهَا عَنْهُ وَضَبْطُهَا بِالصَّبْرِ وَالتَّوْطِينِ عَلَى إِثَارِ الْخَيْرِ.
وَقِيلَ: الْآيَاتَانِ نَزَلَتَا فِي أَبِي عَزِيرِ بْنِ عَمِيرٍ وَمُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ، وَقَدْ
قَتَلَ مُصْعَبٌ أَخَاهُ أَبَا عَزِيرٍ يَوْمَ أُحُدٍ، وَوَقَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَفْسِهِ حَتَّى
نَفَذَتْ الْمَشَاقِصُ فِي جَوْفِهِ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا
أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يُخَشَاهَا كَانَتْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا
إِلَّا عِشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾⁷

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾¹: متى إرساؤها، أي إقامتها، أَرَادُوا: متى يُقيمها اللهُ وَيُثَبِّتُهَا وَيَكُونُهَا؟ وَقِيلَ: أَيَّانَ مُنْتَهَاهَا وَمُسْتَقَرُّهَا، كَمَا أَنَّ مَرَسَى السَّفِينَةِ مُسْتَقَرُّهَا، حَيْثُ تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

﴿فِيمَ أَنْتَ﴾²: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْ أَنْ تُذَكِّرَ وَقَتَهَا لَهُمْ وَتُعَلِّمَهُمْ بِهِ؟ يَعْنِي: مَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا لَهُمْ وَتَبْيِينِ وَفَتْحِهَا فِي شَيْءٍ. وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ السَّاعَةَ وَيَسْأَلُ عَنْهَا حَتَّى نَزَلَتْ، فَهُوَ عَلَى هَذَا تَعَجُّبٍ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهَا لَهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: فِي أَيِّ شُعْلِ وَاهْتِمَامٍ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا وَالسُّؤَالِ عَنْهَا. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا، فَلِحِرْصِكَ عَلَى جَوَابِهِمْ لَا تَزَالُ تَذْكُرُهَا وَتَسْأَلُ عَنْهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾³، أَي: مُنْتَهَى عِلْمِهَا لَمْ يُؤْتِ عِلْمَهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ. وَقِيلَ: ﴿فِيمَ﴾⁴ إِنْكَارٌ لِسُؤَالِهِمْ، أَي: فِيمَ هَذَا السُّؤَالُ، ثُمَّ قِيلَ: أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا، أَي: إِرْسَالُكَ وَأَنْتَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَآخِرُ الرُّسُلِ الْمَبْعُوثِ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ ذِكْرٌ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِهَا، فَكَفَاهُمْ بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى دُنُوبِهَا وَمُشَارِقَتِهَا وَوُجُوبِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهَا، وَلَا مَعْنَى لِسُؤَالِهِمْ عَنْهَا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِنْ يَخْشَاهَا﴾⁵، أَي: لَمْ تُبْعَثْ لِتُعَلِّمَهُمْ بِوَقْتِ السَّاعَةِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ. وَإِنَّمَا بُعِثْتَ لِتُنْذِرَ مِنْ أَهْوَالِهَا مَنْ يَكُونُ مِنْ إِنْذَارِكَ لُطْفًا لَهُ فِي الْخَشْيَةِ مِنْهَا.

وَقُرِئَ: "مُنْذِرٌ" بِالتَّنْوِينِ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَالْإِضَافَةُ تَخْفِيفٌ، وَكِلَاهُمَا يَصْلُحُ لِلْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، فَإِذَا أُرِيدَ الْمَاضِي فَلَيْسَ إِلَّا الْإِضَافَةُ، كَقَوْلِكَ: هُوَ مُنْذِرٌ زَيْدٍ أَمْسٍ، أَي: كَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبِثُوا فِي الدُّنْيَا.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

وَقِيلَ: فِي الْقُبُورِ: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾¹.
فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّتْ إِضَافَةُ الضُّحَى إِلَى الْعَشِيَّةِ؟
قُلْتُ: لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَابَسَةِ لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي نَهَارٍ وَاحِدٍ.
فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِيلَ: إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَى وَمَا فَائِدَةُ الْإِضَافَةِ؟
قُلْتُ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ لُبْسِهِمْ كَأَنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ يَوْمًا كَامِلًا، وَلَكِنْ سَاعَةً مِنْ عَشِيَّتِهِ
أَوْ ضُحَاهُ، فَلَمَّا تَرَكَ الْيَوْمَ أَضَافَهُ إِلَى عَشِيَّتِهِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ
نَهَارٍ﴾² [الأحقاف: 35].
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [وَالنَّازِعَاتِ] كَانَ مِمَّنْ
حَبَسَهُ اللَّهُ فِي الْقَبْرِ وَالْقِيَامَةِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَدَرُ صَلَاةِ الْمُكْتُوبَةِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ،

وآياتها 42 وقيل 41

[نزلت بعد النجم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَا
مَنْ اسْتَعْتَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى
وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى﴾¹

أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابن أم مكتوم -وأم مكتوم أم أبيه،
واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده
صناديد فريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام.

والعباس بن عبد المطلب، وأميه بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى
الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم. فقال: يا رسول الله، أفرئتني وعلمني مما علمك
الله، وكررت ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، فنزلت فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
يكرمه ويقول إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه
على المدينة مرتين.

¹ سورة، الآية .

وَقَالَ أَنَسٌ: رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَلَهُ زَايَةٌ سُودَاءُ.
 وَقُرِئَ: "عَبَسَ" بِالتَّشْدِيدِ لِلْمِبَالِغَةِ، وَنَحْوَهُ: كَلَّحَ فِي كَلَّحٍ.
 ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾¹ مَنْصُوبٌ بِ "تَوَلَّى"، أَوْ بِ "عَبَسَ"، عَلَى اخْتِلَافِ الْمَذْهَبَيْنِ. وَمَعْنَاهُ:
 عَبَسَ لِأَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. أَوْ أَعْرَضَ لِذَلِكَ.

وَقُرِئَ أَنْ جَاءَهُ بِهِمَزَتَيْنِ وَبِأَلْفٍ بَيْنَهُمَا، وَوَقَفَ عَلَى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾² ثُمَّ ابْتَدَى،
 عَلَى مَعْنَى: أَلَّا أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى فَعَلَ ذَلِكَ إِنْكَارًا عَلَيْهِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ مَا عَبَسَ بَعْدَهَا فِي وَجْهِهِ فَقَطُّ، وَلَا تَصَدَّى لِعَيْيٍّ. وَفِي الْإِخْبَارِ عَمَّا
 فَرَطَ مِنْهُ، ثُمَّ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِالْخِطَابِ: دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَةِ الْإِنْكَارِ، كَمَا يَشْكُو إِلَى النَّاسِ جَانِبًا
 جَنَى عَلَيْهِ، تَمَّ يُقْبَلُ عَلَى الْجَانِبِ إِذَا حَمِيَ فِي الشَّكَايَةِ مُوَاجِهًا لَهُ بِالتَّوْبِيخِ وَالزَّامِ الْحُجَّةِ.
 وَفِي ذِكْرِ الْأَعْمَى نَحْوُ مِنْ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ اسْتَحَقَّ عِنْدَهُ الْعُبُوسُ وَالْإِعْرَاضُ
 لِأَنَّهُ أَعْمَى، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَزِيدَهُ لِعَمَاهُ تَعَطُّفًا وَتَرَوُّفًا وَتَفَرُّبًا وَتَرْجِيئًا. وَلَقَدْ تَأَدَّبَ النَّاسُ
 بِأَدَبِ اللَّهِ فِي هَذَا تَأَدُّبًا حَسَنًا، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْفُقَرَاءَ كَانُوا فِي
 مَجْلِسِهِ أَمْرَاءَ.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾³: وَأَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُكَ دَارِيًا بِحَالِ هَذَا الْأَعْمَى؟

﴿لَعَلَّهُ يَزْكِي﴾⁴، أَي: يَتَطَهَّرُ بِمَا يَتَلَقَّنُ مِنَ الشَّرَائِعِ مِنْ بَعْضِ أَوْصَارِ الْإِثْمِ ﴿أَوْ
 يَذْكُرُ﴾⁵ أَوْ يَتَّبِعُ.

﴿فَتَنْفَعَهُ﴾⁶ ذِكْرًا، أَي: مَوْعِظَتِكَ، وَتَكُونُ لَهُ لُطْفًا فِي بَعْضِ الطَّاعَاتِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّكَ لَا تَدْرِي مَا هُوَ مُتَرَقِّبٌ مِنْهُ، مِنْ تَرَكَ أَوْ تَذَكَّرَ، وَلَوْ دَرَيْتَ لَمَا فَرَطَ
 ذَلِكَ مِنْكَ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

وَقِيلَ: الصِّمِيرُ فِي ﴿لَعَلَّهُ﴾¹ لِلْكَافِرِ. يَعْنِي أَنَّكَ طَمِعْتَ فِي أَنْ يَتَزَكَّى بِالْإِسْلَامِ، أَوْ يَتَذَكَّرَ، فَتَمَرَّبَهُ الذِّكْرَى إِلَى قَبُولِ الْحَقِّ، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَا طَمِعْتَ فِيهِ كَائِنٌ. وَقُرِئَ: فَتَنْفَعُهُ، بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى يَذَكَّرُ. وَبِالنَّصْبِ جَوَابًا لِلْعَلِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى﴾² [غَافِرٍ: 37].

﴿تَصَدَّى﴾³: تَتَعَرَّضُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالْمُصَادَاةُ، الْمُعَارَضَةُ. وَقُرِئَ: تَصَدَّى، بِالتَّشْدِيدِ، بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الصَّادِ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: تَصَدَّى، بِضَمِّ التَّاءِ، أَيُّ: تُعْرَضُ.

وَمَعْنَاهُ: يَدْعُوكَ دَاعٍ إِلَى التَّصَدِّي لَهُ: مِنَ الْحِرْصِ وَالتَّهَالُكِ عَلَى إِسْلَامِهِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي أَنْ لَا يَتَزَكَّى بِالْإِسْلَامِ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾⁴ [الشُّورَى: 48]. ﴿يَسْعَى﴾⁵: يُسْرِعُ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ، ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾⁶ اللَّهُ أَوْ يَخْشَى الْكُفَّارَ وَأَذَاهُمْ فِي إِتْيَانِكَ.

وَقِيلَ: جَاءَ وَلَيْسَ مَعَهُ قَائِدٌ، فَهُوَ يَخْشَى الْكِبُونَ. ﴿تَلَهَّى﴾⁷: تَتَشَاغَلُ، مِنْ لَهْيٍ عَنْهُ. وَالتَّهَى. وَتَلَهَّى. وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: تَتَلَهَّى، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: تَلَهَّى؛ أَيُّ: يُلْهِيكَ شَأْنُ الصَّنَادِيدِ، فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾⁸، "فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى" كَأَنَّ فِيهِ اخْتِصَاصًا. قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَعْنَاهُ: إِنْكَارُ التَّصَدِّي وَالتَّلَهَّى عَلَيْهِ، أَيُّ: مِثْلَكَ خُصُوصًا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَصَدَّى لِلْغَنِيِّ وَيَتَلَهَّى عَنِ الْفَقِيرِ.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ¹

﴿كَلَّا﴾² رَدُّعٍ عَنِ الْمُعَاتِبِ عَلَيْهِ، وَعَنْ مُعَاوَدَةِ مِثْلِهِ، ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾³، أَي: مَوْعِظَةٌ يَجِبُ الْإِتِّعَاطُ وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾⁴، أَي: كَانَ حَافِظًا لَهُ غَيْرَ نَاسٍ، وَذَكَرَ الضَّمِيرُ، لِأَنَّ التَّذْكَرَةَ فِي مَعْنَى الذِّكْرِ وَالْوَعْظِ.

﴿فِي صُحُفٍ﴾⁵ صِفَةٌ لِتَذْكَرَةَ، يَعْنِي: أَنَّهَا مُثَبَّتَةٌ فِي صُحُفٍ مُنْتَسَخَةٍ مِنَ اللَّوْحِ، ﴿مُكْرَمَةٍ﴾⁶ عِنْدَ اللَّهِ، ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾⁷ فِي السَّمَاءِ. أَوْ مَرْفُوعَةٍ الْمِقْدَارِ، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾⁸: مُنْزَهَةٍ عَنِ أَيْدِي الشَّيَاطِينِ، لَا يَمَسُّهَا إِلَّا أَيْدِي مَلَائِكَةِ مُطَهَّرِينَ، ﴿سَفَرَةٍ﴾⁹: كَتَبَتْ يَنْتَسِخُونَ الْكُتُبَ مِنَ اللَّوْحِ، ﴿بَرَرَةٍ﴾¹⁰: أَتْقِيَاءَ. وَقِيلَ: هِيَ صُحُفُ الْأَنْبِيَاءِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾¹¹ [الأعلى]:

[188].

وَقِيلَ: السَّفَرَةُ: الْقُرْءَاءُ. وَقِيلَ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿قَتِيلَ الْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ
يَسْرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .
- 10 سورة ، الآية .
- 11 سورة ، الآية .

كَلَّا لَمَا يَفْضُ مَا أَمْرُهُ¹

﴿قَبِلَ الْإِنْسَانَ﴾²: دُعَاءٌ عَلَيْهِ، وَهِيَ مِنْ أَشْنَعِ دَعَوَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْقَتْلَ قُصَارَى شِدَائِدِ الدُّنْيَا وَفَطَانِيعِهَا.

و﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾³: تَعَجُّبٌ مِنْ إِفْرَاطِهِ فِي كُفْرَانِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَلَا تَرَى أُسْلُوبًا أَغْلَطَ مِنْهُ، وَلَا أَحْشَنَ مَسًّا، وَلَا أَدَلَّ عَلَى سُخْطِ، وَلَا أَبْعَدَ شَوْطًا فِي الْمَدْمَمَةِ، مَعَ تَقَارُبِ طَرْفِيهِ، وَلَا أَجْمَعَ لِلْإِيمَةِ عَلَى قِصَرِ مَتْنِهِ ثُمَّ أَحَدَ فِي وَصْفِ حَالِهِ مِنْ ابْتِدَاءِ خُدُوثِهِ، إِلَى أَنْ انْتَهَى وَمَا هُوَ مَعْمُورٌ فِيهِ مِنْ أَصُولِ النَّعْمِ وَفُرُوعِهَا.

وَمَا هُوَ غَارِزٌ فِيهِ رَأْسَهُ مِنَ الْكُفْرَانِ وَالْعَمَطِ وَقِلَّةِ الْإِنْفِاتِ إِلَى مَا يَتَقَلَّبُ فِيهِ وَإِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْقِيَامِ بِالشُّكْرِ.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾⁴: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ حَقِيرٍ مَهِينٍ خَلَقَهُ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ الشَّيْءَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾⁵، فَهِيَ أَلَمَّا يَصْلُحُ لَهُ وَيَخْتَصُّ بِهِ. وَنَحْوُ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾⁶ [الْفُرْقَانِ: 22].

نَصَبَ السَّبِيلِ بِإِضْمَارِ "يَسَّرَ" وَفَسَّرَهُ بِبَسَّرَ.

وَالْمَعْنَى: ثُمَّ سَهَّلَ سَبِيلَهُ، وَهُوَ مَخْرَجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ. أَوْ السَّبِيلَ الَّذِي يَخْتَارُ سُلوَكُهُ مِنْ طَرِيقِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِإِفْدَارِهِ وَتَمَكِينِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾⁷ [الْإِنْسَانِ: 3].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: بَيَّنَّ لَهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، ﴿فَأَقْبِرَهُ﴾⁸: فَجَعَلَهُ ذَا قَبْرِ يُوَارَى فِيهِ تَكْرِمَةً لَهُ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَطْرُوحًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ جَزْرًا لِلسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

يُقَالُ: قَبِرَ الْمَيِّتَ إِذَا دَفَنَهُ. وَأَقْبَرَهُ الْمَيِّتَ. إِذَا أَمَرَهُ أَنْ يُقْبِرَهُ وَمَكَّنَهُ مِنْهُ. وَمِنْهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ لِلْحَجَّاجِ: أَقْبِرْنَا صَالِحًا.

﴿أَنْشَرُهُ﴾¹: أَنْشَأَهُ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى. وَقُرِئَ: نَشَرُهُ.

﴿كَلَامًا﴾²: رَدَّعَ لِلْإِنْسَانِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، ﴿لَمَّا يَنْقُضُ﴾³: لَمْ يَنْقُضِ بَعْدُ، مَعَ تَطَاوُلِ الزَّمَانِ وَامْتِدَادِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، ﴿مَا أَمَرَهُ﴾⁴ اللَّهُ حَتَّى يَخْرُجَ عَنْ جَمِيعِ أَوَامِرِهِ، يَعْنِي: أَنَّ إِنْسَانًا لَمْ يَخُلْ مِنْ تَقْصِيرٍ قَطُّ.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبْتًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾⁵

وَلَمَّا عَدَّدَ النَّعَمَ فِي نَفْسِهِ: أَتْبَعَهُ ذَكَرَ النَّعَمِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾⁶: إِلَى مَطْعَمِهِ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ كَيْفَ دَبَّرْنَا أَمْرَهُ، ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾⁷، يَعْنِي الْغَيْثَ.

قُرِئَ بِالْكَسْرِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَبِالْفَتْحِ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الطَّعَامِ.

وَقَرَأَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "أَنِّي صَبَبْنَا" بِالْإِمَالَةِ عَلَى مَعْنَى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ كَيْفَ صَبَبْنَا الْمَاءَ.

وَشَقَقْنَا: مِنْ شَقَّ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ شَقَّهَا بِالْكَرَابِ عَلَى الْبَقْرِ، وَأَسْنَدَ الشَّكَّ إِلَى نَفْسِهِ إِسْنَادَ الْفِعْلِ إِلَى السَّبَبِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

وَالْحَبُّ: كُلُّ مَا خُصِدَ مِنْ نَحْوِ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا.
وَالْقَضْبُ: الرُّطْبَةُ. وَالْمِقْضَابُ: أَرْضُهُ، سُمِّيَ بِمَصْدَرِ قَضَبَهُ إِذَا قَطَعَهُ، لِأَنَّهُ يُقْضَبُ
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

﴿وَحَدَائِقُ غُلْبًا﴾¹، يُحْتَمَلُ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ حَدِيقَةٍ غُلْبَاءً، فَيُرِيدُ تَكَاثُفَهَا وَكَثْرَةَ
أَشْجَارِهَا وَعِظَمَهَا، كَمَا تَقُولُ: حَدِيقَةٌ صَحْمَةٌ، وَأَنْ يَجْعَلَ شَجَرَهَا غُلْبًا، أَي: عِظَامًا غِلَاطًا.
وَالْأَصْلُ فِي الْوَصْفِ بِالْغُلْبِ: الرَّقَابُ، فَاسْتَعِيرَ.
قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ:

يَمْشِي بِهَا غُلْبُ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ بَزَلُ كُسَيْنٍ مِنَ الْكُحَيْلِ جَلَالًا
وَالْأَبُّ: الْمَرْعَى، لِأَنَّهُ يُؤَبُّ أَي يُؤَمُّ وَيُنْتَجِعُ. وَالْأَبُّ وَالْأُمُّ أَخَوَانِ قَالَ:
جَدُّنَا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا وَلَنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ
وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَبِّ، فَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ
تُظَلِّبِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّبِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ.

وَعَنْ عَمْرِو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: كُلُّ هَذَا قَدْ عَرَفْنَا، فَمَا
الْأَبُّ؟ ثُمَّ رَفَضَ عَصَا كَانَتْ بِيَدِهِ وَقَالَ: هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ التَّكْلُفُ، وَمَا عَلَيْكَ يَا ابْنَ أُمِّ عَمْرٍو أَنْ
لَا تَدْرِي مَا الْأَبُّ، ثُمَّ قَالَ: اتَّبِعُوا مَا تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَمَا لَا فَدَعُوهُ.
فَإِنْ قُلْتُ: فَهَذَا يُشْبِهُ النَّهْيَ عَنِ تَتَبُعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْبَحْثِ عَنْ مُشْكَلَاتِهِ.
قُلْتُ: لَمْ يَذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ كَانَتْ أَكْبَرُ هِمَّتِهِمْ عَاكِفَةً عَلَى الْعَمَلِ، وَكَانَ
التَّشَاغُلُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ لَا يُعْمَلُ بِهِ تَكْلُفًا عِنْدَهُمْ، فَأَرَادَ أَنَّ الْآيَةَ مَسْوُوقَةٌ فِي الْإِمْتِنَانِ عَلَى
الْإِنْسَانِ بِمَطْعَمِهِ وَاسْتِدْعَاءِ شُكْرِهِ؛ وَقَدْ عَلِمَ مِنْ فَحْوَى الْآيَةِ أَنَّ الْأَبَّ بَعْضُ مَا أَنْبَتَهُ اللَّهُ
لِلْإِنْسَانِ مَتَاعًا لَهُ أَوْ لِأَنْعَامِهِ.

فَعَلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنَ التُّهُؤُصِ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ -عَلَى مَا تَبَيَّنَ لَكَ وَلَمْ يُشْكَلْ- مِمَّا
عَدَدَ مِنْ نِعْمِهِ، وَلَا تَتَشَاغَلْ عَنْهُ بِطَلْبِ مَعْنَى الْأَبِّ وَمَعْرِفَةِ النَّبَاتِ الْخَاصِّ الَّذِي هُوَ اسْمٌ لَهُ،
وَكَتَفَ بِالْمَعْرِفَةِ الْجَمِيلَةِ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ، ثُمَّ وَصَى النَّاسَ بِأَنْ يَجْرُوا
عَلَى هَذَا السَّنَنِ فِيمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ مُشْكَلَاتِ الْقُرْآنِ.

¹ سورة، الآية .

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾¹

يُقَالُ: صَحَّ لِحَدِيثِهِ، مِثْلُ: أَصَاحَ لَهُ، فَوُصِفَتِ النَّفْحَةُ بِالصَّاحَّةِ مَجَازًا، لِأَنَّ النَّاسَ
يَصْحُونُ لَهَا.

﴿يَفِرُّ﴾² مِنْهُمْ لِاشْتِغَالِهِ بِمَا هُوَ مَذْفُوعٌ إِلَيْهِ، وَلِعَلِمِهِ أَنََّّهُمْ لَا يُغْنُونَ عَنْهُ شَيْئًا، وَبَدَأَ
بِالْأَخِ، ثُمَّ بِالْأَبَوَيْنِ، لِأَنَّهُمَا أَقْرَبُ مِنْهُ، ثُمَّ بِالصَّاحِبَةِ وَالْبَنِينَ، لِأَنََّّهُمْ أَقْرَبُ وَأَحَبُّ، كَأَنَّهُ قَالَ:
يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ، بَلْ مِنْ أَبَوَيْهِ، بَلْ مِنْ صَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ.

وَقِيلَ: يَفِرُّ مِنْهُمْ حَدَرًا مِنْ مُطَالَبَتِهِمْ بِالتَّبِعَاتِ.

يَقُولُ الْأَخُ: لَمْ تُوَاسِنِي بِمَالِكَ.

وَالْأَبَوَانِ: قَصَرْتَ فِي يَرِّنَا.

وَالصَّاحِبَةُ: أَطْمَعْتَنِي الْحَرَامَ وَفَعَلْتَ وَصَنَعْتَ.

وَالْبَنُونَ: لَمْ تَعَلَّمْنَا وَلَمْ تُرْشِدْنَا.

وَقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ: هَابِيلُ، وَمِنْ أَبَوَيْهِ: إِبْرَاهِيمُ.

وَمِنْ صَاحِبَتِهِ: نُوحٌ وَلُوطُ، وَمِنْ ابْنِهِ نُوحٌ.

﴿يُغْنِيهِ﴾³: يَكْفِيهِ فِي الْإِهْتِمَامِ بِهِ.

وَقَرِيءٌ "يَغْنِيهِ"، أَي: يُهْمُهُ.

﴿مُسْفِرَةٌ﴾⁴: مُضِيئَةٌ مُتَهَلِّلَةٌ، مِنْ أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، لِمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ: "مَنْ

كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ".

وَعَنِ الصَّحَّاحِ: مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَقِيلَ: مِنْ طُولِ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
﴿عَبْرَةٌ﴾¹: غُبَارٌ يَغْلُوهَا، ﴿فِتْرَةٌ﴾²: سَوَادٌ كَالدُّخَانِ، وَلَا تَرَى أَوْحَشَ مِنْ اجْتِمَاعِ
الْغَبْرَةِ وَالسَّوَادِ فِي الْوَجْهِ، كَمَا تَرَى مِنْ وُجُوهِ الزُّنُوجِ إِذَا اغْبَرَّتْ، وَكَأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-
يَجْمَعُ إِلَى سَوَادِ وُجُوهِهمُ الْغَبْرَةَ، كَمَا جَمَعُوا الْفُجُورَ إِلَى الْكُفْرِ.
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [عَبَسَ وَتَوَلَّى] جَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَوَجْهُهُ صَاحِكٌ مُسْتَبَشِرٌ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

]

[

[]
مَكِّيَّةٌ، وآيَاتُهَا [تَزَلَّتْ بَعْدَ الْمَسَدِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ
عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ
وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ
عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾¹

في التَّكْوِيرِ وَجِهَانٍ: أَنْ يَكُونَ مِنَ كَوَّرَتْ الْعِمَامَةَ إِذَا لَفَّتْهَا، أَي: يَلْفُ صَوَّءَهَا لَفًّا
فَيَذْهَبُ انْبِسَاطُهُ وَانْتِشَارُهُ فِي الْآفَاقِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ إِزَالَتِهَا وَالذَّهَابِ بِهَا، لِأَنَّهَا مَا دَامَتْ
بَاقِيَةً كَانَ ضِيَاؤُهَا مُنْبَسِطًا غَيْرَ مَلْفُوفٍ. أَوْ يَكُونُ لَفُّهَا عِبَارَةً عَنِ رَفْعِهَا وَسِتْرِهَا، لِأَنَّ الثُّوبَ
إِذَا أُرِيدَ رَفَعُهُ لَفَّ وَطَوَى، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾² [الْأَنْبِيَاءُ: 1044]. أَنْ
يَكُونَ مَنْ طَعَنَهُ فَجَوَّرَهُ وَكَوَّرَهُ: إِذَا أَلْقَاهُ، أَي: تَلَقَّى وَتَطَرَّحَ عَنْ فَلَكِهَا، كَمَا وَصِفَتْ
النُّجُومُ بِالْإِنْكَدَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ أَوْ الْفَاعِلِيَّةِ؟

¹ سورة ، الآية .

² سورة ، الآية .

قُلْتُ: بَلْ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ رَافِعُهَا فِعْلٌ مُضْمَرٌ يُفَسِّرُهُ كَوَّرْتُ، لِأَنَّ "إِذَا" يَطْلُبُ الْفِعْلَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ.

﴿انْكَدَرْتُ﴾¹: انْقَضَتْ.

قَالَ:

أَبْصَرَ حَرَبَانِ فَضَاءً فَانْكَدَرَ

وَيُرْوَى فِي الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ: أَنَّهَا تُطْرَحُ فِي جَهَنَّمَ لِيَرَاهَا مِنْ عِبَادِهَا كَمَا قَالَ:
﴿تَنْكُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾² [الأنبياء: 98].

﴿سَيَّرْتُ﴾³، أَي: عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَأَبْعَدَتْ. أَوْ سَيَّرْتُ فِي الْجَوِّ تَسْيِيرَ السَّحَابِ
كَقَوْلِهِ: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾⁴ [التَّمَلُّ: 888].

وَالْعِشَارُ فِي جَمْعِ عَشْرَاءَ، كَالنَّفَاسِ فِي جَمْعِ نَفَسَاءَ، وَهِيَ الَّتِي أَتَى عَلَى حَمْلِهَا
عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، ثُمَّ هُوَ اسْمُهَا إِلَى أَنْ تَضَعَ لِتَمَامِ السَّنَةِ، وَهِيَ أَنْفُسُ مَا تَكُونُ عِنْدَ أَهْلِهَا
وَأَعْرُهَا.

﴿عَطَلْتُ﴾⁵: تَرَكْتُ مُسَيِّئَةً مُهْمَلَةً. وَقِيلَ: عَطَلْتُ أَهْلَهَا عَنِ الْحَلْبِ وَالصَّرِّ،
لِاشْتِغَالِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَقُرِئَ: عَطَلْتُ بِالتَّخْفِيفِ.

﴿حَشِرْتُ﴾⁶: جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الدُّبَابُ لِلْقِصَاصِ.

وَقِيلَ: إِذَا قُضِيَ بَيْنَهَا رُدَّتْ تُرَابًا فَلَا يَبْقَى مِنْهَا إِلَّا مَا فِيهِ سُورٌ لِبَنِي آدَمَ وَإِعْجَابٌ
بِصُورَتِهِ. كَالطَّأْوُوسِ وَنَحْوِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: حَشَرُهَا مَوْتُهَا. يُقَالُ: إِذَا أَجْحَفَتِ السَّنَةُ
بِالنَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ حَشَرْتَهُمُ السَّنَةُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

وَقُرِّئَ: حُشِرَتْ بِالتَّشْدِيدِ.

﴿سُجِّرَتْ﴾¹ قُرِّئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، مِنْ سَجَرَ التَّنُّورَ: إِذَا مَلَأَهُ بِالْحَطَبِ، أَي: مُلِئَتْ وَفُجِّرَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى تَعُودَ بَحْرًا وَاحِدًا.

وَقِيلَ: مُلِئَتْ نِيرَانًا تَصْطَرِمُ لِتَعْدِيبِ أَهْلِ النَّارِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: يَذْهَبُ مَاؤُهَا فَلَا تَبْقَى فِيهَا قَطْرَةٌ.

﴿زُوجَتْ﴾²: قُرِنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِشَكْلِهَا.

وَقِيلَ: قُرِنَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ. وَقِيلَ: بِكُتُبِهَا وَأَعْمَالِهَا.

وَعَنِ الْحَسَنِ هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾³ [الْوَاقِعَةُ: 7].

وَقِيلَ: نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ، وَنُفُوسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ.

وَأَدَّ يَدٌ مَقْلُوبٌ مَنْ آدَ يُؤُدُّ: إِذَا أَنْقَلَ. قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلَا يُؤُدُّهُ

حِفْظُهُمَا﴾⁴ [البقرة: 255]، لِأَنَّهُ إِثْقَالٌ بِالتَّرَابِ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وُلِدَتْ لَهُ بِنْتُ، فَأَرَادَ

أَنْ يَسْتَحْيِيَهَا: أَلْبَسَهَا جُبَّةً مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ تَرَعَى لَهُ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فِي الْبَادِيَةِ؛ وَإِنْ أَرَادَ،

فَتَلَّهَا تَرَكَهَا حَتَّى إِذَا كَانَتْ سُدَاسِيَّةً، فَيَقُولُ لِأُمِّهَا: طَيِّبِيهَا وَرَبِّيَهَا، حَتَّى أَذْهَبَ بِهَا إِلَى

أَحْمَائِهَا؛ وَقَدْ حَفَرَ لَهَا بئْرًا فِي الصَّحْرَاءِ، فَيَبْلُغُ بِهَا الْبئْرَ، فَيَقُولُ لَهَا: انظُرِي فِيهَا؛ ثُمَّ

يَدْفَعُهَا مِنْ خَلْفِهَا وَيُهَيِّلُ عَلَيْهَا التَّرَابَ، حَتَّى تَسْتَوِيَ الْبئْرُ بِالأَرْضِ.

وَقِيلَ: كَانَتْ الْحَامِلُ إِذَا أَقْرَبَتْ حَفَرَتْ حُفْرَةً، فَتَمَخَّضَتْ عَلَى رَأْسِ الْحُفْرَةِ؛ فَإِذَا

وَلَدَتْ بِنْتًا رَمَتْ بِهَا فِي الْحُفْرَةِ، وَإِنْ وُلِدَتْ ابْنًا حَبَسَتْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا حَمَلَهُمْ عَلَى وَادِ الْبِنَاتِ؟

قُلْتُ: الخَوْفُ مِنْ لُحُوقِ الْعَارِ بِهِمْ مِنْ أَجْلِهِنَّ. أَوْ الخَوْفُ مِنَ الْإِمْلَاقِ، كَمَا قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾⁵ [الإسراء: 311]. وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ

الْمَلَائِكَةَ بِنَاتُ اللَّهِ، فَالْحَقُّوا الْبِنَاتِ بِهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِنَّ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

وَصَغَصَعَهُ بِنُ نَاجِيَةٍ مِمَّنْ مَنَعَ الْوَأْدَ، فِيهِ افْتَحَرَ الْفَرَزْدَقُ فِي قَوْلِهِ:
وَمِمَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ فَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ تُوَادِ
فَإِنْ قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى سُؤَالِ الْمُؤَوَّدَةِ عَنْ ذَنْبِهَا الَّذِي قُتِلَتْ بِهِ، وَهَلَّا سُئِلَ الْوَائِدُ عَنْ
مُوجِبِ قَتْلِهِ لَهَا؟

قُلْتُ: سُؤَالُهَا وَجَوَابُهَا تَبَكُّيْتُ لِقَاتِلِهَا نَحْوَ التَّبَكُّيْتُ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-
لِعِيسَى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾¹ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي
بِحَقٍّ﴾² [المائدة: 1166].

وَقُرِيءَ: سَأَلْتُ، أَيُّ: خَاصَمْتُ عَنْ نَفْسِهَا، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَوْ قَاتَلَهَا.
وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿قُتِلْتُ﴾³ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِخْبَارٌ عَنْهَا، وَلَوْ حَكَى مَا خُوِطِبَتْ بِهِ
حِينَ سُئِلَتْ. فِقِيلَ: قُتِلْتُ أَوْ كِلَاهُمَا حِينَ سُئِلْتُ لِقِيلَ: قُتِلْتُ.
وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ عَنْهُمَا-: قُتِلْتُ، عَلَى الْحِكَايَةِ.
وَقُرِيءَ: قُتِلْتُ، بِالتَّشْدِيدِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ بَيْنَ عَلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ لَا يُعَدَّبُونَ، وَعَلَى
أَنَّ التَّعْذِيبَ لَا يُسْتَحَقُّ إِلَّا بِالدُّنْبِ، وَإِذَا بَكَتَ اللَّهُ الْكَافِرَ بِبِرَاءَةِ الْمُؤَوَّدَةِ مِنَ الدُّنْبِ: فَمَا
أَفْبَحَ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ أَنْ يَكُرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ هَذَا التَّبَكُّيْتُ فَيَفْعَلُ بِهَا مَا
تَنَسَّى عِنْدَهُ فِعْلَ الْمُبَكَّتِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ السَّرْمَدِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ.
"نُشِرَتْ" قُرِيءَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، يُرِيدُ: صُحُفَ الْأَعْمَالِ تُطَوَّى صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ
عِنْدَ مَوْتِهِ، ثُمَّ تَنْتَشِرُ إِذَا حُوسِبَ.

عَنْ قَتَادَةَ: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ تُطَوَّى عَلَى عَمَلِكَ، ثُمَّ تُنْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ
رَجُلٌ مَا يُمَلَى فِي صَحِيفَتِهِ. وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: إِلَيْكَ يُسَاقُ
الْأَمْرُ يَا ابْنَ آدَمَ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

وَعَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: "يُحَسِّرُ النَّاسُ عُرَاءَهُ خُفَاءَهُ" فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: كَيْفَ بِالنِّسَاءِ؟ فَقَالَ: شِعْلُ النَّاسِ يَا أُمَّ سَلَمَةَ. قَالَتْ: وَمَا شِعْلُهُمْ؟ قَالَ: نَشْرُ الصُّحُفِ فِيهَا مَثَاقِيلُ الدَّرِّ وَمَثَاقِيلُ الْحَرْدَلِ".

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: نُشِرَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهَا، أَيْ: فُرِّقَتْ بَيْنَهُمْ. وَعَنْ مَرْثَدِ بْنِ وَدَاعَةَ: إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَطَابَرَتِ الصُّحُفُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَتَقَعُ صَحِيفَةُ الْمُؤْمِنِ فِي يَدِهِ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، وَتَقَعُ صَحِيفَةُ الْكَافِرِ فِي يَدِهِ فِي سُومٍ وَحَمِيمٍ؛ أَيْ مَكْتُوبٌ فِيهَا ذَلِكَ، وَهِيَ صُحُفٌ غَيْرُ صُحُفِ الْأَعْمَالِ.

﴿كُشِطَتْ﴾¹: كُشِفَتْ وَأُزِيلَتْ، كَمَا يُكْشِطُ الْإِهَابُ عَنِ الدَّبِيحَةِ، وَالْعِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فُشِطَتْ. وَاعْتِقَابُ الْكَافِ وَالْقَافِ كَثِيرٌ. يُقَالُ: لَبِئْتُ الشَّرِيدَ وَلَبَيْتُهُ، وَالْكَافُورُ وَالْقَافُورُ.

﴿سُعِرَتْ﴾²: أُوقِدَتْ إِيقَادًا شَدِيدًا. وَفَرِيءٌ: سُعِرَتْ بِالشَّدِيدِ لِلْمِبَالِغَةِ.

قِيلَ: سَعَرَهَا غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ.

﴿أُزِلَّتْ﴾³: أُذِنَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأُزِلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ

بَعِيدٍ﴾⁴ [ق: 311].

قِيلَ: هَذِهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ حَصْلَةً. سِتُّ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، وَسِتُّ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَمِلَتْ هُوَ عَامِلُ النَّصْبِ فِي ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾⁵، وَفِيمَا عَطَفَ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كُلُّ نَفْسٍ تَعْلَمُ مَا أَحْضَرَتْ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ

خَيْرٍ مُخَضَّرًا﴾⁶ [آلِ عِمْرَانَ: 30]. لَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ؛ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾⁷؟

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ مِنْ عَكْسِ كَلَامِهِمُ الَّذِي يَقْصِدُونَ بِهِ الْإِفْرَاطَ فِيمَا يُعَكِّسُ عَنْهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾¹ [الحجر: 2]. وَمَعْنَاهُ: مَعْنَى كَمْ وَأَبْلَغُ مِنْهُ.
وَقَوْلُ الْقَائِلِ:

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصَفَّرًا أَنَامِلُهُ

وَتَقُولُ لِبَعْضِ فُؤَادِ الْعَسَاكِرِ: كَمْ عِنْدَكَ مِنَ الْفُرْسَانِ؟ فَيَقُولُ: رَبُّ فَارِسٍ عِنْدِي. أَوْ لَا تَعْدُمُ عِنْدِي فَارِسًا، وَعِنْدَهُ الْمَقَانِبُ، وَقَصْدُهُ بِذَلِكَ التَّمَادِي فِي تَكْثِيرِ فُرْسَانِهِ. وَلَكِنَّهُ أَرَادَ إِظْهَارَ بَرَاءَتِهِ مِنَ التَّزْيِيدِ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ يُقَلُّ كَثِيرَ مَا عِنْدَهُ، فَضَلًّا أَنْ يَتَزَيَّدَ، فَجَاءَ بِلَفْظِ التَّقْلِيلِ، فَفُهِمَ مِنْهُ مَعْنَى الْكَثْرَةِ عَلَى الصَّحَّةِ وَالْيَقِينِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ قَارِئًا قَرَأَهَا عِنْدَهُ؛ فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾²، قَالَ: وَانْقِطَاعَ ظَهْرِيَاةَ.

﴿قَلَّا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾³

الْخُنُوسِ: الرَّوَاجِعُ، بَيْنَمَا تَرَى النَّجْمَ فِي آخِرِ الْبُرْجِ إِذْ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى أَوَّلِهِ.
وَ﴿الْجَوَارِ﴾⁴: السَّيَّارَةُ.

وَ﴿الْكُنُوسِ﴾⁵: الْغَيْبِ مِنْ كُنَسَ الْوَحْشِيُّ: إِذَا دَخَلَ كِنَاسَهُ.

قِيلَ: هِيَ الدَّرَارِيُّ الْخَمْسَةُ: بَهْرَامُ وَرَحْلٌ، وَعُطَارْدُ، وَالزَّهْرَةُ، وَالْمُشْتَرِي، تَجْرِي مَعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتَرْجِعُ حَتَّى تَخْفَى تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ: فَخُنُوسُهَا رُجُوعُهَا: وَكُنُوسُهَا: اخْتِنَافُهَا تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

وَقِيلَ: هِيَ جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ، تَخْسِسُ بِالنَّهَارِ فَتَغِيبُ عَنِ الْعُيُونِ، وَتَكْسِسُ بِاللَّيْلِ: أَي تَطْلُعُ فِي أَمَاكِبِهَا، كَالْوَحْشِ فِي كُنُسِهَا، عَسَعَسَ اللَّيْلُ وَسَعَسَعَ: إِذَا أَدْبَرَ.
قَالَ الْعَجَّاجُ:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسًا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَعَسَا
وَقِيلَ عَسَعَسَ: إِذَا أَقْبَلَ ظِلَامُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى تَنَفَّسِ الصُّبْحِ؟
قُلْتُ: إِذَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ: أَقْبَلَ بِإِقْبَالِهِ رُوحٌ وَنَسِيمٌ، فَجَعَلَ ذَلِكَ نَفْسًا لَهُ عَلَى
الْمَجَازِ.

وَقِيلَ: تَنَفَّسَ الصُّبْحُ.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾¹

﴿إِنَّهُ﴾²: الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾³ هُوَ جِبْرِيلُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- ،
﴿ذِي قُوَّةٍ﴾⁴، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾⁵ [النَّجْم: 5-6].
لَمَّا كَانَتْ حَالُ الْمَكَانَةِ عَلَى حَسَبِ حَالِ الْمُتَمَكِّنِ، قَالَ: ﴿عِنْدَ ذِي
الْعَرْشِ﴾⁶، لِيَدُلَّ عَلَى عِظَمِ مَنْزِلَتِهِ وَمَكَانَتِهِ.
﴿ثُمَّ﴾⁷: إِشَارَةٌ إِلَى الظَّرْفِ الْمَذْكُورِ، أَعْنِي: عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ، عَلَى أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ
مُطَاعٌ فِي مَلَائِكَتِهِ الْمُتَقَرَّبِينَ يَصُدُّونَ عَنْ أَمْرِهِ وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ.
وَقُرِئَ: ثُمَّ تَعْظِيمًا لِلْأَمَانَةِ، وَبَيَانًا لِأَنَّهَا أَفْضَلُ صِفَاتِهِ الْمَعْدُودَةِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾¹

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾²، يَعْنِي: مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾³، كَمَا تَبَهَّتْهُ الْكُفْرَةُ؛ وَنَاهِيكَ بِهَذَا دَلِيلًا عَلَى جَلَالَةِ مَكَانِ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَقَضَلِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَمُبَايَنَةَ مَنْزِلَتِهِ أَفْضَلَ الْإِنْسِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا وَازَنْتَ بَيْنَ الذِّكْرَيْنِ حِينَ قَرَنَ بَيْنَهُمَا؛ وَقَايَسْتَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾⁴ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾⁵.

﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾⁶

﴿وَلَقَدْ رَأَهُ﴾⁷: وَلَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جِبْرِيلَ، ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾⁸: بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ الْأَعْلَى.
﴿وَمَا هُوَ﴾⁹: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ مِنْ رُؤْيَا جِبْرِيلَ وَالْوَحْيِ إِلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿بِضَنِينٍ﴾¹⁰: بِمُتَّهَمٍ مِنَ الظَّنِّ، وَهِيَ التُّهْمَةُ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .
- 10 سورة ، الآية .

وَقُرَى: بَضِينٍ مِنَ الصَّنِّ وَهُوَ الْبُخْلُ؛ أَي: لَا يَبْخُلُ بِالْوَحْيِ فَيَزِي بِعَضَهُ غَيْرَ مُبْلَغِهِ، أَوْ يُسْأَلُ تَعْلِيمَهُ، فَلَا يُعَلِّمُهُ.

وَهُوَ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بِالظَّاءِ، وَفِي مُصْحَفِ أَبِي الصَّادِ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْرَأُ بِهِمَا.

وَأْتَقَانُ الْفُضْلُ بَيْنَ الصَّادِ وَالظَّاءِ: وَاجِبٌ. وَمَعْرِفَةُ مَخْرَجَيْهِمَا مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْقَارِي، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعَجْمِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ، وَإِنْ فَرَّقُوا فَفَرَّقُوا غَيْرَ صَوَابٍ، وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ؛ فَإِنَّ مَخْرَجَ الصَّادِ مِنْ أَصْلِ حَافَةِ اللِّسَانِ، وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَضْرَاسِ مِنْ يَمِينِ اللِّسَانِ أَوْ يَسَارِهِ.

وَكَانَ **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَضْبَطَ يَعْمَلُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَكَانَ يُخْرِجُ الصَّادَ مِنْ جَانِبِي لِسَانِهِ، وَهِيَ أَحَدُ الْأَحْرَفِ الشَّجَرِيَّةِ أُخْتِ الْجِيمِ وَالشَّيْنِ. وَأَمَّا الظَّاءُ، فَمَخْرَجُهَا مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَصُولِ التَّنَائِيَا الْعُلْيَا، وَهِيَ أَحَدُ الْأَحْرَفِ الدَّوَلِّيَّةِ أُخْتِ الدَّالِ وَالنَّاءِ.

وَلَوْ اسْتَوَى الْحَرْفَانِ، لَمَا ثَبَتَتْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ قِرَاءَتَانِ اثْنَتَانِ وَاحْتِلَافٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ مِنْ جِبَالِ الْعِلْمِ وَالْقِرَاءَةِ، وَلَمَّا اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَالِاشْتِقَاقُ وَالتَّرَكُّيبُ. فَإِنْ قُلْتُمْ: فَإِنْ وَضَعَ الْمُصَلِّي أَحَدَ الْحَرْفَيْنِ مَكَانَ صَاحِبِهِ. قُلْتُ: هُوَ كَوَاضِعِ الدَّالِ مَكَانَ الْجِيمِ، وَالنَّاءِ مَكَانَ الشَّيْنِ، لِأَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الصَّادِ وَالظَّاءِ كَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ أَخَوَاتِهِمَا.

﴿وَمَا هُوَ﴾¹: وَمَا الْقُرْآنُ ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾²، أَي: يَقُولُ بَعْضُ الْمُسْتَرْقَةِ لِلسَّمْعِ وَيُوْحِيهِمْ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْكُهَنَةِ.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾³

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾¹: اسْتِضْلَالٌ لَهُمْ كَمَا يُقَالُ لِتَارِكِ الْجَادَّةِ اعْتِسَافًا أَوْ ذَهَابًا فِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ: أَيْنَ تَذْهَبُ، مَثَلَتْ حَالَهُمْ بِحَالِهِ فِي تَرْكِهِمُ الْحَقَّ وَعُدُولِهِمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ.
﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾² بَدَلٌ مِنَ الْعَالَمِينَ وَإِنَّمَا أَبَدَلُوا مِنْهُمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ شَاءُوا الْإِسْتِقَامَةَ بِالذُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ هُمُ الْمُتَنَفِعُونَ بِالذِّكْرِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يُوعَظْ بِهِ غَيْرُهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُوعَظِينَ جَمِيعًا.

﴿وَمَا﴾³ الْإِسْتِقَامَةُ يَا مَنْ يَشَاؤُهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ. أَوْ: وَمَا تَشَاؤُنَهَا أَنْتُمْ يَا مَنْ لَا يَشَاؤُهَا إِلَّا بِقَسْرِ اللَّهِ وَإِلْجَائِهِ.
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ: إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ] أَعَادَهُ اللَّهُ أَنْ يَفْضَحَهُ حِينَ تُنَشَرُ صَحِيفَتُهُ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ،
وآيَاتُهَا 19
[تَزَلَّتْ بَعْدَ النَّازِعَاتِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعِثَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾¹

﴿انْفَطَرَتْ﴾²: انشَقَّتْ، ﴿فُجِّرَتْ﴾³: فَتِحَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ
بِالْمَالِحِ، وَزَالَ الْبُرْزُخُ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَصَارَتِ الْبِحَارُ بَحْرًا وَاحِدًا.
وَرُوي أَنَّ الْأَرْضَ تُنْشَفُ الْمَاءَ بَعْدَ امْتِلَاءِ الْبِحَارِ، فَتَصِيرُ مُسْتَوِيَّةً، وَهُوَ مَعْنَى
التَّسْجِيرِ عِنْدَ الْحَسَنِ.

وَقُرئ: فُجِّرَتْ بِالتَّخْفِيفِ.
وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ: فُجِّرَتْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالتَّخْفِيفِ. بِمَعْنَى: بَعَثَ لِرُؤَالِ الْبُرْزُخِ نَظْرًا
إِلَى قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾⁴[الرَّحْمَنِ: 200]، لِأَنَّ الْبَغْيَ وَالْفُجُورَ أَخَوَانِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

بُعْثِرَ وَبُحِثِرَ بِمَعْنَى، وَهُمَا مُرَكَّبَانِ مِنَ الْبُعْثِ وَالْبَحْثِ مَعَ رَاءٍ مَضْمُومَةٍ إِلَيْهِمَا.
وَالْمَعْنَى: بُحِثْتُ وَأُخْرِجَ مَوْتَاهَا. وَقِيلَ: لِبِرَاءَةِ الْمُبْعَثِرَةِ، لِأَنَّهَا بَعَثَتْ أَسْرَارَ
الْمُنَافِقِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ
مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾¹

فَإِن قُلْتُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾²؟ وَكَيْفَ طَابَقَ الْوَصْفُ بِالْكَرَمِ
إِنْكَارَ الْإِغْتِرَارِ بِهِ؛ وَإِنَّمَا يُغْتَرُّ بِالْكَرِيمِ، كَمَا يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ صَاحِبُ
بِعْلَامٍ لَهُ كَرَاتٍ فَلَمْ يَلْبِهِ؛ فَتَطَرَّ فَإِذَا هُوَ بِالْبَابِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ لَمْ تُجِئْنِي؟ قَالَ: لِيَقْتِي
بِحِلْمِكَ وَأَمْنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَاسْتَحْسَنَ جَوَابَهُ وَأَعْتَقَهُ، وَقَالُوا: مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ سُوءُ أَدَبِ
عِلْمَانِهِ؟

قُلْتُ مَعْنَاهُ: أَنَّ حَقَّ الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُغْتَرَّ بِكَرَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، حَيْثُ خَلَقَهُ حَيًّا لِيَنْفَعَهُ،
وَيَتَفَضَّلَهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ حَتَّى يَطْمَعَ بَعْدَمَا مَكَّنَهُ وَكَلَّفَهُ، فَعَصَى وَكَفَرَ النِّعْمَةَ الْمُتَفَضَّلَ بِهَا أَنْ
يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالنَّوَابِ وَطَرَحَ الْعِقَابِ، اغْتِرَارًا بِالتَّفَضُّلِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ مُنْكَرٌ خَارِجٌ مِنْ حَدِّ
الْحِكْمَةِ.

وَلِهَذَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا تَلَاهَا: "غَرَّهُ جَهْلُهُ"، وَقَالَ عُمَرُ
-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "غَرَّهُ حُمْقُهُ وَجَهْلُهُ".

وَقَالَ الْحَسَنُ: غَرَّهُ وَاللَّهُ شَيْطَانُهُ الْخَبِيثُ، أَي: زَيْنَ لَهُ الْمَعَاصِي، وَقَالَ لَهُ: افْعَلْ مَا
شِئْتُ، فَرُبُّكَ الْكَرِيمُ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ أَوْلًا، وَهُوَ مُتَفَضَّلٌ عَلَيْكَ آخِرًا، حَتَّى
وَرَّطَهُ.

وَقِيلَ لِلْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ: إِنَّ أَقَامَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ لَكَ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ﴾³ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: غَرَّنِي سُبُورُكَ الْمُرْحَاةُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِرَافِ بِالْخَطَأِ فِي الْإِعْتِرَافِ بِالسُّتْرِ، وَلَيْسَ بِاعْتِدَارٍ كَمَا يَظُنُّهُ
 الطَّمَّاعُ، وَيَطُنُّ بِهِ قُصَّاصُ الْحَشَوِيَّةِ وَيَرُوونَ عَنْ أُمَّيْهِمْ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿يَرْبُّكَ الْكَرِيمُ﴾¹ دُونَ
 سَائِرِ صِفَاتِهِ، لِيَلْقَنَ عَبْدَهُ الْجَوَابَ حَتَّى يَقُولَ: غَرَّبِي كَرَمُ الْكَرِيمِ.

وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "مَا أَعْرَكَ" إِذَا عَلِيَ التَّعَجُّبُ، وَإِنَّمَا عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ، مِنْ قَوْلِكَ:
 غَرَّ الرَّجُلُ فَهُوَ غَارٌّ: إِذَا غَفَلَ، مِنْ قَوْلِكَ: بَيَّتَهُمُ الْعَدُوُّ وَهُمْ غَارُونَ. وَأَعْرَهُ غَيْرُهُ: جَعَلَهُ
 غَارًّا .

﴿فَسَوَّكَ﴾²: فَجَعَلَكَ سَوِيًّا سَالِمًا الْأَعْضَاءِ، ﴿فَعَدَّلَكَ﴾³: فَصَيَّرَكَ مُعْتَدِلًا مُتَنَاسِبًا
 الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ فِيهِ، فَلَمْ يَجْعَلْ إِحْدَى الْيَدَيْنِ أَطْوَلَ، وَلَا إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ أَوْسَعَ، وَلَا
 بَعْضَ الْأَعْضَاءِ أَبْيَضَ وَبَعْضَهَا أَسْوَدَ، وَلَا بَعْضَ الشَّعْرِ فَاحِمًا وَبَعْضَهُ أَشْقَرَ. أَوْ جَعَلَكَ
 مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ تَمَشِي قَائِمًا لَا كَالْبَهَائِمِ.

وَقُرِيءَ "فَعَدَّلَكَ" بِالتَّخْفِيفِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَشَدِّدِ، أَي: عَدَلَ بَعْضَ أَعْضَائِكَ بِبَعْضٍ حَتَّى اعْتَدَلْتَ.

– وَالثَّانِي: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾⁴: فَصَرَّفَكَ. يُقَالُ: عَدَلَهُ عَنِ الطَّرِيقِ يَعْنِي: فَعَدَّلَكَ عَنْ خِلْقَةٍ غَيْرِكَ
 وَخَلَقَكَ خِلْقَةً حَسَنَةً مُفَارِقَةً لِسَائِرِ الْخَلْقِ. أَوْ فَعَدَّلَكَ إِلَى بَعْضِ الْأَشْكَالِ وَالْهَيْئَاتِ.

﴿مَا﴾⁵ فِي ﴿مَا شَاءَ﴾⁶ مَزِيدَةٌ، أَي: رَكْبَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ افْتَضَّصْتَهَا مَشِيئَتُهُ وَحِكْمَتُهُ
 مِنَ الصُّورِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ وَالطُّوْلِ وَالْقِصْرِ وَالذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ، وَالشَّبَهِ بِبَعْضِ
 الْأَقَارِبِ وَخِلَافِ الشَّبَهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا عَطَفْتَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ كَمَا عَطَفَ مَا قَبْلَهَا؟
 قُلْتُ: لِأَنَّهَا بَيَّانٌ لِعَدْلِكَ.
 فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ يَتَعَلَّقُ الْجَارُ؟

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِرُكْبِكَ. عَلَى مَعْنَى: وَضَعَكَ فِي بَعْضِ الصُّورِ وَمَكَّنَكَ فِيهِ،
وَبِمَحْدُوفٍ، أَي: رُكْبِكَ حَاصِلًا فِي بَعْضِ الصُّورِ.
وَمَحَلُّهُ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ إِنْ غُلِقَ بِمَحْدُوفٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِعَدْلِكَ، وَيَكُونُ فِي
﴿أَيٍّ﴾¹ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، أَي: فَعَدْلِكَ فِي صُورَةٍ عَجِيبَةٍ، ثُمَّ قَالَ: مَا شَاءَ رُكْبِكَ. أَي رُكْبَكَ
مَا شَاءَ مِنَ التَّرَاكِبِ، يَعْنِي تَرْكِيبًا حَسَنًا.

﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِاللَّيْنِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾²

﴿كَلَّا﴾³: ارْتَدُّعُوا عَنِ الْإِغْتِرَارِ بِكَرَمِ اللَّهِ وَالتَّسَلُّقِ بِهِ، وَهُوَ مُوجِبُ الشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ،
إِلَى عَكْسِهِمَا الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ وَالْمَعْصِيَةُ.
ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِاللَّيْنِ﴾⁴ أَصْلًا، وَهُوَ الْجَزَاءُ. أَوْ دِينُ الْإِسْلَامِ. فَلَا تُصَدِّقُونَ
ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الطَّمَعِ الْمُنْكَرِ.
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾⁵: تَحْقِيقٌ لِمَا يُكْذِبُونَ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ، يَعْنِي أَنَّكُمْ تُكْذِبُونَ
بِالْجَزَاءِ وَالْكَاتِبُونَ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ لِتُجَارَوْا بِهَا.
وَفِي تَعْظِيمِ الْكُتُبَةِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ: تَعْظِيمٌ لِأَمْرِ الْجَزَاءِ، وَأَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَلَائِلِ
الْأُمُورِ. وَلَوْلَا ذَلِكَ، لَمَا وَكَّلَ بِضَبْطِ مَا يُحَاسِبُ عَلَيْهِ، وَيُجَارِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ الْكِرَامَ الْحَفَظَةَ
الْكُتُبَةَ.
وَفِيهِ إِنْذَارٌ وَتَهْوِيلٌ وَتَشْوِيرٌ لِلْغُصَاةِ وَلُطْفٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ الْفُضَيْلِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا
قَالَ: مَا أَشَدَّهَا مِنْ آيَةٍ عَلَى الْغَافِلِينَ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾¹

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾² كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾³ [المائدة: 37].

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: يَصْلَوْنَ النَّارَ يَوْمَ الدِّينِ وَمَا يَعْبُودُونَ عَنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ، يَعْنِي:
فِي قُبُورِهِمْ، وَقَبْلَ: أَخْبَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثَ حَالَاتٍ: حَالُ الْحَيَاةِ الَّتِي
يَحْفَظُ فِيهَا عَمَلَهُ، وَحَالُ الْآخِرَةِ الَّتِي يُجَازَى فِيهَا، وَحَالُ الْبَرْزَخِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا
بِغَائِبِينَ﴾⁴.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾⁵

يَعْنِي أَنَّ أَمْرَ يَوْمِ الدِّينِ بِحَيْثُ لَا تُدْرِكُ دِرَايَةَ دَارِ كُنْهَهُ فِي الْهَوْلِ وَالشَّدَةِ وَكَيْفَمَا
تَصَوَّرْتَهُ، فَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ وَعَلَى أضعافِهِ، وَالتَّكْرِيرُ لِرِيبَادَةِ التَّهْوِيلِ، ثُمَّ أَجْمَلَ الْقَوْلَ فِي
وَصْفِهِ، فَقَالَ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾⁶، أَي: لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعًا عَنْهَا وَلَا نَفْعًا لَهَا
بِوَجْهِ وَلَا أَمْرٍ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

مَنْ رَفَعَ، فَعَلَى الْبَدَلِ مِنْ يَوْمِ الدِّينِ، أَوْ عَلَى: هُوَ يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ. وَمَنْ نَصَبَ
فِيَاضْمَارٍ يُدَانُونَ، لِأَنَّ الدِّينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ. أَوْ يَاضْمَارٍ: اذْكُرْ.
وَيَجُوزُ أَنْ يُفْتَحَ لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ وَهُوَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ .

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ] كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ حَسَنَةً، وَبِعَدَدِ كُلِّ قَبْرِ حَسَنَةً".

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ،

وآياتها 36

[نَزَلَتْ بَعْدَ الْعَنْكَبُوتِ، وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹

التَّطْفِيفُ: البَخْسُ فِي الكَيْلِ وَالوِزْنِ، لِأَنَّ مَا يُبَخَسُ شَيْءٌ طَفِيفٌ حَقِيرٌ.
وَرُوي أَنَّ رَسولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدِمَ المَدِينَةَ وَكانُوا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ
كَيْلًا، فَنَزَلَتْ فَأَحْسِنُوا الكَيْلَ. وَقِيلَ: قَدِمَها وَبِها رَجُلٌ يُعَرَفُ بِأبي جُهَيْنَةَ وَمَعَهُ صاعانِ:
يَكِيلُ بِأحَدِهِما وَيَكْتالُ بِالآخرِ. وَقِيلَ: كانَ أَهْلُ المَدِينَةِ تُجارًا يُطْفِفُونَ، وَكانتِ بِياعَتُهُمْ
المُنابَذَةُ وَالْمَلامِسةُ وَالْمُخاطِرةُ، فَنَزَلَتْ؛ فَخَرَجَ رَسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقرأَها
عَلَيْهِمْ. وَقَالَ: "خَمْسٌ بِخَمْسٍ"، قِيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ: "ما نَقَضَ
قَوْمَ العَهْدِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ عَدوَّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَشا فِيهِمُ الفُقْرُ،
وَمَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الفَاحِشةُ إِلَّا فَشا فِيهِمُ المَوْتُ، وَلَا طَفَّفُوا الكَيْلَ إِلَّا مُنِعُوا التَّباتَ وَأُخِذُوا
بِالسَّنينِ، وَلَا مَنَعُوا الرِّكاةَ إِلَّا حَبَسَ عَنْهُمُ القَطْرُ".

¹ سورة ، الآية .

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَزِنُ الزُّعْفَرَانَ وَقَدْ أَرْجَحَ، فَقَالَ لَهُ: أقيم
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ، ثُمَّ أَرْجَحْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شِئْتَ. كَأَنَّهُ أَمَرَهُ بِالتَّسْوِيَةِ أَوَّلًا لِيَعْتَادَهَا وَيُفْصَلَ
الْوَاجِبَ مِنَ التَّنْفِيلِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْأَعَاجِمِ وَلَيْتُمْ أَمْرَيْنِ: بِهِمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ: الْمِكْيَالُ وَالْمِيزَانُ، وَخَصَّ الْأَعَاجِمَ لِأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ جَمِيعًا وَكَانَا
مُفْرَقَيْنِ فِي الْحَرَمَيْنِ: كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَزِنُونَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَكِيلُونَ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ
يَمُرُّ بِالْبَنَاتِ فَيَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَأَوْفِ الْكَيْلَ، فَإِنَّ الْمُطَفِّفِينَ يُوقَفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَظَمَةِ
الرَّحْمَنِ حَتَّىٰ إِنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُهُمْ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ: أَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ كَيْالٍ وَوَزَانٍ فِي النَّارِ. فَقِيلَ
لَهُ: إِنَّ ابْنَكَ كَيْالٌ أَوْ وَزَانٌ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ فِي النَّارِ. وَعَنْ أَبِي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَا
تَلْتَمِسِ الْحَوَائِجَ مِمَّنْ رَزَقَهُ فِي رُؤُوسِ الْمَكَائِيلِ وَالسُّنَنِ الْمُوازِينَ لَمَّا كَانَ أَكْتِيَالُهُمْ مِنَ النَّاسِ
أَكْتِيَالًا يَضْرُهُمْ وَيُتَحَامَلُ فِيهِ عَلَيْهِمْ: أَبْدَلُ "عَلَى" مَكَانَ "مِنْ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ "عَلَى" بِ "يَسْتَوْفُونَ"، وَيُقَدِّمُ الْمَفْعُولَ عَلَى الْفِعْلِ لِإِفَادَةِ
الْخُصُوصِيَّةِ، أَي: يَسْتَوْفُونَ عَلَى النَّاسِ خَاصَّةً، فَأَمَّا أَنْفُسُهُمْ فَيَسْتَوْفُونَ لَهَا،
وَقَالَ الْفَرَّاءُ "مِنْ" وَ"عَلَى" يَعْتَبَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْهِ، فَإِذَا قَالَ أَكْتَلْتُ
عَلَيْكَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَخَذْتُ مَا عَلَيْكَ، وَإِذَا قَالَ: أَكْتَلْتُ مِنْكَ، فَكَقَوْلِهِ: اسْتَوْفَيْتُ مِنْكَ.
وَالضَّمِيرُ فِي ﴿كَأَلُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾¹ ضَمِيرٌ مَنْصُورٌ رَاجِعٌ إِلَى النَّاسِ. وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يَرَادَ
كَأَلُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ، فَحَذَفَ الْجَارَ وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ، كَمَا قَالَ:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ نَبَاتِ الْأَوْبَرِ

وَالْحَرِيصُ يَصِيدُكَ لَا الْجَوَادُ، بِمَعْنَى: جَنَيْتُ لَكَ، وَيَصِيدُ لَكَ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى
حَذَفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، وَالْمُضَافُ هُوَ الْمَكِيلُ أَوْ الْمُوَزُّونُ، وَلَا يَصِحُّ
أَنْ يَكُونَ ضَمِيرًا مَرْفُوعًا لِلْمُطَفِّفِينَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ يَخْرُجُ بِهِ إِلَى نَظْمٍ فَاسِدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى:
إِذَا أَخَذُوا مِنَ النَّاسِ اسْتَوْفُوا، وَإِذَا أَعْطَوْهُمْ أَخْسَرُوا، وَإِنْ جَعَلْتَ الضَّمِيرَ لِلْمُطَفِّفِينَ انْقَلَبَ
إِلَى قَوْلِكَ: إِذَا أَخَذُوا مِنَ النَّاسِ اسْتَوْفُوا، وَإِذَا تَوَلَّوْا الْكَيْلَ أَوْ الْوَزْنَ هُمْ عَلَى الْخُصُوصِ
أَخْسَرُوا، وَهُوَ كَلَامٌ مُتَنَافِرٌ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ وَقَعَ فِي الْفِعْلِ لَا فِي الْمُبَاشَرِ، وَالتَّعَلُّقُ فِي إِنْطَالِهِ
بِحِطِّ الْمُصْحَفِ، وَأَنَّ الْأَلْفَ الَّتِي تُكْتَبُ بَعْدَ وَائِ الْجَمْعِ غَيْرُ ثَابِتَةٍ فِيهِ: رَكِيكَ، لِأَنَّ حِطَّ
الْمُصْحَفِ لَمْ يُرَاعَ فِي كَثِيرٍ مِنْهُ حَذُّ الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ الْحِطِّ، عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ فِي

¹ سورة ، الآية .

الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ بِأَيْدِي الْأَيْمَةِ الْمُتَقِينَ هَذِهِ الْأَلْفَ مَرْفُوضَةً لِكُونِهَا غَيْرَ ثَابِتَةٍ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا، لِأَنَّ الْوَاوَ وَحَدَهَا مُعْطِيَةٌ مَعْنَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا كُتِبَتْ هَذِهِ الْأَلْفُ تَفْرِقَةً بَيْنَ وَاوِ الْجَمْعِ وَغَيْرِهَا فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: هُمْ لَمْ يَدْعُوا، وَهُوَ يَدْعُو، فَمَنْ لَمْ يُشْبِثْهَا قَالَ: الْمَعْنَى كَافٍ فِي التَّفْرِيقَةِ بَيْنَهُمَا.

وَعَنْ عَيْسَى بْنِ عُمَرَ وَحَمْرَةَ: أَنَّهُمَا كَانَا يَزْتَكِيَانِ ذَلِكَ، أَي: يَجْعَلَانِ الضَّمِيرَيْنِ لِلْمُطَفِّفِينَ، وَيَقْفَانِ عِنْدَ الْوَاوَيْنِ وَقِيْفَةً يُسَيِّنَانِ بِهَا مَا أَرَادَا.

فَإِنْ قُلْتُ: هَلَّا قِيلَ: أَوْ اتَّزَنُوا، كَمَا قِيلَ: ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾¹؛ قُلْتُ: كَانَ الْمُطَفِّفِينَ كَانُوا لَا يَأْخُذُونَ مَا يُكَالُ وَيُوزَنُ إِلَّا بِالْمَكَايِيلِ دُونَ الْمَوَازِينِ لِتَمَكُّبِهِمْ بِالْإِكْتِيَالِ مِنَ الْإِسْتِيفَاءِ وَالسَّرْفَةِ، لِأَنَّهُمْ يُدْعِدُونَ وَيَحْتَالُونَ فِي الْمَلَاءِ، وَإِذَا أَعْطَوْا كَالُوا أَوْ وَزَنُوا لِتَمَكُّبِهِمْ مِنَ الْبُخْسِ فِي التَّوَعِينِ جَمِيعًا.

﴿يُخْسِرُونَ﴾²: يُنْقِصُونَ. يُقَالُ: خَسِرَ الْمِيزَانَ وَأَخْسَرَهُ.

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾³: إِنْكَارٌ وَتَعْجِيبٌ عَظِيمٌ مِنْ حَالِهِمْ فِي الْاجْتِرَاءِ عَلَى التَّطْفِيفِ، كَأَنَّهُمْ لَا يُحْطِرُونَ بِبَالِهِمْ وَلَا يُحْمَنُونَ تَحْمِينًا، ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾⁴ وَمُحَاسِبُونَ عَلَى مِقْدَارِ الذَّرَّةِ وَالْخَرْدَلَةِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: أَوْفِ يَا ابْنَ آدَمَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُوفَى لَكَ، وَأَعْدِلْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُعْدَلَ لَكَ. وَعَنْ الْفَضِيلِ: بَخْسُ الْمِيزَانِ سَوَادُ الْوَجْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لَهُ: قَدْ سَمِعْتَ مَا قَالَ اللَّهُ فِي الْمُطَفِّفِينَ: أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُطَفِّفَ قَدْ تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الْوَعِيدُ الْعَظِيمُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِنَفْسِكَ وَأَنْتَ تَأْخُذُ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ بِلَا كَيْلٍ وَلَا وَزْنٍ؟ وَفِي هَذَا الْإِنْكَارُ وَالتَّعْجِيبُ وَكَلِمَةُ الظَّنِّ.

وَوُصِفَ الْيَوْمُ بِالْعَظَمِ، وَقِيَامِ النَّاسِ فِيهِ لِلَّهِ خَاضِعِينَ، وَوُصِفَهُ ذَاتَهُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ: بَيَانٌ بَلِيغٌ لِعَظَمِ الذَّنْبِ وَتَفَاقُمِ الْإِثْمِ فِي التَّطْفِيفِ، وَفِيمَا كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْحَيْفِ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَتَرَكَ الْقِيَامَ بِالْقِسْطِ، وَالْعَمَلَ عَلَى السَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي كُلِّ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ، بَلْ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

وقيل: الظنُّ بِمَعْنَى اليقين، والوجهُ ما ذُكِرَ، ونُصِبَ ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾¹ بِـ "مَبْعُوثُونَ".
وَقُرِئَ بِالْجَرِّ بَدَلًا مِنْ "يَوْمٍ عَظِيمٍ".

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ. فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾²، بَكَى نَحِيْبًا وَامْتَنَعَ مِنْ قِرَاءَةِ مَا بَعْدَهُ.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾³

﴿كَلَّا﴾⁴: رَدُّعُهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّطْفِيفِ وَالْفُغْلَةِ عَنِ ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ،
وَنَبَهَهُمْ عَلَى أَنَّهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُتَابَ عَنْهُ وَيُنْدَمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ وَعِيدَ الْفُجَارِ عَلَى الْعُمُومِ.
وَكِتَابُ الْفُجَارِ: مَا يُكْتَبُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ أَحْبَبَ اللَّهُ عَنِ كِتَابِ الْفُجَارِ بِأَنَّهُ فِي سِجِّينٍ، وَفَسَّرَ سِجِّينًا بِكِتَابِ
مَرْقُومٍ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ كِتَابَهُمْ فِي كِتَابِ مَرْقُومٍ. فَمَا مَعْنَاهُ؟

قُلْتُ: ﴿سِجِّينٍ﴾⁵: كِتَابٌ جَامِعٌ هُوَ دِيْوَانُ الشَّرِّ: دَوْنِ اللَّهِ فِيهِ أَعْمَالُ الشَّيَاطِينِ
وَأَعْمَالُ الْكُفْرَةِ وَالْفِسْقَةِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَهُوَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ مَسْطُورٌ بَيْنَ الْكِتَابَةِ. أَوْ مُعَلَّمٌ
يَعْلَمُ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ.

فَالْمَعْنَى أَنَّ مَا كُتِبَ مِنْ أَعْمَالِ الْفُجَارِ مُثَبَّتٌ فِي ذَلِكَ الدِّيْوَانِ، وَسُمِّيَ سِجِّينًا: فِعْيَلًا
مِنَ السَّجْنِ، وَهُوَ الْحَبْسُ وَالتَّضْيِيقُ، لِأَنَّهُ سَبَبُ الْحَبْسِ وَالتَّضْيِيقِ فِي جَهَنَّمَ، أَوْ لِأَنَّهُ مَطْرُوحٌ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

كَمَا رُويَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ فِي مَكَانٍ وَحْشٍ مُظْلِمٍ، وَهُوَ مَسْكَنُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ اسْتِهَانَةً
 بِهِ وَإِذَالَةً، وَلِيَشْهَدَهُ الشَّيَاطِينُ الْمَدْحُورُونَ، كَمَا يَشْهَدُ دِيْوَانَ الْخَيْرِ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ.
 فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا سَجِّينٌ، أَصِفَةٌ هُوَ أَمْ اسْمٌ؟
 قُلْتُ: بَلْ هُوَ اسْمٌ عَلِمَ مَنْقُولٌ مِنْ وَصْفٍ كَحَاتِمٍ. وَهُوَ مُنْصَرَفٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا
 سَبَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّعْرِيفُ.

﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
 أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ
 ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ¹

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾² مِمَّا وَصِفَ بِهِ لِلذَّمِّ لَا لِلبَيَانِ، كَقَوْلِكَ: فَعَلَ ذَلِكَ فَلَانَ الْفَاسِقُ
 الْخَبِيثُ.

﴿كَأَلَّا﴾³: رَدَعٌ لِلْمُعْتَدِي الْأَثِيمِ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾⁴: رَكَّبَهَا كَمَا يَرَكِبُ
 الصَّدَأُ وَعَلَبَ عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنْ يُصِرَّ عَلَى الْكِبَائِرِ وَيُسَوِّفَ التَّوْبَةَ حَتَّى يُطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا
 يَقْبَلُ الْخَيْرَ وَلَا يَمِيلُ إِلَيْهِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ. يُقَالُ: رَانَ عَلَيْهِ الذَّنْبُ وَعَانَ
 عَلَيْهِ، رَيْنًا وَعَيْنًا، وَالْعَيْنُ: الْعَيْمُ، وَيُقَالُ: رَانَ فِيهِ النَّوْمُ رَسَخَ فِيهِ، وَرَانَتْ بِهِ الْحَمْرُ: ذَهَبَتْ
 بِهِ.

وَقُرئَ بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي الرَّاءِ وَبِالْإِظْهَارِ، وَالْإِدْغَامُ أَجْوَدُ. وَأَمِيلَتِ الْأَلْفُ وَفُحِّمَتْ.
 "كَأَلَّا" رَدَعٌ عَنِ الْكَسْبِ الرَّائِنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَكُونُهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْهُ: تَمَثِيلٌ لِلِاسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَاهَانَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا يُؤَدَّنُ عَلَى الْمُلُوكِ إِلَّا لِلْوُجَهَاءِ الْمُكْرَمِينَ لَدَيْهِمْ، وَلَا يُحَجَّبُ عَنْهُمْ إِلَّا الْأَدْنِيَاءُ الْمُهَانُونَ عِنْدَهُمْ. قَالَ:

إِذَا غَزَوْا بَابَ ذِي عُبَيْيَّةٍ رُجِبُوا وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَرْجُوبٍ وَمَحْجُوبٍ
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: مَحْجُوبِينَ عَنْ رَحْمَتِهِ.
وَعَنِ ابْنِ كَيْسَانَ: عَنْ كَرَامَتِهِ.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ
كِتَابٌ مَرْفُوعٌ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾¹

﴿كَلَّا﴾²: رَدُّ عَنِ التَّكْذِيبِ.

وَكِتَابُ الْأَبْرَارِ: مَا كُتِبَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

وَعِلِّيُّونَ: عِلْمٌ لِدِيْوَانِ الْخَيْرِ الَّذِي دُونَ فِيهِ كُلُّ مَا عَمِلْتَهُ الْمَلَائِكَةُ وَصَلَحَاءُ الثَّقَلَيْنِ، مَنْقُولٌ مِنْ جَمْعِ "عَلِيٍّ" فِعْلِيلٍ مِنَ الْعُلُوِّ كَسَجَّيْنٍ مِنَ السَّجْنِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ، إِمَّا لِأَنَّهُ سَبَبُ الْإِرْتِفَاعِ إِلَى أَعَالِي الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ مَرْفُوعٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَيْثُ يَسْكُنُ الْكُرُوبِيُّونَ، تَكْرِيْمًا لَهُ وَتَعْظِيمًا.

رُوي: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ فَيَسْتَقْلُبُونَهُ، فَإِذَا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ سُلْطَانِهِ أَوْحَى إِلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ الْحَفِظَةُ عَلَى عَبْدِي وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَأَنَّهُ أَخْلَصَ عَمَلَهُ فَاجْعَلُوهُ فِي عِلِّيِّينَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَإِنَّهَا لَتَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ فَيَرْكَبُونَهُ. فَإِذَا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِمْ: أَنْتُمْ الْحَفِظَةُ عَلَى عَبْدِي وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَإِنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ لِي عَمَلَهُ فَاجْعَلُوهُ فِي سَجَّيْنٍ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ
مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ
وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْلِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾¹

﴿الْأَرَائِكِ﴾²: الْأَسْرَةُ فِي الْحِجَالِ.

﴿يُنظَرُونَ﴾³ إِلَى مَا شَاءُوا مَدَّ أَعْيُنُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ مَنَاطِرِ الْجَنَّةِ، وَإِلَى مَا أَوْلَاهُمْ اللَّهُ
مِنَ النَّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَإِلَى أَعْدَائِهِمْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، وَمَا تَحُجُّبُ الْحِجَالُ أَبْصَارَهُمْ عَنِ
الْإِدْرَاكِ.

﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾⁴: بِهَجَّةِ التَّنْعِيمِ وَمَاءَهُ وَرَوْقُهُ، كَمَا تَرَى فِي وُجُوهِ الْأَغْنِيَاءِ وَأَهْلِ
التَّرَفِّهِ.

وَقُرَى: تُعْرِفُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَنَضْرَةَ النَّعِيمِ، بِالرَّفْعِ.

الرَّحِيقُ: الشَّرَابُ الْخَالِصُ الَّذِي لَا غِشَّ فِيهِ، ﴿مَخْتُومٌ﴾⁵: تُخْتَمُ أَوَانِيهِ مِنَ الْأَكْوَابِ
وَالْأَبَارِيقِ بِمِسْكِ مَكَانِ الطَّيْنَةِ.

وَقِيلَ: ﴿خَتَامُهُ مِسْكٌ﴾⁶: مَقْطَعُهُ رَائِحَةُ مِسْكِ إِذَا شَرِبَ.

وَقِيلَ: يُمَزَّجُ بِالْكَافُورِ، وَيُخْتَمُ مِرَاجُهُ بِالْمِسْكِ.

وَقُرَى خَتَامُهُ، يَفْتَحُ التَّاءُ وَكَسْرُهَا، أَي: مَا يُخْتَمُ بِهِ وَيُقْطَعُ.

﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾⁷: فَلْيَتَرْتَبِعِ الْمُتَرْتَبُونَ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

﴿تَسْنِيم﴾¹: عَلِمَ لَعِينٍ بِعَيْنِهَا: سُمِّيَتْ بِالتَّسْنِيمِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرٌ سَنَمَهُ إِذَا رَفَعَهُ: إِمَّا لِأَنَّهَا أَرْفَعُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا لِأَنَّهَا تَأْتِيهِمْ مِنْ فَوْقُ، عَلَى مَا رُوِيَ أَنَّهَا تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ مُتَسَنِّمَةً فَتَنْصَبُ فِي أَوَانِيهِمْ.
 وَ"عَيْنًا" نُصِبَ عَلَى الْمَدْحِ.
 وَقَالَ الرَّجَّاحُ: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ.
 وَقِيلَ: هِيَ لِلْمُقَرَّبِينَ، يَشْرَبُونَهَا صِرْفًا، وَتُمَزَّجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾²

هُم مُشْرِكُو مَكَّةَ: أَبُو جَهْلٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَأَشْيَاعُهُمْ: كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنْ عَمَارٍ وَصُهَيْبٍ وَخَبَّابٍ وَبِلَالٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَهْزُونَ بِهِمْ.
 وَقِيلَ: جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَخَرَ مِنْهُمْ الْمُتَغَامِزُونَ وَضَحِكُوا وَتَغَامَزُوا، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ أَصْحَابِهِمْ فَقَالُوا: رَأَيْنَا الْيَوْمَ الْأَصْلَعَ فَضَحِكُوا مِنْهُ، فَتَزَلَّتْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ عَلِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.
 ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾³: يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيُشِيرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، ﴿فَكِهِينَ﴾⁴: مُتَلَتِّدِينَ بِذِكْرِهِمْ وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ، أَي: يَنْسُبُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الضَّلَالِ.
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾⁵ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ﴿حَافِظِينَ﴾⁶: مُوَكَّلِينَ بِهِمْ يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَحْوَالَهُمْ، وَيُهَيِّمُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَيَشْهَدُونَ بِرُشْدِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَهَذَا تَهْكُؤُهُمْ بِهِمْ. أَوْ هُوَ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

مِنْ جُمْلَةِ قَوْلِ الْكُفَّارِ، وَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ إِنْكَارًا لِمَدَّهِمْ إِيَّاهُمْ عَنِ الشَّرْكِ، وَدُعَائِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَجَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ.

﴿قَالِیَوْمَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ یَضْحَكُونَ عَلَی الْأَرَائِکِ یَنْظُرُونَ
هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا یَفْعَلُونَ﴾¹

﴿عَلَى الْأَرَائِکِ یَنْظُرُونَ﴾² حَالٌ مِنْ ﴿یَضْحَكُونَ﴾³، أی: یَضْحَكُونَ مِنْهُمْ نَاطِرِينَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوَانِ وَالصَّغَارِ بَعْدَ الْعِزَّةِ وَالْکِبَرِ وَمِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ بَعْدَ النَّعِيمِ وَالتَّرَفِّهِ: وَهُمْ عَلَى الْأَرَائِکِ آمِنُونَ. وَقِيلَ: یُفْتَحُ لِلْکُفَّارِ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُمْ: اخْرُجُوا إِلَيْهَا، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَيْهَا أُغْلِقَ دُونَهُمْ، یُفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِرَارًا، فَيَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ. ثَوْبُهُ وَأَثَابُهُ: بِمَعْنَى، إِذَا جَارَاهُ.

قَالَ أَوْسٌ:

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوِّبٌ وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي

وَقَرِيٌّ بِإِدْغَامِ اللَّامِ فِي الثَّاءِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْمُطَفِّفِينَ] سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ،
وآيَاتُهَا 25
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِنْفِطَارِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَّتْ﴾¹

حُذِفَ جَوَابُ إِذَا لِيَذْهَبَ الْمُقَدَّرُ كُلُّ مَذْهَبٍ أَوْ اكْتِفَاءً بِمَا عَلِمَ فِي مِثْلِهَا مِنْ سُورَتِي
التَّكْوِينِ وَالْإِنْفِطَارِ.

وَقِيلَ: جَوَابُهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ "فَمَلَأْتِيهِ" أَي إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ لَأَقَى الْإِنْسَانُ كَذْحَهُ.
وَمَعْنَاهُ: إِذَا انشَقَّتْ بِالْغَمَامِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ
بِالْغَمَامِ﴾² [الْفُرْقَانِ: 255].

وَعَنْ عَلِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: تَنَشَّقُ مِنَ الْمَجْرَةِ. أُذِنَ لَهُ: اسْتُمِعَ لَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ
-عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "مَا أُذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأُذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ"، وَقَوْلُ حُجَافِ بْنِ حَكِيمٍ
أُذِنْتُ لَكُمْ لَمَّا سَمِعْتُ هَرِيرَكُمْ.....

¹ سورة ، الآية .

² سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا فَعَلَتْ فِي انْقِيَادِهَا لِلَّهِ حِينَ أَرَادَ انشِقَاقَهَا فِعْلَ الْمَطْوَاعِ الَّذِي إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ جِهَةِ الْمَطَاعِ أَنْصَتَ لَهُ وَأَذَعَنَ وَلَمْ يَأْبَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾¹ [فُصِّلَتْ: 11].

﴿وَحَقَّتْ﴾² مِنْ قَوْلِكَ: هُوَ مَحْقُوقٌ بِكَذَا وَحَقِيقٌ بِهِ، يَعْنِي: وَهِيَ حَقِيقَةٌ بِأَنْ تَنْفَادَ وَلَا تَمْتَنِعَ.

وَمَعْنَاهُ الْإِيدَانُ بِأَنَّ الْقَادِرَ الذَّاتِ يَجِبُ أَنْ يَتَأْتَى لَهُ كُلُّ مَقْدُورٍ وَيَحَقُّ ذَلِكَ. ﴿مُدَّتْ﴾³: مِنْ مَدَّ الشَّيْءَ فَاثْتَدَّ: وَهُوَ أَنْ تُزَالَ جِبَالُهَا وَآكَامُهَا وَكُلُّ أُمَّتٍ فِيهَا، حَتَّى تَمْتَدَّ وَتَنْبَسِطَ وَيَسْتَوِيَ ظَهْرُهَا، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾⁴.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: مُدَّتْ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعَكَاطِيَّ، لِأَنَّ الْأَدِيمَ إِذَا مُدَّ زَالَ انْتِشَاءً فِيهِ وَأُمَّتٍ وَاسْتَوَى أَوْ مِنْ مَدَّهُ بِمَعْنَى أَمَدَهُ، أَي: زِيدَتْ سِعَةً وَبَسْطَةً. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾⁵: وَرَمَتْ بِمَا فِي جَوْفِهَا مِمَّا دُفِنَ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى وَالْكُنُوزِ. ﴿وَتَحَلَّتْ﴾⁶: وَخَلَّتْ غَايَةَ الْخُلُوعِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِي بَاطِنِهَا، كَأَنَّهَا تَكَلَّفَتْ أَفْصَى جُهِدِهَا فِي الْخُلُوعِ، كَمَا يُقَالُ: تَكَرَّمَ الْكَرِيمُ، وَتَرَحَّمَ الرَّحِيمُ: إِذَا بَلَغَا جُهِدَهُمَا فِي الْكُرْمِ وَالرَّحْمَةِ، وَتَكَلَّفَا فَوْقَ مَا فِي طَبْعِهِمَا. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾⁷ فِي الْإِقَاءِ مَا فِي بَطْنِهَا وَتَحَلِّيَهَا.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَمَا مِنْ أَوْتَى كِتَابِهِ
بِمِيزَانٍ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ
ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا¹

الْكُدْحُ: جَهْدُ النَّفْسِ فِي الْعَمَلِ وَالْكَدُّ فِيهِ حَتَّى يُؤَثَّرَ فِيهَا، مِنْ كَدَحَ جَلَدَهُ: إِذَا
خَدَشَهُ.

وَمَعْنَى ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾²: جَاهِدْ إِلَى لِقَاءِ رَبِّكَ، وَهُوَ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَالِ
الْمُمَثَّلَةِ بِاللِقَاءِ.

﴿فَمَلَقِيهِ﴾³: فَمَلَقَ لَهُ لَا مَحَالَةَ، لَا مَفَرَّ لَكَ مِنْهُ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي مَلَقِيهِ لِلْكُدْحِ.

﴿يَسِيرًا﴾⁴ سَهْلًا هَيِّئًا لَا يَنَاقِشُ فِيهِ وَلَا يُعْتَرِضُ بِمَا يَسُوؤُهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ، كَمَا يَنَاقِشُ
أَصْحَابُ الشَّمَالِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: هُوَ أَنْ يَعْرِفَ ذُنُوبَهُ، ثُمَّ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ.

وَعَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ يُحَاسِبْ يُعَدِّبْ فَيَقِيلَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ: فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا. قَالَ: ذَلِكَمُ الْعَرُضُ؛ مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ عُذِّبَ".

﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾⁵: إِلَى عَشِيرَتِهِ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ. أَوْ إِلَى فَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْ إِلَى أَهْلِهِ فِي
الْجَنَّةِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ.

﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾⁶، قِيلَ: تُعَلُّ يُمْنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَتُجْعَلُ شِمَالُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَيُؤْتَى كِتَابَهُ
بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

وَقِيلَ: تُخْلَعُ يَدُهُ الْيُسْرَى مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

﴿يَدْعُو ثُبُورًا﴾⁷، يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

وَالنُّبُورُ: الْهَلَاكُ.

وَقُرَى: وَيُصَلَّى سَعِيرًا كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَصَلِيَهُ جَجِيمٌ﴾¹ [الْوَاقِعَةُ: 94].

وَيُصَلَّى: بِضَمِّ الْيَاءِ وَالتَّخْفِيفِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ﴾² [النِّسَاءُ: 115].

﴿فِي أَهْلِهِ﴾³: فِيمَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ: أَوْ مَعَهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعًا مَسْرُورِينَ، يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُتْرَفًا بَطْرًا مُسْتَبْشِرًا كَعَادَةِ الْفُجَّارِ الَّذِينَ لَا يُهْمُهُمْ أَمْرُ الْآخِرَةِ وَلَا يُفَكِّرُونَ فِي الْعَوَاقِبِ.

وَلَمْ يَكُنْ كَثِيبًا حَزِينًا مُتَفَكِّرًا كَعَادَةِ الصُّلَحَاءِ وَالْمُتَّقِينَ وَحِكَايَةِ اللَّهِ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّا كُنَّا

قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾⁴ [الطُّورُ: 26].

﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾⁵: لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- تَكْذِيبًا بِالْمَعَادِ.

يُقَالُ: لَا يَحُورُ وَلَا يَحُولُ، أَي: لَا يَرْجِعُ وَلَا يَتَغَيَّرُ.

قَالَ لَبِيدٌ:

.....يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا كُنْتُ أَذْرِي مَا مَعْنَى يَحُورُ حَتَّى سَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ لِبَنِي لَهَا:

حُورِي، أَي: ارْجِعِي .

﴿بَلَى﴾⁶: إِيجَابٌ لِمَا بَعْدَ التَّنْفِي فِي ﴿لَنْ يَحُورَ﴾⁷، أَي: بَلَى لِيَحُورَنَّ.

﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾⁸ وَبِأَعْمَالِهِ لَا يَنْسَاهَا وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُرْجِعَهُ

وَيُجَازِيَهُ عَلَيْهَا.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

وَقِيلَ: نَزَلَتِ الْآيَاتَانِ فِي أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَشَدِّ، وَأَخِيهِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشَدِّ.

﴿قَلَّا أَفْسِمُ بِالشَّقِيقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾¹

الشَّقِيقُ: الْحُمْرَةُ الَّتِي تُرَى فِي الْمَغْرِبِ بَعْدَ سُقُوطِ الشَّمْسِ، وَيَسْقُوطُهَا يَخْرُجُ وَقْتُ الْمَغْرِبِ، وَيَدْخُلُ وَقْتُ الْعَتَمَةِ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ، إِلَّا مَا يُرَوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ: أَنَّهُ الْبَيَاضُ.

وَرَوَى أَسَدُ بْنُ عَمْرٍو: أَنَّهُ رَجَعَ عَنْهُ، سُمِّيَ لِرِقَّتِهِ. وَمِنْهُ الشَّفَقَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ: رِقَّةُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾² وَمَا جَمَعَ وَصَمَّ، يُقَالُ: وَسَقَهُ فَاتَّسَقَ وَاسْتَوْسَقَ.
قَالَ:

مُسْتَوْسَقَاتٌ لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا

وَنَظِيرُهُ فِي وُفُوعِ افْتَعَلَ وَاسْتَفْعَلَ مُطَاوَعَيْنِ: اتَّسَعَ وَاسْتَوْسَعَ. وَمَعْنَاهُ: وَمَا جَمَعَهُ وَسَتَرَهُ وَأَوَى إِلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا.

﴿إِذَا اتَّسَقَ﴾³ إِذَا اجْتَمَعَ وَاسْتَوَى لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ.

قُرِي: "لَتَرْكَبُنَّ" عَلَى خِطَابِ الْإِنْسَانِ فِي: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾⁴، وَلَتَرْكَبُنَّ، بِالضَّمِّ عَلَى خِطَابِ الْجِنْسِ، لِأَنَّ النَّدَاءَ لِلْجِنْسِ، وَلَتَرْكَبُنَّ بِالْكَسْرِ عَلَى خِطَابِ النَّفْسِ، وَلَيَرْكَبُنَّ بِالْيَاءِ عَلَى: لَيَرْكَبُنَّ الْإِنْسَانَ.

وَالطَّبَقُ: مَا طَابَقَ غَيْرَهُ. يُقَالُ: مَا هَذَا بِطَبَقٍ لَذَا، أَي: لَا يُطَابِقُهُ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلْغَطَاءِ الطَّبَقُ. وَإِطْبَاقُ الشَّرَى: مَا تَطَابَقَ مِنْهُ، ثُمَّ قِيلَ لِلْحَالِ الْمُطَابِقَةِ لِعَيْرِهَا: طَبَقٌ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ -عَزَّ وَعَلَا-: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾¹، أَي: حَالًا بَعْدَ حَالٍ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مُطَابِقَةٌ لِأُخْتِهَا فِي الشَّدَّةِ وَالْهَوْلِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ طَبَقَةٍ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: هُوَ عَلَى طَبَقَاتٍ. وَمِنْهُ: طَبَقَ الظَّهْرَ لِفَقَارِهِ.

الوَاحِدَةُ: طَبَقَةٌ، عَلَى مَعْنَى: لَتَرَكِبَنَّ أَحْوَالًا بَعْدَ أَحْوَالٍ هِيَ طَبَقَاتٌ فِي الشَّدَّةِ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَهِيَ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ مَوَاطِنِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا.

فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَحَلُّ عَنْ طَبَقٍ؟ قُلْتُ: التَّصَبُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِـ ﴿طَبَقًا﴾²، أَي: طَبَقًا مُجَاوِزًا لَطَبَقٍ. أَوْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي لَتَرَكِبَنَّ، أَي: لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا مُجَاوِزِينَ لَطَبَقٍ. أَوْ مُجَاوِزًا أَوْ مُجَاوِزَةً، عَلَى حَسَبِ الْقِرَاءَةِ.

وَعَنْ مَكْحُولٍ: كَلَّ عِشْرِينَ عَامًا تَجِدُونَ أَمْرًا لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهِ.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَكْذِبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾³

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾⁴: لَا يَسْتَكِينُونَ وَلَا يَخْضَعُونَ. وَقِيلَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾⁵ [العلق: 19]. فَسَجَدَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَرِيشٌ تُصَفِّقُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَتُصَفِّرُ، فَسَزَلَتْ.

وَبِهِ احْتِجَّ أَبُو حَنِيفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى وَجُوبِ السَّجْدَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَيْسَ فِي الْمَفْصَلِ سَجْدَةٌ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّهُ سَجَدَ فِيهَا، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَجَدْتُ فِيهَا إِلَّا
بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْجُدُ فِيهَا.
وَعَنْ أَنَسٍ: صَلَّى خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَسَجَدُوا.
وَعَنِ الْحَسَنِ: هِيَ غَيْرُ وَاجِبَةٍ.
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾¹: إِشَارَةٌ إِلَى الْمَذْكُورِينَ.
﴿بِمَا يُوعُونَ﴾²: بِمَا يَجْمَعُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَيُضْمِرُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ
وَالْبُغْضَاءِ. أَوْ بِمَا يَجْمَعُونَ فِي صُحُفِهِمْ مِنْ أَعْمَالِ الشُّؤْمِ وَيَدَّخِرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ
الْعَذَابِ.
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾³: اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ.
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ انشَقَّتْ] أَعَادَهُ اللَّهُ أَنْ
يُعْطِيَهُ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ،
وَأَيَّاتُهَا 22
[نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّمْسِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ
وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾¹

هِيَ الْبُرُوجُ الْإِثْنَا عَشَرَ، وَهِيَ قُصُورُ السَّمَاءِ عَلَى التَّشْبِيهِ. وَقِيلَ:
﴿الْبُرُوجِ﴾² التُّجُومُ الَّتِي هِيَ مَنَازِلُ الْقَمَرِ. وَقِيلَ: عِظَامُ الْكَوَاكِبِ. سُمِّيَتْ بُرُوجًا لِظُهُورِهَا.
وَقِيلَ: أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾³: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾⁴، يَعْنِي وَشَاهِدٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَشْهُودٍ فِيهِ. وَالْمُرَادُ بِالشَّاهِدِ:
مَنْ يَشْهَدُ فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ، وَبِالْمَشْهُودِ: مَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ عَجَائِبِهِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَطَرِيقُ تَنْكِيْرِهِمَا: إِمَّا مَا ذَكَرْتُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِمْتُ نَفْسِي مَا أَحْضَرْتُ﴾¹ [التَّكْوِيْر]:
 [144]. كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا أَفْرَطْتَ كَثْرَتَهُ مِنْ شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ. وَإِنَّمَا الْإِبْهَامُ فِي الْوَصْفِ، كَأَنَّهُ
 قِيلَ: وَشَاهِدٍ مَشْهُودٍ لَا يُكْتَنَى وَصْفُهُمَا. وَقَدْ اضْطَرَبَتْ أَقَاوِيلُ الْمُفَسِّرِينَ فِيهِمَا، فْقِيلَ:
 الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ: عَيْسَى وَأُمَّتُهُ.
 لِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾²[الْمَائِدَة: 117]. وَقِيلَ: أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ، وَسَائِرُ
 الْأُمَّةِ. وَقِيلَ: يَوْمُ التَّرْوِيَةِ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، وَقِيلَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَقِيلَ: الْحَجْرُ
 الْأَسْوَدُ وَالْحَجِيحُ. وَقِيلَ: الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي وَبَنُو آدَمَ.
 وَعَنْ الْحَسَنِ: مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُنَادِي: إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ وَإِنِّي عَلَى مَا يُعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ،
 فَاعْتَمِنِي، فَلَوْ غَابَتْ شَمْسٌ لَمْ تُدْرِكْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: الْحَفْظَةُ وَبَنُو آدَمَ. وَقِيلَ:
 الْأَنْبِيَاءُ وَمُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿قَاتِلِ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ الذَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾³

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ جَوَابُ الْقَسَمِ؟ قُلْتُ: مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿قَاتِلِ أَصْحَابَ
 الْأُخْدُودِ﴾⁴، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَقْسِمُ بِهِدِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُمْ مَلْعُونُونَ، يَعْنِي كُفَّارَ فُرَيْشٍ كَمَا لَعَنَ
 أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّورَةَ وَرَدَتْ فِي تَثْبِيْتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَضْيِيْرِهِمْ عَلَى أَدَى
 أَهْلِ مَكَّةَ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ التَّعْذِيْبِ عَلَى الْإِيْمَانِ. وَإِلْحَاقِ أَنْوَاعِ
 الْأَدَى، وَصَبْرِهِمْ وَتَبَاتِهِمْ، حَتَّى يَأْتَسُوا بِهِمْ وَيَصْبِرُوا عَلَى مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَيَعْلَمُوا
 أَنَّ كُفَّارَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ أَوْلِيَاكَ الْمُعْذِيْبِينَ الْمُحْرَقِينَ بِالنَّارِ، مَلْعُونُونَ أَحْقَاءُ بَأَنَّ يُقَالَ فِيهِمْ:
 قَاتِلْتُمْ فُرَيْشًا، كَمَا قِيلَ: قَاتِلِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ. وَقُتِلَ: دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَاتِلِ الْإِنْسَانَ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

مَا أَكْفَرَهُ¹ [عَبَسَ: 177]. وَفُرِيَ: "قُتِلَ" بِالتَّشْدِيدِ. وَالْأَخْدُودُ: الْخَدُّ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الشَّقُّ، وَنَحْوُهُمَا بِنَاءٍ وَمَعْنَى: الْحَقُّ وَالْأَخْفُوقُ. وَمِنْهُ فَسَّاحَتْ قَوَائِمُهُ فِي أَخَاقِيحِ جُرْدَانٍ. رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ ضَمَّ إِلَيْهِ غُلَامًا لِيُعَلِّمَهُ السَّحْرَ، وَكَانَ فِي طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ: فَسَمِعَ مِنْهُ، فَرَأَى فِي طَرِيقِهِ ذَاتَ يَوْمٍ دَابَّةً قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ. فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الرَّاهِبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ السَّاحِرِ فَاقْتُلْهَا، فَكَانَ الْغُلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُبْرئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيَشْفِي مِنَ الْأَدْوَاءِ، وَعَمِيَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ فَأَبْرَأَهُ فَأَبْصَرَهُ الْمَلِكُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ فَقَالَ: رَبِّي، فَعَضِبَ فَعَدَّبَهُ. فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَعَدَّبَهُ، فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَلَمْ يَرْجِعِ الرَّاهِبُ عَنْ دِينِهِ، فَقَدَّ بِالْمِنْشَارِ وَأَبَى الْغُلَامُ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى جَبَلٍ لِيُطْرَحَ مِنْ ذُرْوَتِهِ، فَدَعَا فَرَجَفَ بِالْقَوْمِ، فَطَاحُوا وَنَجَا، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى فُرْقُورٍ فَلَجَّجُوا بِهِ لِيُغْرِقُوهُ، فَدَعَا فَاثْكَفَاتٍ بِهِمُ السَّفِينَةَ، فَغَرِقُوا وَنَجَا، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: لَسْتُ بِقَاتِلِي حَتَّى تَجْعَلَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَتَصْلُبَنِي عَلَى جِدْعٍ وَتَأْخُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي وَتَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ تَرْمِينِي بِهِ، فَرَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمَّا رَبُّ الْغُلَامِ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ. نَزَلَ بِكَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، فَأَمَرَ بِأَخَادِيدَ فِي أَفْوَاهِ السَّكِّ وَأَوْقَدَتْ فِيهَا النَّيْرَانَ. فَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ طَرَحَهُ فِيهَا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمَّاهُ، اصْبِرِي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ. وَقِيلَ: قَالَ لَهَا قِيعِي وَلَا تُنَافِقِي. وَقِيلَ: قَالَ لَهَا: مَا هِيَ إِلَّا غُمِيضَةٌ فَصَبِرَتْ".

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّهُمْ حِينَ اخْتَلَفُوا فِي أَحْكَامِ الْمَجُوسِ قَالَ: هُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَكَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِمْ، وَكَانَتِ الْخَمْرُ قَدْ أَحَلَّتْ لَهُمْ، فَتَنَاوَلَهَا بَعْضُ مُلُوكِهِمْ فَسَكِرَ، فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَلَمَّا صَحَا نَدِمَ وَطَلَبَ الْمَخْرَجَ، فَقَالَتْ لَهُ: الْمَخْرَجُ أَنْ تَخْطُبَ النَّاسَ فَتَقُولَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ أَحَلَّ نِكَاحَ الْأَخَوَاتِ، ثُمَّ تَخْطُبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ، فَحَطَبَ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ. فَقَالَتْ لَهُ: ابْسُطْ فِيهِمُ السَّوْطَ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَقَالَتْ لَهُ: ابْسُطْ فِيهِمُ السَّيْفَ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَأَمَرَتْهُ بِالْأَخَادِيدِ وَإِقَادِ النَّيْرَانِ وَطَرَحَ مَنْ أَبِي فِيهَا، فَهَمُّ الَّذِينَ أَرَادَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ²﴾. وَقِيلَ: وَقَعَ إِلَى نَجْرَانَ رَجُلًا

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

مَمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَيْسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَدَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَّاسِ
 الْيَهُودِيُّ بِجُنُودٍ مِنْ حَمِيرٍ ، فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ النَّارِ وَالْيَهُودِيَّةِ فَأَبَوْا، فَأَحْرَقَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا
 فِي الْأَحَادِيدِ. وَقِيلَ: سَبْعِينَ أَلْفًا، وَذُكِرَ أَنَّ طُولَ الْأَخْدُودِ: أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ اثْنَا عَشَرَ
 ذِرَاعًا. وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ تَعَوَّذَ مِنْ
 جَهْدِ الْبِلَاءِ.

﴿النَّارِ﴾¹ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الْأَخْدُودِ، ﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾²: وَصَفُ لَهَا بِأَنَّهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ
 لَهَا مَا يَرْتَفِعُ بِهِ لَهَبُهَا مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرِ وَأَبْدَانِ النَّاسِ، وَقُرِيءَ: الْوُقُودُ بِالضَّمِّ. "إِذْ" ظَرْفٌ
 لِقِتْلِ، أَي: لَعْنُوا حِينَ أَحْدَثُوا بِالنَّارِ قَاعِدِينَ حَوْلَهَا.

وَمَعْنَى ﴿عَلَيْهَا﴾³: عَلَى مَا يَدْتُو مِنْهَا مِنْ حَافَاتِ الْأَخْدُودِ، كَقَوْلِهِ:

.....وَبَاتَ عَلَى النَّارِ التَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

وَكَمَا تَقُولُ: مَرَّتْ عَلَيْهِ، تُرِيدُ: مُسْتَعْلِيًا لِمَكَانٍ يَدْتُو مِنْهُ، وَمَعْنَى شَهَادَتِهِمْ عَلَى
 إِحْرَاقِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُمْ وَكَلُّوا بِذَلِكَ وَجَعَلُوا شُهُودًا يَشْهَدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ الْمَلِكِ أَنَّ
 أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يُفَرِّطْ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَفُوضَ إِلَيْهِ مِنَ التَّعْذِيبِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: أَنَّهُمْ شُهِدُوا عَلَى
 مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، يُؤَدُّونَ شَهَادَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
 وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁴ [النُّورِ: 24].

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾⁵: وَمَا عَابُوا مِنْهُمْ وَمَا أَنْكَرُوا إِلَّا الْإِيمَانَ كَقَوْلِهِ:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ

قَالَ ابْنُ الرُّقَيَّاتِ:

مَا نَقَمُوا مِنْ نَبِيِّ أُمَّيَّةٍ إِلَّا لَا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .

وَقَرَأَ أَبُو حَيَوَةَ: نَعْمُوا بِالْكَسْرِ، وَالْفَصِيحُ: هُوَ الْفَتْحُ. وَذَكَرَ الْأَوْصَافِ اللَّيْ يَسْتَحِقُّ بِهَا أَنْ يُؤْمَنَ بِهِ وَيُعْبَدَ، وَهُوَ كَوْنُهُ عَزِيزًا غَالِبًا قَادِرًا يُحْشَى عِقَابُهُ حَمِيدًا مُنْعَمًا. يَجِبُ لَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعْمَتِهِ وَيُرْجَى ثَوَابُهُ.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹، فَكُلُّ مَنْ فِيهَا تَحَقُّ عَلَيْهِ عِبَادَتُهُ وَالْخُشُوعُ لَهُ تَقْدِيرًا، لِأَنَّ / مَا نَعْمُوا مِنْهُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَنْقُمُهُ إِلَّا مُبْطَلٌ مِنْهُمْ فِي الْعِيِّ، وَأَنَّ النَّاقِمِينَ أَهْلٌ لِإِنْتِقَامِ اللَّهِ مِنْهُمْ بِعَذَابٍ لَا يَعْدِلُهُ عَذَابٌ.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾²: وَعِيدٌ لَهُمْ، يَعْنِي أَنَّهُ عَلِمَ مَا فَعَلُوا، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾³

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالَّذِينَ فَتَنُوا: أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ خَاصَّةً، وَبِالَّذِينَ آمَنُوا: الْمَطْرُوحِينَ فِي الْأَخْدُودِ. وَمَعْنَى فَتَنُوا عَذَّبُوهُمْ بِالنَّارِ وَأَحْرَقُوهُمْ.

﴿فَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾⁴ بِكُفْرِهِمْ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾⁵، وَهِيَ نَارٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ تَسْبَعُ كَمَا يَتَسَبَّعُ الْحَرِيقُ بِإِحْرَاقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْ لَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ فِي الدُّنْيَا، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّارَ انْقَلَبَتْ عَلَيْهِمْ فَأَحْرَقَتْهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ، أَي: بَلَّوْهُمْ بِالْأَذَى عَلَى الْعُمُومِ، وَالْمُؤْمِنِينَ: الْمَفْتُونِينَ، وَأَنَّ لِلْفَاتِنِينَ عَذَابَيْنِ فِي الْآخِرَةِ: لِكُفْرِهِمْ، وَلِفْتْنَتِهِمْ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ وَهُوَ الْعَفْوَ الْوَدُودُ﴾ ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾¹

البطشُ: الأخذ بالعنف، فإذا وُصف بالشدة فقد تضايف وتفاقم: وهو بطشه بالجبرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾²، أي: يُبْدِي البطشَ وَيُعِيدُهُ. يعني: يبطشُ بهم في الدنيا وفي الآخرة. أو دلَّ بإفتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه وأوعد الكفرة بأنه يُعيدهم كما أبدأهم ليطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة. وقُرئ: يبدأ. ﴿الْوَدُودُ﴾³: الفاعلُ بأهل طاعته ما يفعلهُ الودودُ: من إعطائهم ما أرادوا. وقُرئ: ذي العرشِ صفةً لربك وقُرئ: المجد بالجر صفةً للعرش. ومجد الله عظمته، ومجد العرش: علوه وعظمته.

﴿فَعَالٌ﴾⁴: خبرٌ مُبتدأٌ محذوف. وإنما قيل: فعال، لأن ما يُريدُ ويفعلُ في غاية الكثرة.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾⁵

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾¹ بَدَلٌ مِنَ الْجُنُودِ وَأَرَادَ بِفِرْعَوْنَ إِيَّاهُ وَآلَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَيْهِمْ﴾² [يُونُسُ: 83]. وَالْمَعْنَى: قَدْ عَرَفْتَ تَكْذِيبَ تِلْكَ الْجُنُودِ الرَّسُلِ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ لِتَكْذِيبِهِمْ.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾³ مِنْ قَوْمِكَ ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾⁴، أَي: تَكْذِيبٍ وَاسْتِيحَابٍ لِلْعَذَابِ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَقَادِرٌ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يُعْجِزُونَهُ. وَالْإِحَاطَةُ بِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ: مَثَلٌ لِأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ، كَمَا لَا يَفُوتُ فَائِثُ الشَّيْءِ الْمُحِيطُ بِهِ. وَمَعْنَى الْإِضْرَابِ: أَنَّ أَمْرَهُمْ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ أَوْلَئِكَ، لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا بِقِصَصِهِمْ وَبِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَرَأَوْا آثَارَ هَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَعْتَبِرُوا، وَكَذَّبُوا أَشَدَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ.

﴿بَلْ هُوَ﴾⁵، أَي: بَلْ هَذَا الَّذِي كَذَّبُوا بِهِ، ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾⁶: شَرِيفٌ عَالِي الطَّبَقَةِ فِي الْكُتُبِ وَفِي نَظْمِهِ وَإِعْجَازِهِ. وَقُرِئَ: قُرْآنٌ مَجِيدٌ، بِالْإِضَافَةِ، أَي: قُرْآنُ رَبِّ مَجِيدٍ. وَقُرِئَ: يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ: فِي لَوْحٍ، وَاللُّوحُ: الْهَوَاءُ، يَعْنِي: اللَّوْحُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الَّذِي فِيهِ اللَّوْحُ؛ ﴿مَحْفُوظٌ﴾⁷ مِنْ وُضُوعِ الشَّيَاطِينِ إِلَيْهِ. وَقُرِئَ: مَحْفُوظٌ بِالرَّفْعِ، صِفَةُ الْقُرْآنِ. عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْبُرُوجِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ بِعَدَدِ كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ وَكُلَّ يَوْمٍ عَرَفَةَ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ".

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا 17
[تَزَلَّتْ بَعْدَ الْبَلَدِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ
النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾¹

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾²: الْمُضِيءُ، كَأَنَّهُ يَنْقُبُ الظَّلَامَ بِضَوْئِهِ فَيَنْفُذُ فِيهِ، كَمَا قِيلَ:
دُرِّيٌّ، لِأَنَّهُ يَدْرُؤُهُ، أَي: يَدْفَعُهُ. وَوُصِفَ بِالطَّارِقِ، لِأَنَّهُ يَبْدُو بِاللَّيْلِ، كَمَا يُقَالُ لِأَتِي لَيْلًا:
طَارِقٌ، أَوْ لِأَنَّهُ يَطْرُقُ الْجَنِّيَّ، أَي يَصُكُّهُ. وَالْمُرَادُ: جِنْسُ النُّجُومِ، أَوْ جِنْسُ الشُّهُبِ الَّتِي
يُرْجَمُ بِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا يُشْبِهُ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾³ إِلَّا تَرْجَمَةَ كَلِمَةً
بِأُخْرَى، فَسَيِّئٌ لِي أَيِّ فَائِدَةٍ تَحْتَهُ؟ قُلْتُ: أَرَادَ اللَّهُ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-: أَنْ يُقْسَمَ بِالنَّجْمِ
الثَّاقِبِ تَعْظِيمًا لَهُ، لِمَا عُرِفَ فِيهِ مِنْ عَجِيبِ الْقُدْرَةِ وَلَطِيفِ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ يُنَبِّهَ عَلَى ذَلِكَ
فَجَاءَ بِمَا هُوَ صِفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَهُوَ الطَّارِقُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾¹، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿التَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾²؛ كُلُّ هَذَا إِظْهَارٌ لِفَخَامَةِ شَأْنِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾³[الْوَاقِعَةُ: 755-76].

رُوي: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَانْحَطَّ نَجْمٌ، فَامْتَلَأَ مَا تَمَّ نُورًا فَجَزَعَ أَبُو طَالِبٍ وَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ فَقَالَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "هَذَا نَجْمٌ رَمِيَ بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ" فَعَجِبَ أَبُو طَالِبٍ، فَانزَلَتْ.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾⁴

فَإِنْ قُلْتَ: مَا جَوَابُ الْقَسَمِ؟ قُلْتُ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾⁵، لِأَنَّ "إِنْ" لَا تَخْلُو فِيمَنْ قَرَأَ لَمَّا مُشَدَّدَةً، بِمَعْنَى: إِلَّا أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً. وَفِيمَنْ قَرَأَهَا مُخَفَّفَةً عَلَى أَنَّ "مَا" صِلَةٌ تَكُونُ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَيْتُهُمَا كَانَتْ فِيهِ مِمَّا يُتَلَقَّى بِهِ الْقَسَمُ، حَافِظٌ مُهَيِّمٌ عَلَيْهَا رَقِيبٌ، وَهُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾⁶ [الأَحْزَابِ: 52]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيبًا﴾⁷ [النِّسَاءِ: 855]. وَقِيلَ: مَلَكٌ يَحْفَظُ عَمَلَهَا وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْسِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَرُوي عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وَكُلُّ بِالْمُؤْمِنِ مِائَةٌ وَسِتُّونَ مَلَكًا يَدُبُّونَ عَنْهُ كَمَا يُدْبُ عَنْ قِصْعَةِ الْعَسَلِ الدُّبَابُ. وَلَوْ وَكَلِ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَأَخْطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ".

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ¹

فَإِنْ قُلْتُ: مَا وَجْهُ اتِّصَالِ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾² بِمَا قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: وَجْهُ اتِّصَالِهِ بِهِ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ حَافِظًا، أَتْبَعَهُ تَوْصِيَةَ الْإِنْسَانِ بِالنَّظْرِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَنَشَأَتِهِ الْأُولَى، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ وَجَزَائِهِ، فَيَعْمَلُ لِيَوْمِ الْإِعَادَةِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا يُمْلِي عَلَى حَافِظِهِ إِلَّا مَا يَسُرُّهُ فِي عَاقِبَتِهِ.

و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾³: اسْتِفْهَامٌ جَوَابُهُ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾⁴، وَالِدَّفَقُ: صَبَّ فِيهِ دَفْعٌ. وَمَعْنَى دَافِقٍ: التَّسْبِيهُ إِلَى الدَّفْقِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرٌ دَفَقَ، كَاللَّابِنِ وَالتَّامِرِ. أَوْ الْإِسْنَادُ الْمَجَازِيُّ. وَالِدَّفَقُ فِي الْحَقِيقَةِ لِصَاحِبِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: مَاءَيْنِ؛ لِامْتِزَاجِهِمَا فِي الرَّحْمِ، وَاتِّحَادِهِمَا جِئْنَ ابْتِدَائِي فِي خَلْقِهِ.

﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾⁵: مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ: وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ حَيْثُ تَكُونُ الْقِلَادَةُ. وَفَرِيءَ "الصُّلْبِ" بِفَتْحَتَيْنِ، وَالصُّلْبُ بِضَمَّتَيْنِ. وَفِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ: صُلْبٌ، وَصَلْبٌ، وَصُلْبٌ وَصَالِبٌ.

قَالَ الْعَجَّاجُ:

فِي صَلْبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُؤَدَمِ

وَقِيلَ: الْعِظْمُ وَالْعَصَبُ مِنَ الرَّجْلِ، وَاللَّحْمُ وَالِدَّمُ مِنَ الْمَرْأَةِ.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾⁶
فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ⁶

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

﴿إِنَّهُ﴾¹: الضَّمِيرُ لِلخَالِقِ، لِدَلَالَةِ "خَلَقَ" عَلَيْهِ. وَمَعْنَاهُ: إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ
ابتداءً مِنْ نُطْقَةٍ، ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾: عَلَى إِعَادَتِهِ خُصُوصًا، ﴿لِقَادِرٍ﴾²: لَبِيْنُ الْقُدْرَةِ لَا يَلْتَاثُ
عَلَيْهِ وَلَا يَعْجِزُ عَنْهُ. كَقَوْلِهِ: إِنِّي لَفَقِيرٌ.
﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾³ مَنْصُوبٌ بِرَجْعِهِ، وَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ فِي ﴿رَجْعِهِ﴾⁴، وَفَسَّرَهُ بِرَجْعِهِ إِلَى
مَخْرَجِهِ مِنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ أَوْ الإِخْلِيلِ. أَوْ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى نَصَبَ الظَّرْفِ بِمُضَمَّرٍ.
﴿السَّرَائِرُ﴾⁵: مَا أُسِّرَ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ وَغَيْرِهَا، وَمَا أُخْفِيَ مِنَ
الأَعْمَالِ وَبَلَائِهَا. تَعَرَّفُفَهَا وَتَصَفَّفُفَهَا، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا طَابَ مِنْهَا وَمَا خَبُثَ.
وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشِدُ:
سَيِّقِي لَهَا فِي مُضَمَّرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةً وَدَّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
فَقَالَ: مَا أَغْفَلَهُ عَمَّا فِي ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾⁶.
﴿فَمَا لَهُ﴾⁷: فَمَا لِلْإِنْسَانِ ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾⁸: مِنْ مَنَعَةٍ فِي نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ بِهَا، ﴿وَلَا
نَاصِرٍ﴾⁹: وَلَا مَانِعٍ يَمْنَعُهُ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ
وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾¹⁰

سُمِّيَ الْمَطَرُ: رَجْعًا، كَمَا سُمِّيَ أَوْبًا قَالَ:

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .
- 10 سورة ، الآية .

رَبَّاءُ سَمَاءٌ لَا يَأْوِي لِغَلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبِيلُ
تَسْمِيَةً بِمَصْدَرِي: رَجَعَ، وَأَب، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّحَابَ يَحْمِلُ
الْمَاءَ مِنْ بَحَارِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يُرْجِعُهُ إِلَى الْأَرْضِ. أَوْ أَرَادُوا التَّفَاوُلَ فَسَمَّوْهُ رَجَعًا. وَأَوْبًا، لِيَرْجَعَ
وَيُؤْوِبَ. وَقِيلَ: لِأَنَّ اللَّهَ يُرْجِعُهُ وَقْتًا فَوْقًا. قَالَتِ الْخُنَسَاءُ: كَالرَّجْعِ فِي الْمُدْحِجَةِ السَّارِيَةِ.
وَالصَّدْعُ: مَا يَتَصَدَّعُ عَنْهُ الْأَرْضُ مِنَ النَّبَاتِ.
﴿إِنَّهُ﴾¹، الصَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ، ﴿فَصَلِّ﴾²: فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَمَا قِيلَ لَهُ:
فُرْقَانٌ.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾³، يَعْنِي أَنَّهُ جَدُّ كُلِّهِ لَا هَوَادَةَ فِيهِ. وَمِنْ حَقِّهِ - وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ
بِذَلِكَ - أَنْ يَكُونَ مَهِيًّا فِي الصُّدُورِ، مُعْظَمًا فِي الْقُلُوبِ، يَتَرَفَّعُ بِهِ قَارِئُهُ وَسَامِعُهُ وَأَنْ يَلِمَ
بِهَزْلِ أَوْ يَتَفَكَّهَ بِمَزَاحٍ، وَأَنْ يُلْقِيَ ذَهْنَهُ إِلَى أَنَّ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ يُخَاطِبُهُ فَيَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ، وَيُوعِدُهُ
وَيُوعِدُهُ، حَتَّى إِنْ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْخَوْفُ وَلَمْ تَتَبَالَعِ فِيهِ الْخَشْيَةُ، فَأَذْنَى أَمْرِهِ أَنْ يَكُونَ جَادًّا غَيْرَ
هَازِلٍ، فَقَدْ نَعَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ
سَامِدُونَ﴾⁴ [النَّجْم: 61]، ﴿وَالْعَوَا فِيهِ﴾⁵ [فُصِّلَتْ: 26].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ
أَمَهُلَهُمْ رُوَيْدًا﴾⁶

﴿إِنَّهُمْ﴾⁷، يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ يَعْمَلُونَ الْمَكَائِدَ فِي إِطَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَإِطْفَاءِ نُورِ الْحَقِّ،
وَأَنَا أَقَابِلُهُمْ بِكَيْدِي: مِنْ اسْتِدْرَاجِي لَهُمْ وَانْتِظَارِي بِهِمْ الْمِيقَاتِ الَّتِي وَقَّتُهُ لِلانْتِصَارِ مِنْهُمْ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ﴾¹، يَعْنِي: لَا تَدْعُ بِهَلَاكِهِمْ وَلَا تَسْتَعْجِلْ بِهِ، ﴿أُمَّهْلُهُمْ
رُؤْبَدًا﴾²، أَي: إِمْهَالًا يَسِيرًا، وَكَرَّرَ وَخَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لِرِيَادَةِ التَّسْكِينِ مِنْهُ وَالتَّصْبِيرِ.
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الطَّارِقِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ بِعَدَدِ
كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا 19
[نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِينِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ
الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾¹

تَسْبِيحُ اسْمِهِ -عَزَّ وَعَلَا-: تَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَصِحُّ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ الْخَادُّ فِي
أَسْمَائِهِ، كَالجَبْرِ وَالتَّشْبِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِثْلَ أَنْ يُفَسَّرَ الْأَعْلَى بِمَعْنَى الْعُلُوِّ الَّذِي هُوَ الْقَهْرُ
وَالْإِفْتِدَارُ، لَا بِمَعْنَى الْعُلُوِّ فِي الْمَكَانِ وَالْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً، وَأَنْ يُصَانَ عَنِ الْإِبْتِدَالِ
وَالذِّكْرِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْخُشُوعِ وَالتَّعْظِيمِ.
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْأَعْلَى﴾² صِفَةً لِلرَّبِّ، وَالْإِسْمِ، وَقَرَأَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:
سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى.

وَفِي الْحَدِيثِ لَمَّا نَزَلَتْ: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ-: "اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ" فَلَمَّا نَزَلَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ: "اجْعَلُوهَا فِي
سُجُودِكُمْ"، وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الرُّكُوعِ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَفِي السُّجُودِ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

﴿حَلَقَ فَسَوَّى﴾¹، أي: خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَسَوَّى خَلْقَهُ تَسْوِيَةً، وَلَمْ يَأْتِ بِهِ مُتَّفَاعٍ وَتَا غَيْرِ مُلْتَمِمْ، وَلَكِنْ عَلَى إِحْكَامٍ وَاتِّسَاقٍ، وَدَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهُ صَادِرٌ عَنِ عَالِمٍ، وَأَنَّهُ صَنَعُهُ حَكِيمٍ.

﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾²: قَدَّرَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ مَا يُصْلِحُهُ، فَهَدَاهُ إِلَيْهِ وَعَرَفَهُ وَجْهَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ. يُحْكِي أَنَّ الْأَفْعَى إِذَا أَتَتْ عَلَيْهَا أَلْفُ سَنَةٍ عَمِيَتْ، وَقَدْ أَلْهَمَهَا اللَّهُ أَنَّ مَسْحَ الْعَيْنِ بِوَرَقِ الرَّازِيَانِجِ الْغَضُّ يَزِيدُ إِلَيْهَا بَصَرَهَا، فَرُبَّمَا كَانَتْ فِي بَرِّيَّةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّيْفِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ فَتَطْوِي تِلْكَ الْمَسَافَةَ عَلَى طُولِهَا وَعَلَى عَمَائِهَا حَتَّى تَهْجُمَ فِي بَعْضِ الْبَسَاتِينِ عَلَى شَجَرَةِ الرَّازِيَانِجِ لَا تُخَطُّهَا، فَتَحُكُّ بِهَا عَيْنَيْهَا وَتَرْجِعُ بَاصِرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَهَدَايَاتُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَا يُحَدُّ مِنْ مَصَالِحِهِ وَمَا لَا يُحْصَرُ مِنْ حَوَائِجِهِ فِي أَغْذِيَّتِهِ وَأَدْوِيَّتِهِ، وَفِي أَبْوَابِ دُنْيَاهُ وَدِينِهِ، وَالْهَامَاتِ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ وَهَوَامِّ الْأَرْضِ: بَابٌ وَاسِعٌ، وَشَوْطٌ بَطِينٌ، لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ وَاصِفٍ، فَسُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى. وَقُرِيءَ: "قَدَّرَ" بِالتَّخْفِيفِ.

﴿أَحْوَى﴾³ صِفَةٌ لِ ﴿غَنَاءٍ﴾⁴، أي: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾⁵: أَنْبَتَهُ، ﴿فَجَعَلَهُ﴾⁶ بَعْدَ خُضْرَتِهِ وَرَفِيفِهِ، ﴿غَنَاءً أَحْوَى﴾⁷: دَرِينًا أَسْوَدَ.

وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَحْوَى﴾⁸ حَالًا مِنَ الْمَرْعَى، أي: أَخْرَجَهُ أَحْوَى أَسْوَدَ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ وَالرِّيِّ، فَجَعَلَهُ غَنَاءً بَعْدَ حَوِيهِ .

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ
وَمَا يَخْفَى﴾⁹

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .

بَشَّرَهُ اللَّهُ بِإِعْطَاءِ آيَةٍ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ: أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ مَا يَقْرَأُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، فَيَحْفَظُهُ وَلَا يَنْسَاهُ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾¹، فَذَهَبَ بِهِ عَنْ حِفْظِهِ بِرَفْعِ حُكْمِهِ وَتِلَاوَتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ نُنْسِيهَا﴾² [البقرة: 106]. وَقِيلَ: كَانَ يَعَجَلُ بِالْقِرَاءَةِ إِذَا لَقِنَهُ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: لَا تَعَجَلْ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَقْرَأَهُ عَلَيْكَ قِرَاءَةً مُكَرَّرَةً إِلَى أَنْ تَحْفَظَهُ، ثُمَّ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَذَكُرُهُ بَعْدَ النِّسْيَانِ. أَوْ قَالَ: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، يَعْنِي: الْفَلَّةُ وَالْتِدْرَةُ، كَمَا رَوَى "أَنَّهُ أَسْقَطَ آيَةً فِي قِرَاءَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَحَسَبَ أَنِّي أَنَهَا نُسِخَتْ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: نَسِيْتُهَا" أَوْ قَالَ: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ الْغَرَضُ نَفْيُ النِّسْيَانِ رَأْسًا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: أَنْتَ سَهِيمِي فِيمَا أَمْلِكُ إِلَّا فِيمَا شَاءَ اللَّهُ. وَلَا يَقْصِدُ اسْتِثْنَاءَ شَيْءٍ وَهُوَ اسْتِعْمَالُ الْفَلَّةِ فِي مَعْنَى النَّفْيِ .

وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَنْسِي﴾³ عَلَى النَّهْيِ، وَالْأَلْفُ مَزِيدَةٌ لِلْفَاصِلَةِ، كَقَوْلِهِ: "السَّيْلُ" [الأحزاب: 67]، يَعْنِي: فَلَا تُغْفَلْ قِرَاءَتُهُ وَتَكْرِيرُهُ فَتَنْسَاهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْسِيكَ بِرَفْعِ تِلَاوَتِهِ لِلْمَصْلَحَةِ.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾⁴، يَعْنِي أَنَّكَ تَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ مَعَ قِرَاءَةِ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَخَافَةَ التَّفَلُّتِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ جَهْرَكَ مَعَهُ وَمَا فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَدْعُوكَ إِلَى الْجَهْرِ، فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّا أَكْفَيْكَ مَا تَخَافُهُ. أَوْ يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ مِنْ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَمَا ظَهَرَ وَبَطَّنَ مِنْ أَحْوَالِكُمْ، وَمَا هُوَ مَصْلِحَةٌ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَمَفْسَدَةٌ فِيهِ، فَيُنْسِي مِنَ الْوَحْيِ مَا يَشَاءُ، وَيَتْرُكُ مَحْفُوظًا مَا يَشَاءُ.

﴿وَنُتَبِّئُكَ لِلنَّاسِ لِيُنسِيَ فذَكَرْ إِن تَفْعَلِ الذِّكْرَى سَيَذَكُرْ مَنْ يَخْشَى وَيَجْجِبُهَا
الْأَشْقَى الَّذِي يَصَلِّي النَّازِ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾⁵

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .

﴿وَيْسُرُكَ لِلْيُسْرَى﴾¹ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿سُنْفُرُكَ﴾².

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾³ اغْتِرَاضٌ؛ وَمَعْنَاهُ: وَنُوفِقُكَ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ، يَعْنِي: حَفِظَ الْوَحْيَ. وَقِيلَ لِلشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ الشَّرَائِعِ وَأَسْهَلُهَا مَاخِذًا. وَقِيلَ: نُوفِقُكَ لِعَمَلِ الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَانَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَأْمُورًا بِالذِّكْرِ نَفَعَتْ أَوْ لَمْ تَنْفَعْ، فَمَا مَعْنَى اشْتِرَاطِ النَّفْعِ؟ قُلْتَ: هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدِ اسْتَفْرَغَ مَجْهُودَهُ فِي تَذْكِيرِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَرِيدُونَ عَلَى زِيَادَةِ الذِّكْرِ إِلَّا عُتُورًا وَطُغْيَانًا، وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَلَطَّى حَسْرَةً وَتَلَهُّفًا وَيَزْدَادُ جِدًّا فِي تَذْكِيرِهِمْ وَحِرْصًا عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ، فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾⁴ [الرُّحُوفِ: 899].

﴿فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾⁵، وَذَلِكَ بَعْدَ إِلْزَامِ الْحُجَّةِ بِتَكَرُّرِ التَّذْكِيرِ.

- وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ شَرْطًا، وَمَعْنَاهُ ذَمًّا لِلْمُذَكِّرِينَ، وَإِخْبَارًا عَنِ حَالِهِمْ، وَاسْتِيعَادًا لِتَأْثِيرِ الذِّكْرِ فِيهِمْ، وَتَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ بِالطَّبَعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، كَمَا تَقُولُ لِلْوَاعِظِ: عِظِ الْمَكَّاسِينَ إِنْ سَمِعُوا مِنْكَ. فَاصِدًا بِهَذَا الشَّرْطِ اسْتِيعَادَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ ﴿سَيِّدُكَرٌ﴾⁶، فَيَقْبَلُ التَّذْكَرَةَ وَيَنْتَفِعَ بِهَا، ﴿مَنْ يَخْشَى﴾⁷ اللَّهُ وَسُوءَ الْعَاقِبَةِ، فَيَنْظُرُ وَيُفَكِّرُ حَتَّى يَقُودَهُ النَّظَرُ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ: فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَعَبِيرٌ خَاشِعِينَ وَلَا نَاطِرِينَ، فَلَا تَأْمَلُ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْكَ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾¹ وَيَتَجَنَّبُ الدُّكْرَى وَيَتَحَامَاهَا ﴿الْأَشْقَى﴾² الْكَافِرُ، لِأَنَّهُ أَشْقَى مِنْ الْفَاسِقِ. أَوْ الَّذِي هُوَ أَشْقَى الْكُفْرَةَ لِتَوَعُّلِهِ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ وَعُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ.

﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾³: السُّفْلَى مِنْ أَطْبَاقِ النَّارِ، وَقِيلَ: ﴿الْكُبْرَى﴾⁴ نَارُ جَهَنَّمَ. وَالصُّغْرَى نَارُ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: "ثُمَّ"، لِأَنَّ التَّرْجُحَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ أَفْطَحَ مِنَ الصَّلَى، فَهُوَ مُتْرَاخٌ عَنْهُ فِي مَرَاتِبِ الشَّدَّةِ وَالْمَعْنَى: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤَْوِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾⁵

﴿تَزَكَّى﴾⁶ تَطَهَّرَ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي. أَوْ تَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ. أَوْ تَكَثَّرَ مِنَ التَّقْوَى، مِنْ الزَّكَاةِ وَهُوَ التَّمَاءُ. أَوْ تَفَعَّلَ مِنَ الزَّكَاةِ، كَتَصَدَّقَ مِنَ الصَّدَقَةِ؛ ﴿فَصَلَّى﴾⁷، أَي: الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾⁸ [البقرة: 177].

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَصَدَّقَ وَصَلَّى. وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ هُوَ: التَّصَدَّقُ بِصَدَقَةِ الْفِطْرِ. وَقَالَ: لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَجِدَ فِي كِتَابِي غَيْرَهَا، لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾⁹، أَي: أَعْطَى زَكَاةَ الْفِطْرِ، فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَكَبَّرَ تَكْبِيرَةَ الْإِفْتِاحِ وَبِهِ يُحْتَجُّ عَلَى وَجُوبِ تَكْبِيرَةِ الْإِفْتِاحِ، وَعَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .

الصَّلَاةِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا، وَعَلَى أَنَّ الْإِفْتِيحَ جَائِزٌ بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ذَكَرَ مَعَادَهُ وَمَوْفِقَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فَصَلَّى لَهُ.
وَعَنِ الصَّحَّاحِ: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ.
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾¹، فَلَا تَفْعَلُونَ مَا تُفْلِحُونَ بِهِ. وَفَرِحَ: يُؤْثِرُونَ عَلَى الْغَيْبَةِ. وَيُعْضِدُ الْأُولَى قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ".
﴿خَيْرٌ وَأَنْفَى﴾²: أَفْضَلُ فِي نَفْسِهَا وَأَنْعَمُ وَأَدْوَمُ.
وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَنْفَجَةٍ أَرْتَبِ.

هَذَا هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى³

﴿هَذَا﴾⁴ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾⁵ إِلَى ﴿أَنْتَى﴾⁶، يَعْنِي أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَارِدٌ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ. وَقِيلَ: إِلَى مَا فِي السُّورَةِ كُلِّهَا.
وَرُوِيَ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- "أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ؟ فَقَالَ: مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ كُتِبَ، مِنْهَا عَلَى آدَمَ: عَشْرُ صُحُفٍ، وَعَلَى شِيثَ: خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى أَخْنُوخَ وَهُوَ إِدْرِيسُ: ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ: عَشْرُ صَحَائِفَ، وَالتَّوْرَةَ، وَالْإِنْجِيلَ، وَالزَّبُورَ، وَالْفُرْقَانَ" وَقِيلَ: إِنَّ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ: "يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِللِّسَانِ عَارِفًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ".

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْأَعْلَى] أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ".
وَكَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى"، وَكَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولَانِ ذَلِكَ.
وَكَانَ يُحِبُّهَا وَقَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى" مِيكَائِيلُ.

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا 26
[تَزَلَّتْ بَعْدَ الدَّارِيَّاتِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ﴾¹

﴿الْعَاشِيَةُ﴾²: الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَغْشَى النَّاسَ بِشِدَائِدِهَا وَتُلْبِسُهُمْ أَهْوَالَهَا. يَعْنِي الْقِيَامَةَ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾³ [الْعُنْكَبُوتِ: 55]. وَقِيلَ: النَّارُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾⁴ [إِبْرَاهِيمَ: 50]، ﴿وَمَنْ فَوْقَهُمْ عَوَاشٍ﴾⁵ [الْأَعْرَافِ: 41].

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾⁶

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

﴿يَوْمَئِذٍ﴾¹: يَوْمَ إِذْ عُشِيَتْ.

﴿خَاشِعَةً﴾²: ذَلِيلَةٌ.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾³: تَعْمَلُ فِي النَّارِ عَمَلًا تَتَعَبُ فِيهِ، وَهِيَ جَرُّهَا السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ، وَخَوْضُهَا فِي النَّارِ كَمَا تَخْوِضُ الْإِبِلُ فِي الْوَحْلِ، وَارْتِقَاؤُهَا دَائِبَةً فِي صُعودٍ مِنْ نَارٍ، وَهُبُوطُهَا فِي خُدُورٍ مِنْهَا. وَقِيلَ: عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالَ السُّوءِ وَالتَّدَّتْ بِهَا وَتَنَعَّمَتْ، فَهِيَ فِي نَصَبٍ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: عَمِلَتْ وَنَصَبَتْ فِي أَعْمَالٍ لَا تُجَدِّي عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ. مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾⁴ [الْفُرْقَانِ: 23]، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾⁵ [الْكَهْفِ: 104]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ﴾⁶ [آلِ عِمْرَانَ: 222]. وَقِيلَ: هُمْ أَصْحَابُ الصَّوَامِعِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا خَشَعَتْ لِلَّهِ وَعَمِلَتْ وَنَصَبَتْ فِي أَعْمَالِهَا مِنَ الصَّوْمِ الدَّائِبِ، وَالتَّهَجُّدِ الْوَاصِبِ وَقُرِئَ: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ عَلَى الشَّتْمِ. وَقُرِئَ: تَصَلَّى بِفَتْحِ التَّاءِ. وَتَصَلَّى بِضَمِّهَا. وَتَصَلَّى بِالتَّشْدِيدِ. وَقِيلَ: الْمُصَلَّى عِنْدَ الْعَرَبِ: أَنْ يَحْفَرُوا حَفِيرًا فَيَجْمَعُوا فِيهِ جَمْرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَى شَاةٍ فَيَدُسُّوهُمَا وَسَطَهُ، فَأَمَّا مَا يُشَوَّى فَوْقَ الْجَمْرِ أَوْ عَلَى الْمَقْلَى أَوْ فِي التَّنُورِ، فَلَا يُسَمَّى مَصْلِيًّا.

﴿آيَةٌ﴾⁷: مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْحَرِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَبِّئُ حَمِيمٍ آناً﴾⁸ [الرَّحْمَنِ: 444]. الصَّرِيحُ يَبِّئُ الشَّبْرُقَ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الشُّوكِ تَرَعَاهُ الْإِبِلُ مَا دَامَ رَطْبًا، فَإِذَا يَبَسَ تَحَامَتَهُ الْإِبِلُ وَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ قَالَ أَبُو ذُوئَيْبٍ:

رَعَى الشَّبْرُقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى وَعَادَ ضَرِيحًا بَانَ عَنْهُ النَّحَائِصُ

وَقَالَ:

وَخِيسَنَ فِي هَزْمِ الصَّرِيحِ فَكُلُّهَا حَدْبَاءُ دَامِيَةُ الْبَيْدَيْنِ حَرُودُ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾¹، وَفِي الْحَاقَّةِ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾² [الْحَاقَّةِ: 36]. قُلْتُ: الْعَذَابُ أَلْوَانٌ، وَالْمُعَذَّبُونَ طَبَقَاتٌ، فَمِنْهُمْ أَكَلَهُ الرَّقُومَ وَمِنْهُمْ أَكَلَهُ الْغَسَلِينَ، وَمِنْهُمْ أَكَلَهُ الضَّرِيحَ: لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ. ﴿لَا يُسْمِنُ﴾³: مَرْفُوعٌ الْمَحَلِّ أَوْ مَجْرُورُهُ عَلَى وَصْفِ ﴿طَعَامٍ﴾⁴. أَوْ ضَرِيحٌ، يَعْنِي: أَنَّ طَعَامَهُمْ مِنْ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ مَطَاعِمِ الْإِنْسِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَوْكٌ وَالشَّوْكَ مِمَّا تَرَعَاهُ الْإِبِلُ وَتَتَوَلَّعُ بِهِ. وَهَذَا نَوْعٌ مِنْهُ تَنْفِرُ عَنْهُ وَلَا تَقْرِيهِ. وَمَنْفَعَتَا الْعِدَائِ مُنْتَفِيَتَانِ عَنْهُ: وَهِيَ إِمَاطَةُ الْجُوعِ، وَإِفَادَةُ الْقُوَّةِ وَالسَّمَنِ فِي الْبَدَنِ. أَوْ أُرِيدَ: أَنَّ لَا طَعَامَ لَهُمْ أَصْلًا، لِأَنَّ الضَّرِيحَ لَيْسَ بِطَعَامٍ لِلْبَهَائِمِ فَضْلًا عَنِ الْإِنْسِ، لِأَنَّ الطَّعَامَ مَا أَشْبَعَ أَوْ أَسْمَنَ، وَهُوَ مِنْهُمَا بِمَعْرَلٍ كَمَا تَقُولُ: لَيْسَ لِفُلَانٍ ظِلٌّ إِلَّا الشَّمْسُ، تُرِيدُ: نَفْيَ الظِّلِّ عَلَى التَّوَكِيدِ. وَقِيلَ: قَالَتْ كُفَّارٌ قُرَيْشِيَّةٌ: إِنَّ الضَّرِيحَ لَتَسْمَنُ عَلَيْهِ إِبِلُنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا يُسْمِنُ﴾⁵؛ فَلَا يَحْلُوا إِمَّا أَنْ يَتَكَدَّبُوا وَيَتَعَنَّتُوا بِذَلِكَ وَهُوَ الظَّاهِرُ، فَيَرُدُّ قَوْلَهُمْ بِنَفْيِ السَّمَنِ وَالشَّبَعِ. وَإِمَّا أَنْ يُصَدِّقُوا فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ طَعَامَهُمْ مِنْ ضَرِيحٍ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ ضَرِيحِكُمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ ضَرِيحٍ غَيْرِ مُسْمِنٍ وَلَا مُعْنٍ مِنْ جُوعٍ.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاحِظَةً فِيمَا عَلَيْهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ﴾⁶

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

﴿نَاعِمَةٌ﴾¹: ذَاتُ بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾² [المُطَفِّفِينَ: 24]. أَوْ مُتَنَعِمَةٌ.

﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾³: رَضِيَتْ بِعَمَلِهَا لِمَا رَأَتْ مَا أَذَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالثَّوَابِ، ﴿عَالِيَةٌ﴾⁴ مِنْ عُلُوِّ الْمَكَانِ أَوْ الْمِقْدَارِ، ﴿لَا تَسْمَعُ﴾⁵ يَا مُخَاطَبُ. أَوْ الْوُجُوهُ، ﴿لَاغِيَةٌ﴾⁶، أَي: لَعْوًا، أَوْ كَلِمَةً ذَاتَ لَعْوٍ. أَوْ نَفْسًا تَلْعَوُ، لَا يَتَكَلَّمُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِالْحِكْمَةِ وَحَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ. وَفَرِيءٌ: تُسْمَعُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ بِالْبِنَاءِ وَالْبِنَاءِ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾⁷، يُرِيدُ: عُيُونًا فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾⁸ [التَّكْوِيرِ: 14].

﴿مَرْفُوعَةٌ﴾⁹: مِنْ رَفْعَةِ الْمِقْدَارِ أَوْ السُّنْمِكِ، لِيَرَى الْمُؤْمِنُ بِجُلُوسِهِ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا حَوَّلَهُ رَبُّهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالنَّعِيمِ. وَقِيلَ: مَخْبُوءَةٌ لَهُمْ، مِنْ رَفَعِ الشَّيْءِ إِذَا حَبَّأَهُ؛ ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾¹⁰: كَلَّمَا أَرَادُوهَا وَحَدَّوْهَا مَوْضُوعَةً بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَتِيدَةً حَاضِرَةً، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَدْعُوا بِهَا. أَوْ مَوْضُوعَةٌ عَلَى حَافَاتِ الْعُيُونِ مُعَدَّةٌ لِلشُّرْبِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: مَوْضُوعَةٌ عَنِ حَدِّ الْكِبَارِ، أَوْ سَاطِ بَيْنَ الصَّغَرِ وَالْكَبِيرِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾¹¹ [الْإِنْسَانِ: 16].

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .
- 10 سورة ، الآية .
- 11 سورة ، الآية .

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾¹: بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ. مَسَانِدٌ وَمُطَارِحٌ، أَيْنَمَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى مُسَوَّرَةٍ وَاسْتَنَدَ إِلَى أُخْرَى.

﴿وَزَابِيٌّ﴾²: وَبُسْطٌ عِرَاضٌ فَاحِرَةٌ. وَقِيلَ: هِيَ الطَّنَافِسُ الَّتِي لَهَا حَمَلٌ رَقِيقٌ. جَمْعُ زَرْبِيَّةٍ، ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾³: مَبْسُوطَةٌ أَوْ مُفَرَّقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا لِيَأْتِيهِمْ
حُسُوبُهُمْ﴾⁴

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ﴾⁵: نَظَرَ اعْتِبَارًا، ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁶: خَلَقًا عَجِيبًا، دَالًّا عَلَى تَقْدِيرِ مُقَدَّرٍ، شَاهِدًا بِتَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ، حَيْثُ خَلَقَهَا لِلتُّهُوِضِ بِالْأَثْقَالِ وَجَرَّهَا إِلَى الْبِلَادِ الشَّاحِطَةِ فَجَعَلَهَا تَبْرُكٌ حَتَّى تَحْمِلَ عَنْ قُرْبٍ وَيُسِرَّ، ثُمَّ تَنْهَضُ بِمَا حَمَلَتْ، وَسَخَّرَهَا مُنْقَادَةً لِكُلِّ مَنْ اقْتَادَهَا بِأَرْمَتِهَا: لَا تُعَارِزُ ضَعِيفًا وَلَا تُمَانِعُ صَغِيرًا، وَبَرَّأهَا طَوْلَ الْأَعْنَاقِ لِتَنْوَى بِالْأَوْقَارِ. وَعَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ الْبَعِيرِ وَبَدِيعِ خَلْقِهِ، وَقَدْ نَشَأَ فِي بِلَادٍ لَا إِبِلَ بِهَا، فَفَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: يَوْشِكُ أَنْ تَكُونَ طَوْلَ الْأَعْنَاقِ، وَحِينَ أَرَادَ بِهَا أَنْ تَكُونَ سَفَائِنَ الْبَرِّ صَبَّرَهَا عَلَى احْتِمَالِ الْعَطَشِ، حَتَّى إِنَّ أَظْمَاءَهَا لَتَرْتَفِعُ إِلَى الْعَشْرِ فَصَاعِدًا، وَجَعَلَهَا تَرَعَى كُلَّ شَيْءٍ نَابِتٍ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْمَفَاوِزِ مِمَّا لَا يَرَعَاهُ سَائِرُ الْبِهَائِمِ. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: لَقِيتُ شُرَيْحًا الْقَاضِيَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ الْكُنَاسَةَ: قُلْتُ: وَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَنْظُرُ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ حَسُنَ ذِكْرُ الْإِبِلِ مَعَ السَّمَاءِ وَالْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَلَا مُنَاسَبَةَ؟ قُلْتُ:
 قَدْ انْتَضَمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ نَظْرُ الْعَرَبِ فِي أَوْدِيَّتِهِمْ وَبَوَادِيهِمْ، فَانْتَضَمَهَا الذِّكْرُ عَلَى حَسَبِ مَا
 انْتَضَمَهَا نَظْرُهُمْ، وَلَمْ يَدَّعِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِبِلَ السَّحَابُ إِلَى قَوْلِهِ: إِلَّا طَلَبَ الْمُنَاسَبَةَ، وَلَعَلَّهُ لَمْ
 يَرِدْ أَنَّ الْإِبِلَ مِنْ أَسْمَاءِ السَّحَابِ، كَالْعَمَامِ وَالْمَزْنِ وَالرَّبَابِ وَالْعَيْمِ وَالْعَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا
 رَأَى السَّحَابَ مُشَبَّهًا بِالْإِبِلِ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِهِمْ، فَجَوَّزَ أَنْ يُرَادَ بِهَا السَّحَابُ عَلَى طَرِيقِ
 التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ.

﴿كَيْفَ رَفَعْتُ﴾¹ رَفَعًا بَعِيدَ الْمَدَى بِلَا مِسَاكِ وَبِغَيْرِ عَمَدٍ.

﴿كَيْفَ نَصَبْتُ﴾² نَصَبًا ثَابِتًا، فَهِيَ رَاسِخَةٌ لَا تَمِيلُ وَلَا تَزُولُ وَ﴿كَيْفَ
 سَطَّحْتُ﴾³: سَطَّحًا بِتَمْهِيدٍ وَتَوَظُّعَةٍ، فَهِيَ مِهَادٌ لِلْمَتَقَلِّبِ عَلَيْهَا. وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
 طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: خَلَقْتُ وَرَفَعْتُ وَنَصَبْتُ، وَسَطَّحْتُ: عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَتَاءِ
 الصَّمِيرِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَعَلْتُهَا. فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ. وَعَنْ هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّهُ قَرَأَ: "سَطَّحْتُ"
 بِالتَّشْدِيدِ. وَالْمَعْنَى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّاهِدَةِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ، حَتَّى لَا
 يُنْكِرُوا اقْتِدَارَهُ عَلَى الْبَعْثِ، فَيَسْمَعُوا إِندَارَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيُؤْمِنُوا بِهِ
 وَيَسْتَعِدُّوا لِلِقَائِهِ. أَي: لَا يَنْظُرُونَ، فَذَكَرَهُمْ وَلَا تَلَحُّ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَهْمُنُكَ أَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ وَلَا
 يَذْكُرُونَ .

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾⁴ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾⁵ [الشُّورَى: 48]. لَسْتَ
 عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ بِمُتَسَلِّطٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾⁶ [ق: 45]. وَقِيلَ: هُوَ فِي لُغَةٍ
 تَمِيمٍ مَفْتُوحُ الطَّاءِ، عَلَى أَنَّ "سَيِّطَرَ" مُتَعَدِّ عِنْدَهُمْ. وَقَوْلُهُمْ: تُسَيِّطِرُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾¹ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، أَي: لَسْتُ بِمُسْتَوَلٍ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ مَنْ تَوَلَّى، ﴿وَكَفَرَ﴾² مِنْهُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ الْوِلَايَةَ وَالْقَهْرَ. فَهُوَ يُعَذِّبُهُ ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾³ الَّذِي هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَذَكَّرْ﴾⁴، أَي: فَذَكَّرَ إِلَّا مَنْ انْقَطَعَ طَمَعُكَ مِنْ إِيْمَانِهِ وَتَوَلَّى، فَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ. وَفُرِيَ: إِلَّا مَنْ تَوَلَّى عَلَى التَّنْبِيهِ. وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ: إِيَابَهُمْ بِالتَّشْدِيدِ. وَوَجْهُهُ: أَنْ يَكُونَ "فِيْعَالًا" مَصْدَرٌ "أَيْب" فَيَعْلُ مِنَ الْإِيَابِ. أَوْ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ أَوْابًا: فَعَالًا مِنْ أَوْبٍ، ثُمَّ قِيلَ: إِيْوَابًا كِدْيَوَانٍ فِي دَوَانٍ، ثُمَّ فَعِلَ بِهِ مَا فَعَلَ بِأَصْلِ: سَبَّ وَمَيَّتِ. فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَعْنَى تَقْدِيمِ الظَّرْفِ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ التَّشْدِيدُ فِي الْوَعِيدِ، وَأَنَّ إِيَابَهُمْ لَيْسَ إِلَّا إِلَى الْجَبَّارِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ، وَأَنَّ حِسَابَهُمْ لَيْسَ بِوَاجِبٍ إِلَّا عَلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ عَلَى التَّقْيِيرِ وَالْقَطْمِيرِ. وَمَعْنَى الْوُجُوبِ: الْوُجُوبُ فِي الْحِكْمَةِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْغَاشِيَةِ] حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ، وآيَاتُهَا 30 وَقِيلَ: 29
[تَزَلَّتْ بَعْدَ اللَّيْلِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشُّفَعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾¹

أَقْسَمَ بِالْفَجْرِ كَمَا أَقْسَمَ بِالصُّبْحِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾² [الْمُدَّثِّرُ: 34].
﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾³ [التَّكْوِينُ: 18]. وَقِيلَ: بِصَلَاةِ الْفَجْرِ. أَرَادَ بِاللَّيَالِي الْعَشْرَ:
عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا بِأَلْهَا مُنْكَرَةً مِنْ بَيْنِ مَا أَقْسَمَ بِهِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهَا لَيَالٍ مَخْصُوصَةٌ مِنْ
بَيْنِ جِنْسِ اللَّيَالِي: الْعَشْرُ بَعْضُ مِنْهَا. أَوْ مَخْصُوصَةٌ بِفَضِيلَةٍ لَيْسَتْ لِعَیْرِهَا.
فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا عُرِّفَتْ بِإِلَامِ الْعَهْدِ، لِأَنَّهَا لَيَالٍ مَعْلُومَةٌ مَعْهُودَةٌ؟ قُلْتُ: لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ
لَمْ تَسْتَقِلَّ بِمَعْنَى الْفَضِيلَةِ الَّذِي فِي التَّنْكِيرِ، وَلِأَنَّ الْأَحْسَنَ أَنْ تَكُونَ اللَّامَاتُ مُتَّجَانِسَةً،
لِيَكُونَ الْكَلَامُ أَبْعَدَ مِنَ الْأَلْغَازِ وَالتَّعْمِيَةِ، وَبِالشُّفَعِ وَالْوَتْرِ: إِمَّا الْأَشْيَاءَ كُلُّهَا شَفَعَهَا وَوَتَرُهَا،
وَإِمَّا شَفَعُ هَذِهِ اللَّيَالِي وَوَتَرُهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَفَعَهَا يَوْمَ النَّحْرِ، وَوَتَرُهَا يَوْمَ عَرَفَةَ، لِأَنَّهُ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

تَاسِعُ أَيَّامِهَا وَذَآكَ عَاشِرُهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ فَسَّرَهُمَا بِذَلِكَ. وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي الشُّنْفِ وَالْوَتْرِ حَتَّى كَادُوا يَسْتَوْعِبُونَ أَجْنَاسَ مَا يَقَعَانِ فِيهِ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ الطَّائِلِ، جَدِيرٌ بِالتَّلَهِّي عَنْهُ، وَيَعْدُ مَا أَقْسَمَ بِاللَّيَالِي الْمَخْصُوصَةِ أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ عَلَى الْعُمُومِ.

﴿إِذَا يَسِرُّ﴾¹: إِذَا يَمْضِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾² [الْمُدَّثَّرُ: 33]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾³ [التَّكْوِيرُ: 177]. وَقُرِئَ: "وَالْوَتْرُ" بِفَتْحِ الْوَاوِ، وَهُمَا لُغَتَانِ كَالْحَجْرِ وَالْحَجْرِ فِي الْعَدْدِ، وَفِي التَّرَةِ: الْكَسْرُ وَحَدَّهُ. وَقُرِئَ: الْوَتْرُ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ التَّاءِ: رَوَاهَا يُونُسُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَقُرِئَ: "وَالْفَجْرِ" وَالْوَتْرُ، وَيَسِرُّ: بِالتَّنْوِينِ، وَهُوَ التَّنْوِينُ الَّذِي يَقَعُ بَدَلًا مِنْ حَرْفِ الإِطْلَاقِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَلَيَالٍ عَشْرٍ، بِالإِضَافَةِ يُرِيدُ: وَلَيَالٍ أَيَّامٍ عَشْرٍ.

وَيَاءُ ﴿يَسِرُّ﴾⁴ تُحذفُ فِي الدَّرَجِ، أَكْتَفَاءً عَنْهَا بِالكَسْرِ، وَأَمَّا فِي الْوَقْفِ، فَتُحذفُ مَعَ الكَسْرِ، وَقِيلَ: مَعْنَى "يَسِرُّ": يُسَرِّي فِيهِ.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾⁵، أَيُّ: فِيمَا أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، ﴿قَسَمٌ﴾⁶، أَيُّ: مُقْسَمٌ بِهِ.

"ذِي حِجْرٍ"، يُرِيدُ: هَلْ يَحِقُّ عِنْدَهُ أَنْ تُعْظَمَ بِالإِقسَامِ بِهَا. أَوْ: هَلْ فِي إِقسَامِي بِهَا إِقسَامٌ لَدِي حِجْرٍ، أَيُّ: هَلْ هُوَ قَسَمٌ عَظِيمٌ يُوكِّدُ بِمِثْلِهِ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ. وَالْحِجْرُ: الْعَقْلُ، لِأَنَّهُ يَحْجُرُ عَنِ التَّهَافُتِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي، كَمَا سُمِّيَ عَقْلًا وَنُهْيَةً، لِأَنَّهُ يَعْقِلُ وَيَنْهَى. وَحِصَاةٌ: مِنَ الإِحصَاءِ وَهُوَ الضَّبْطُ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ: إِنَّهُ لَذُو حِجْرٍ، إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِنَفْسِهِ ضَابِطًا لَهَا، وَالمُقْسَمُ عَلَيْهِ مَحذُوفٌ؛ وَهُوَ "لِيَعْدَبَنَّ" يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾⁷ [البَقَرَةُ: 243]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾⁸ [الفَجْرِ: 13].

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾¹

قِيلَ لِعَقِبِ عَادِ بْنِ عُوصِ بْنِ إِرَمِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ: عَادٌ، كَمَا يُقَالُ لِبَنِي هَاشِمٍ: هَاشِمٌ. ثُمَّ قِيلَ لِلأَوَّلِينَ مِنْهُمْ عَادٌ الأُولَى وَإِرَمٌ، تَسْمِيَةً لَهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ، وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ: عَادٌ الأَخِيرَةُ.

قَالَ ابْنُ الرُّقَيَّاتِ:

مَجْدًا تَلِيدًا بِنَاهُ أَوَّلُهُ أَدْرَكَ عَادًا وَقَبْلَهَا إِرَمًا

فَإِرَمٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِعَادِ إِرَمٍ﴾²: عَطْفُ بَيَانٍ لِعَادٍ، وَإِيدَانٌ بِأَنَّهُمْ عَادٌ الأُولَى الْقَدِيمَةُ. وَقِيلَ: ﴿إِرَمٍ﴾³: بِلَدَّتُهُمْ وَأَرْضُهُمْ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ الرُّبَيْرِ "بِعَادِ إِرَمٍ" عَلَى الإِضَافَةِ وَتَقْدِيرُهُ: بِعَادِ أَهْلِ إِرَمٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾⁴ [يُوسُفُ: 822]. وَلَمْ تَنْصَرِفْ قَبِيلَةٌ كَانَتْ أَوْ أَرْضًا لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ. وَقَرَأَ الحَسَنُ: "بِعَادِ أَرَمٍ"، مَفْتُوحَتَيْنِ. وَقُرِئَ: بِعَادِ إِرَمٍ بِسُكُونِ الرَّاءِ عَلَى التَّخْفِيفِ، كَمَا قُرِئَ: "بِوَرْقِكُمْ" وَقُرِئَ: بِعَادِ إِرَمِ ذَاتِ الْعِمَادِ، بِإِضَافَةِ إِرَمٍ إِلَى ذَاتِ الْعِمَادِ. وَالْإِرَمُ: الْعِلْمُ، يَعْنِي: بِعَادِ أَهْلِ أَعْلَامِ ذَاتِ الْعِمَادِ. وَ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾⁵: اسْمُ الْمَدِينَةِ. وَقُرِئَ: "بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ"، أَي: جَعَلَ اللَّهُ ذَاتَ الْعِمَادِ رَمِيمًا بَدَلًا مِنْ فِعْلِ رَبِّكَ، وَذَاتِ الْعِمَادِ إِذَا كَانَتْ صِفَةً لِلْقَبِيلَةِ، فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَانُوا بَدَوِيِّينَ أَهْلَ عُمْدٍ، أَوْ طَوَالَ الأَجْسَامِ عَلَى تَشْبِيهِ قُدُودِهِمْ بِالأَعْمَدَةِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ مُعَمَّدٌ وَعَمَّدَانٌ: إِذَا كَانَ طَوِيلًا. وَقِيلَ: ذَاتُ البِنَاءِ الرَّفِيعِ، وَإِنْ كَانَتْ صِفَةً لِلبَلَدَةِ فَالْمَعْنَى: أَنَّهَا ذَاتُ أَسَاطِينٍ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

وَرُوي أَنَّهُ كَانَ لِعادِ ابْنانِ: شَدادٌ وَشَدِيدٌ، فَمَلَكَا وَقَهَرَا، ثُمَّ ماتَ شَدِيدٌ وَخَلَصَ الأَمْرُ لِشَدادٍ، فَمَلَكَ الدُّنْيا وَدانَتْ لَهُ مُلوْكُها، فَسَمِعَ بِذِكْرِ الجَنَّةِ فَقَالَ: أبنِي مِثْلَها، فَبني إِرمَ فِي بَعْضِ صَحارِي عَدَنَ فِي ثَلْثِمائَةِ سَنَةٍ، وَكانَ عُمُرُهُ سَعَمائَةِ سَنَةٍ، وَهي مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُها مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَساطِينُها مِنَ الزَّبْرَجَدِ وَالْياقُوتِ. وَفيها أَصنافُ الأشجارِ وَالأنْهارِ المُطَرِّدَةِ، وَلَمَّا تَمَّ بناؤها سارَ إِلَيْها بِأهلِ مَمْلَكَتِهِ، فَلَمَّا كانَ مِنْها عَلى مَسِيرَةِ يَومٍ وَليلَةٍ بَعَثَ اللهُ عَلَیْهِمُ صَيحَةً مِنَ السَّماءِ فَهَلَكُوا. وَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ قُلابَةَ: أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ، فَوَقَعَ عَلَیْها، فَحَمَلَ ما قَدَرَ عَلَیهِ مِمَّا تَمَّ، وَبَلَغَ خَبْرُهُ **مُعاويةَ** فَاسْتَحْضَرَهُ، فَقصَّ عَلَیهِ، فَبَعَثَ إِلى **كعبِ** فَسأَلَهُ، فَقَالَ: هِيَ إِرمُ ذاتُ العِمادِ، وَسَيَدْخُلُها رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي زَمانِكَ أَحْمَرُ أَشَقْرُ قَصارٍ عَلى حَاجِبِهِ خالٌ وَعَلى عَقِبِهِ خالٌ، يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ، ثُمَّ التَفَتَ فَأَبْصَرَ ابنَ قُلابَةَ فَقَالَ: هَذا وَاللهِ ذَلِكِ الرَّجُلُ.

﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها﴾¹ مِثْلُ عادٍ ﴿فِي الأِبادِ﴾² عِظَمَ أَجْرامِ وَقُوَّةَ، كانَ طُولُ الرَّجُلِ مِنْهُمُ أَرْبَعَمائَةِ ذِراعٍ، وَكانَ يَأْتِي الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ فَيَحْمِلُها فَيُلْقِيها عَلى الحَيِّ فَيُهْلِكُهُم، أَوْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ مَدِينَةِ شَدادٍ فِي جَميعِ بِلادِ الدُّنْيا. وَقَرَأَ **ابنُ الرُّبَيْرِ**: "لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها"، أَي: لَمْ يُخْلَقِ اللهُ مِثْلَها.

﴿جاءوا الصَّخْرَ﴾³: قَطَعُوا صَخْرَ الجِبالِ وَاتَّخَذُوا فِيها بُيُوتًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَنجِحُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا﴾⁴ [الشُّعراء: 149]. قِيلَ: أَوَّلُ مَنْ نَحَتَ الجِبالَ وَالصُّخُورَ وَالرُّحامَ: ثَمُودُ، وَبَنَوْا أَلْفاً وَسَبْعَمائَةَ مَدِينَةٍ كُلتُها مِنَ الحِجارَةِ. قِيلَ لَهُ: ذُو الأوتادِ، لِكثَرَةِ جُنُودِهِ وَمَضارِبِهِمُ الَّتِي كانوا يَضْرِبُونُها إِذا نَزَلُوا، أَوْ لِتَعَدِيهِ بِالْأوتادِ، كَمَا فَعَلَ بِمَاشِطَةِ بَنْتِهِ وَبِأَسِيَةِ.

﴿الَّذِينَ طَعَفُوا﴾⁵: أَحْسَنُ الوُجُوهِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ النِّصَبِ عَلى الدَّمِّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا عَلى: هُمُ الَّذِينَ طَعَفُوا أَوْ مَجْرُورًا عَلى وَصْفِ المَذْكُورِينَ عادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ. يُقالُ: صَبَّ عَلَیهِ السَّوْطُ وَعَشَّاهُ وَقَنَعَهُ، وَذَكَرَ السَّوْطُ: إِشارةً إِلى أَنَّ ما أَحَلَّهُ بِهِمُ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

فِي الدُّنْيَا مِنَ العَذَابِ العَظِيمِ بِالقِيَاسِ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، كَالسَّوْطِ إِذَا قِيسَ إِلَى سَائِرِ مَا يُعَدَّبُ بِهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ: كَانَ الحَسَنُ إِذَا أَتَى عَلَى هَذِهِ الآيَةِ قَالَ: إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَسْوَأَ كَثِيرَةً، فَأَحَدُهُمْ بِسَوْطٍ مِنْهَا. المِرْصَادُ: المَكَانُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ فِيهِ الرِّصْدُ. "مِفْعَالٌ" مِنْ رَصَدَهُ. كَالْمِيفَاتِ مِنْ وَقْتِهِ. وَهَذَا مَثَلٌ لِإِرْصَادِهِ العَصَاةَ بِالعِقَابِ وَأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ. وَعَنْ بَعْضِ العَرَبِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَيْنَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: بِالمِرْصَادِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ عِنْدَ بَعْضِ الظَّلْمَةِ حَتَّى بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ لِبِالمِرْصَادِ يَا فُلَانُ، عَرَضَ لَهُ فِي هَذَا التَّدَايِ بِأَنَّهُ بَعْضُ مَنْ تُوعَدُ بِذَلِكَ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَلِلَّهِ دَرُهُ، أَيُّ أَسَدٍ فَرَّاسٍ كَانَ بَيْنَ ثَوْبِيهِ، يَدُقُّ الظَّلْمَةَ بِانْكَارِهِ، وَيَقْصَعُ أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ بِاحْتِجَاجِهِ.

﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾¹

فَإِنْ قُلْتَ: بِمِ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ﴾²؟ قُلْتُ: بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالمِرْصَادِ﴾³، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ مِنَ الإِنْسَانِ إِلاَّ الطَّاعَةَ وَالسَّعْيَ لِلْعَاقِبَةِ، وَهُوَ مُرْصِدٌ بِالعُقُوبَةِ لِلْعَاصِي، فَأَمَّا الإِنْسَانُ فَلَا يُرِيدُ ذَلِكَ وَلَا يَهْمُهُ إِلاَّ العَاجِلَةُ وَمَا يُلْدُهُ وَيَنْعَمُهُ فِيهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ تَوَازَنُ قَوْلُهُ، فَأَمَّا الإِنْسَانُ، ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾⁴، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾⁵؟ وَحَقُّ التَّوَازُنِ أَنْ يَتَقَابَلَ الوَاقِعَانِ بَعْدَ أَمَّا وَأَمَّا، تَقُولُ: أَمَّا الإِنْسَانُ فَكُفُورٌ، وَأَمَّا المَلِكُ فَشُكُورٌ. أَمَّا إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ فَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْكَ، وَأَمَّا إِذَا أَسَأْتَ إِلَيْهِ فَهُوَ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

مُسيءٌ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: هُمَا مُتَوَازِنَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ التَّفْذِيرَ: وَأَمَّا هُوَ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ، وَذَلِكَ أَنْ قَوْلُهُ: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾¹ خَيْرُ الْمُبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ، وَدُخُولُ الْفَاءِ لِمَا فِي "أَمَّا" مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَالظَّرْفُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَيْرِ فِي تَفْذِيرِ التَّأْخِيرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَقَاتِلْ: رَبِّي أَكْرَمَنِ وَقْتَ الْإِبْتِلَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ﴿فَيَقُولُ﴾² الثَّانِي خَيْرًا لِمُبْتَدَأِ وَاجِبِ تَفْذِيرِهِ.

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ سُمِّيَ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ بَسْطِ الرِّزْقِ وَتَفْذِيرِهِ ابْتِلَاءً؟ قُلْتُ: لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا اخْتِبَارٌ لِلْعَبْدِ، فَإِذَا بُسِطَ لَهُ فَقَدْ اخْتَبَرَ حَالَهُ أَيَشْكُرُ أَوْ يَكْفُرُ؟ وَإِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ فَقَدْ اخْتَبَرَ حَالَهُ أَيَصْبِرُ أَمْ يَجْزَعُ؟ فَالْحِكْمَةُ فِيهِمَا وَاحِدٌ. وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾³ [الأنبياء: 355].

فَإِنْ قُلْتُ: هَلَّا قَالَ: فَأَهَانَهُ وَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، كَمَا قَالَ: فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الْبَسْطَ إِكْرَامٌ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ مُتَّفَضِّلًا مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ، وَأَمَّا التَّفْذِيرُ فَلَيْسَ بِإِهَانَةٍ لَهُ، لِأَنَّ الْإِحْلَالَ بِالتَّفَضُّلِ لَا يَكُونُ إِهَانَةً، وَلَكِنْ تَرْكًا لِلْكَرَامَةِ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُؤَلَى مُكْرَمًا لِعَبْدِهِ وَمُهَيَّنًا لَهُ، وَغَيْرَ مُكْرَمٍ وَلَا مُهَيَّنٍ، وَإِذَا أَهْدَى لَكَ زَيْدٌ هَدِيَّةً قُلْتُ: أَكْرَمَنِي بِالْهَدِيَّةِ، وَلَا تَقُولُ: أَهَانَنِي، وَلَا أَكْرَمَنِي إِذَا لَمْ يُهْدِدْ لَكَ.

فَإِنْ قُلْتُ: فَقَدْ قَالَ: ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾⁴: فَصَحَّحَ إِكْرَامَهُ وَأَثْبَتَهُ، ثُمَّ أَنْكَرَ قَوْلَهُ: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾⁵ وَذَمَّهُ عَلَيْهِ، كَمَا أَنْكَرَ قَوْلَهُ: ﴿أَهَانَنِي﴾⁶، وَذَمَّهُ عَلَيْهِ.

قُلْتُ: فِيهِ جَوَابَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْكَرَ قَوْلَهُ: رَبِّي أَكْرَمَنِ وَذَمَّهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ قَالَ عَلَى قَصْدِ خِلَافِ مَا صَحَّحَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَثْبَتَهُ، وَهُوَ قَصْدُهُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ إِكْرَامًا لَهُ مُسْتَحِقًّا مُسْتَوْجِبًا عَلَى عَادَةِ افْتِحَارِهِمْ وَجَلَالَةِ أَقْدَارِهِمْ عِنْدَهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

عِنْدِي ¹ [الْقَصَص: 788]. وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفَضُّلِ مِنْ غَيْرِ اسْتِجَابٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا سَابِقَةَ مَا لَا يَعْتَدُ اللَّهُ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ التَّقْوَىٰ دُونَ الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ الَّتِي كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِهَا وَيَرَوْنَ اسْتِحْقَاقَ الْكِرَامَةِ مِنْ أَجْلِهَا .

– وَالثَّانِي: أَنْ يَنْسَاقَ الْإِنْكَارُ وَالذَّمُّ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿رَبِّي أَهَانٌ﴾ ²، يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَأَكْرَمَ بِهِ اعْتَرَفَ بِتَفَضُّلِ اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ، وَإِذَا لَمْ يُتَفَضَّلْ عَلَيْهِ سَمَّىٰ تَرَكَ التَّفَضُّلَ هَوَانًا وَلَيْسَ بِهِوَانٍ، وَيُعْضَدُ هَذَا الْوَجْهَ ذِكْرُ الْإِكْرَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ ³، وَقُرِئَ: فَقَدَرَ، بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ وَأَكْرَمَنَ، وَأَهَانَنَ: بِسُكُونِ التَّوْنِ فِي الْوَقْفِ، فِيمَنْ تَرَكَ الْإِيَاءَ فِي الدَّرَجِ مُكْتَفِيًا مِنْهَا بِالْكَسْرَةِ.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَشْكُرُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ⁴

﴿كَلَّا﴾ ⁵: رَدَعٌ لِلْإِنْسَانِ عَنْ قَوْلِهِ: ثُمَّ قَالَ: بَلْ هُنَاكَ شَرٌّ مِنَ الْقَوْلِ. وَهُوَ: أَنْ اللَّهَ يُكْرِمُهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، فَلَا يُؤَدُّونَ مَا يَلْزِمُهُمْ فِيهِ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ بِالتَّفَقُّدِ وَالْمَبْرَةِ، وَحَضُّ أَهْلِهِ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَيَأْكُلُونَهُ أَكْلَ الْأَنْعَامِ، وَيُحِبُّونَهُ فَيَشْحُونَ بِهِ. وَقُرِئَ: يُكْرِمُونَ وَمَا بَعْدَهُ بِالْإِيَاءِ وَالتَّاءِ. وَقُرِئَ: تَحَاضُونَ؛ أَي: يَخْصُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا: وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَلَا تَحَاضُونَ بِضَمِّ التَّاءِ، مِنَ الْمُحَاضَةِ.

﴿أَكْلًا لَمَّا﴾ ⁶ ذَا لَمْ وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

قَالَ الْحَطِيبِيُّ:

إِذَا كَانَ لَمَّا يَتَّبِعُ الدَّمُ أَهْلَهُ فَلَا قَدَسَ الرَّحْمَنُ تِلْكَ الطَّوَاحِنَ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ فِي أَكْلِهِمْ بَيْنَ نَصِيهِمْ مِنَ الْمِيرَاثِ وَنَصِيبِ غَيْرِهِمْ. وَقِيلَ: كَانُوا لَا يُورَثُونَ النَّسَاءَ وَلَا الصَّبِيَّانَ، وَيَأْكُلُونَ ثَرَاتَهُمْ مَعَ ثَرَاتِهِمْ. وَقِيلَ: يَأْكُلُونَ مَا جَمَعَهُ الْمَيِّتُ مِنَ الظَّلْمَةِ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ فَيَلْمُ فِي الْأَكْلِ بَيْنَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُدَمَّ الْوَارِثُ الَّذِي ظَفَرَ بِالْمَالِ سَهْلًا مَهْلًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِقَ فِيهِ جَبِينَهُ، فَيُسْرِفَ فِي إِنْفَاقِهِ، وَيَأْكُلَهُ أَكْلًا وَاسِعًا جَامِعًا بَيْنَ أَلْوَانِ الْمُشْتَهِيَاتِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِيَةِ وَالْفَوَاكِهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْوَرَاثُ الْبَطَالُونَ.

﴿حُبًّا جَمًّا﴾¹: كَثِيرًا شَدِيدًا مَعَ الْحِرْصِ وَالشَّرِّهِ وَمَنْعِ الْحُقُوقِ.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا
يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدًا﴾²

﴿كَلَّا﴾³ رَدَعٌ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْكَارٌ لِفِعْلِهِمْ. ثُمَّ أَتَى بِالْوَعِيدِ وَذَكَرَ تَحَسُّرَهُمْ عَلَى مَا فَرَطُوا فِيهِ حِينَ لَا تَنْفَعُ الْحَسْرَةُ، "وَيَوْمَئِذٍ" بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾⁴، وَعَامِلُ النَّصْبِ فِيهِمَا: ﴿يَتَذَكَّرُ دَكًّا دَكًّا﴾⁵: دَكًّا بَعْدَ دَكٍّ. كَقَوْلِهِ: حَسِبْتُهُ أَبَا بَابًا، أَي: كُرِّرَ عَلَيْهَا الدُّكُّ حَتَّى عَادَتْ هَبَاءً مُنْبِتًا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى إِسْنَادِ الْمَجِيءِ إِلَى اللَّهِ، وَالْحَرَكَةُ وَالِانْتِقَالُ إِنَّمَا يَجُوزَانِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي جِهَةٍ؟ قُلْتُ: هُوَ تَمَثِيلٌ لظُهُورِ آيَاتِ اقْتِدَارِهِ وَتَبَيُّنِ آثَارِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ: مُثَلَّتْ حَالُهُ فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ عَسَاكِرِهِ كُلِّهَا وَوُزَرَائِهِ وَخَوَاصِّهِ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .

﴿صَفًّا صَفًّا﴾¹: يَنْزِلُ مَلَائِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ فَيَصْطَفُونَ صَفًّا بَعْدَ صَفِّ مُخَدِّقِينَ بِالْحِجْرِ وَالْإِنْسِ.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾² كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَرَرُ وَازِرَةٌ وُزْرًا أُخْرَى﴾³[الإسراء: 15].
وَرَوَى: أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَأَخْبَرُوا عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَجَاءَ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَاتِقَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا الَّذِي حَدَّثَ الْيَوْمَ، مَا الَّذِي غَيَّرَكَ؟ فَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: كَيْفَ يُجَاءُ بِهَا؟ قَالَ: يَجِيءُ بِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَفُودُونَهَا بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، فَتَشْرُدُ شَرْدَةً لَوْ تَرَكْتَ لِأَخْرَقْتَ أَهْلَ الْجَمْعِ. أَيُّ: يَتَذَكَّرُ مَا فَرَطَ فِيهِ، أَوْ يَتَعَطَّ.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾⁴: وَمِنْ أَيْنَ لَهُ مَنْفَعَةُ الذُّكْرَى، لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، وَإِلَّا فَبَيْنَ: "يَوْمَ يَتَذَكَّرُ"، وَبَيْنَ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾⁵ تَنَافٍ وَتَنَافُضًا.

﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾⁶ هَذِهِ، وَهِيَ حَيَاةُ الْآخِرَةِ، أَوْ وَقْتُ حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا، كَقَوْلِكَ: جِئْتُهُ لِعَشْرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ، وَهَذَا أَبِينُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِخْتِيَارَ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَمُعَلَّمًا بِقَضَائِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَحْجُوبِينَ عَنِ الطَّاعَاتِ مُجْبِرِينَ عَلَى الْمَعَاصِي، كَمَنْدَهَبِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، وَإِلَّا فَمَا مَعْنَى التَّحَسُّرِ؟ فَرَى: بِالْفَتْحِ يُعَدَّبُ وَيُوثَقُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ رَجَعَ إِلَيْهَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ. وَالضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ الْمَوْصُوفِ. وَقِيلَ: هُوَ أَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ أَيُّ: لَا يُعَدَّبُ أَحَدٌ مِثْلَ عَذَابِهِ، وَلَا يُوثَقُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ مِثْلَ وَثَاقِهِ، لِتَنَاهِيهِ فِي كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، أَوْ لَا يَحْمَلُ عَذَابَ الْإِنْسَانِ أَحَدٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَرَرُ وَازِرَةٌ وُزْرًا أُخْرَى﴾⁷[الإسراء: 155] وَفَرَى بِالْكَسْرِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ - تَعَالَى -، أَيُّ: لَا يَتَوَلَّى عَذَابَ

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

اللَّهِ أَحَدٌ، لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. أَوْ لِلْإِنْسَانِ، أَي: لَا يُعَدُّبُ أَحَدٌ مِنَ الرِّبَانِيَّةِ
مِثْلَ مَا يُعَدُّبُونَهُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾¹

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ﴾² عَلَىٰ إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَي: يَقُولُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّفْسُ﴾³ إِمَّا أَنْ يُكَلِّمَهُ إِكْرَامًا لَهُ كَمَا كَلَّمَ مُوسَىٰ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ مَلَكٍ.
وَ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾⁴ الْأَمِنَةُ الَّتِي لَا يَسْتَفْزِئُهَا خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ، وَهِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ أَوْ
الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَىٰ الْحَقِّ الَّتِي سَكَنَهَا نُلُجُ الْيَقِينِ فَلَا يُخَالِجُهَا شَكٌّ، وَيَشْهَدُ لِلتَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ،
قِرَاءَةُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْأَمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ".

فَإِنْ قُلْتَ: مَتَى يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ؟ قُلْتُ: إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ. وَإِمَّا عِنْدَ الْبُعْثِ، وَإِمَّا عِنْدَ
دُخُولِ الْجَنَّةِ. عَلَىٰ مَعْنَى: ارْجِعِي إِلَىٰ مَوْعِدِ رَبِّكِ.

﴿رَاضِيَةً﴾⁵ بِمَا أُوتِيَتْ، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾⁶ عِنْدَ اللَّهِ.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾⁷: فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ، وَانْتِظِمِي فِي سَلِكِهِمْ.

وَأَدْخُلِي جَنَّتِي مَعَهُمْ، وَقِيلَ: النَّفْسُ الرُّوحُ. وَمَعْنَاهُ: فَادْخُلِي فِي أَجْسَادِ عِبَادِي. وَقَرَأَ ابْنُ
عَبَّاسٍ: "فَادْخُلِي فِي عِبْدِي"، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "فِي جَسَدِ عِبْدِي". وَقَرَأَ أَبِي: "أَنْتِي رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، ادْخُلِي فِي عِبْدِي". وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي حَمْرَةَ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَقِيلَ:
فِي حُبَيْبِ بِنِ عَدِيِّ الَّذِي صَلَبَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَجَعَلُوا وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَحَوَّلْ وَجْهِي نَحْوَ قِبْلَتِكَ، فَحَوَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ نَحْوَهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُحَوِّلَهُ، وَالظَّاهِرُ الْعُمُومُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْفَجْرِ] فِي اللَّيَالِي الْعَشْرِ غُفِرَ لَهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا عِشْرُونَ [تَزَلَّتْ بَعْدَ ق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
كَبَدٍ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يُفَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكَثُ مَا لَا لُبَدَا
أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾¹

أَقْسَمَ -سُبْحَانَهُ- بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مَعْمُورًا فِي مَكَابِدَةِ
الْمَشَاقِّ وَالشَّدَائِدِ، وَاعْتَرَضَ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا
الْبَلَدِ﴾²، يَعْنِي: وَمِنَ الْمَكَابِدَةِ أَنَّ مِثْلَكَ عَلَى عَظَمِ حُرْمَتِكَ يُسْتَحَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ كَمَا
يُسْتَحَلُّ الصَّيْدُ فِي غَيْرِ الْحَرَمِ. عَنِ شُرْحِيْلِ: يُحْرَمُونَ أَنْ يَقْتُلُوا بِهَا صَيْدًا وَيَعْضُدُوا بِهَا
شَجَرَةً، وَيَسْتَحْلُونَ إِخْرَاجَكَ وَقَتْلَكَ، وَفِيهِ تَنْبِيْهُتُ مِنْ رَسُوْلِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،
وَبَعَثْتُ عَلَى اخْتِمَالِ مَا كَانَ يُكَابِدُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَتَعْجِيبُ مِنْ خَالِهِمْ فِي عِدَاوَتِهِ، أَوْ سَلَّى
رَسُوْلُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بِالْقَسَمِ بِلَدِهِ، عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو
مِنْ مَقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ، وَاعْتَرَضَ بِأَنَّ وَعَدَهُ فَتَحَ مَكَّةَ تَتَمِيمًا لِلتَّسْلِيَةِ وَالتَّنْفِيْسِ عَنْهُ. فَقَالَ:
﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾³، يَعْنِي: وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَصْنَعُ فِيهِ مَا تُرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

وَالْأَسْرِ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَأَحَلَّهَا لَهُ، وَمَا فُتِحَتْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا أُحِلَّتْ لَهُ فَأَحَلَّ مَا شَاءَ وَحَرَّمَ مَا شَاءَ . قَتَلَ ابْنَ خَطْلٍ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ . وَمَقِيسَ بْنِ صُبَابَةَ وَغَيْرَهُمَا، وَحَرَّمَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ ، ثُمَّ قَالَ " : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَيَّ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَلَا يُعَصَّدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُحْتَلَى خَلَاهَا، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا وَلَا تَحِلُّ لِقَطْعَتِهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الْإِدْحَرَ؛ فَإِنَّهُ لِقَيْوُنَا وَقَبُورِنَا وَيُبُوتِنَا، فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِلَّا الْإِدْحَرَ" .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾¹ فِي مَعْنَى الْإِسْتِقْبَالِ؟ قُلْتَ: قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾² [الرُّمْرِ: 30] . وَمِثْلُهُ وَاسِعٌ فِي كَلَامِ الْعِبَادِ، تَقُولُ لِمَنْ تَعِدُّهُ الْإِكْرَامَ وَالْحَيَاءَ: أَنْتَ مُكْرَمٌ مَحْبُوبٌ، وَهُوَ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَوْسَعُ، لِأَنَّ الْأَحْوَالَ الْمُسْتَقْبَلَةَ عِنْدَهُ كَالْحَاضِرَةِ الْمُشَاهِدَةِ . وَكَفَاكَ دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ، وَأَنَّ تَفْسِيرَهُ بِالْحَالِ مُحَالٌ: أَنَّ السُّورَةَ بِالِاتِّفَاقِ مَكِّيَّةٌ، وَأَيُّنَ الْهَجْرَةَ عَنْ وَقْتِ نَزُولِهَا، فَمَا بَالُ الْفَتْحِ؟ فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ "بِوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ؟" قُلْتَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ وَلَدَهُ، أَقْسَمَ بِبَلَدِهِ الَّذِي هُوَ مَسْقُطُ رَأْسِهِ وَحَرَّمَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْشَأُ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ، وَبِمَنْ وَلَدَهُ وَبِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَكَّرَ؟ قُلْتَ: لِلِإِنْبَهَامِ الْمُسْتَقْبَلِ بِالْمَدْحِ وَالتَّعَجُّبِ . فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: وَمَنْ وَلَدٌ؟ قُلْتَ: فِيهِ مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾³ [آلِ عِمْرَانَ: 36] ، أَيُّ: بِأَيِّ شَيْءٍ وَضَعْتَ، يَعْنِي مَوْضُوعًا عَجِيبَ الشَّأْنِ . وَقِيلَ: هُمَا آدَمُ وَوَلَدُهُ . وَقِيلَ: كُلُّ وَالِدٍ وَوَلَدٍ .

وَالْكَبْدُ: أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِكَ: كَبَدَ الرَّجُلُ كَبْدًا، فَهُوَ أَكْبَدُ: إِذَا وَجَعَتْ كَبِدُهُ وَانْتَفَخَتْ، فَاتَّسَعَتْ فِيهِ حَتَّى اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ . وَمِنْهُ اسْتَقْتَتِ الْمُكَابِدَةُ، كَمَا قِيلَ: كَتَبَتْهُ بِمَعْنَى أَهْلَكَهُ . وَأَصْلُهُ: كَبَدَهُ، إِذَا أَصَابَ كَبِدَهُ . قَالَ لَبِيدٌ:

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبِدِ

أَي: فِي شِدَّةِ الْأَمْرِ وَصُعُوبَةِ النِّحَابِ.

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿أَيْحَسِبُ﴾¹ لِعِضِّ صَنَادِيدِ قُرَيْشِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُكَابِدُ مِنْهُمْ مَا يُكَابِدُ. وَالْمَعْنَى: أَيُّظُنُّ هَذَا الصَّنِيدُ الْقَوِيُّ فِي قَوْمِهِ الْمُتَضَعِّفُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَنْ لَنْ تَقُومَ قِيَامَةً، وَلَنْ يُقَدَّرَ عَلَيَّ الْإِنْتِقَامُ مِنْهُ وَعَلَى مُكَافَأَتِهِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَقُولُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَبَدًا﴾²، يُرِيدُ: كَثْرَةَ مَا أَنْفَقَهُ فِيَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُسْمُونَهَا مَكَارِمَ، وَيَدْعُونَهَا مَعَالِي وَمَفَاحِرَ.

﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾³ حِينَ كَانَ يُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ رِئَاءَ النَّاسِ وَافْتِخَارًا بَيْنَهُمْ، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ كَانَ يَرَاهُ وَكَانَ عَلَيْهِ رَقِيبًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَفَسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ الشَّرِيفِ، وَمِنْ شَرَفِهِ أَنَّكَ حِلٌّ بِهِ مِمَّا يَفْتَرِفُهُ أَهْلُهُ مِنَ الْمَائِمِ مُتَحَرِّجٍ بَرِيءٍ؛ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ أُعْظِمَهُ بِقَسَمِي بِهِ .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾⁴، أَي: فِي مَرَضٍ: وَهُوَ مَرَضُ الْقَلْبِ وَفَسَادُ الْبَاطِنِ، يُرِيدُ: الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ. وَقِيلَ: الَّذِي يَحْسِبُ أَنْ لَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ: هُوَ أَبُو الْأَشَدِّ، وَكَانَ قَوِيًّا يُبْسِطُ لَهُ الْأَيْدِيَ الْعُكَاظِيَّ فَيَقُومُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: مَنْ أَرَأَيْتَ عَنْهُ فَلَهُ كَذَا، فَلَا يُنْزَعُ إِلَّا قِطْعًا وَيَبْقَى مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ. وَقِيلَ: الْوَلِيدُ بِنُ الْمُعِيرَةِ.

﴿لَبَدًا﴾⁵ قُرِئَ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: جَمْعُ لُبْدَةٍ وَلُبْدَةٍ، وَهُوَ مَا تَلَبَّدَ يُرِيدُ الْكَثْرَةَ: وَقُرِئَ: "لَبَدًا" بِضَمَّتَيْنِ: جَمْعُ لُبُودٍ. وَلَبَدًا: بِالتَّشْدِيدِ جَمْعُ لَابِدٍ.

﴿لَا تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْتَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ¹

﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾²: يُبْصِرُ بِهِمَا الْمَرْيَاتِ، ﴿وَلِسَانًا﴾³ يُتَرْجَمُ بِهِ عَنْ ضَمَائِرِهِ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾⁴ يُطَبِّقُهُمَا عَلَى فِيهِ وَيَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى التَّنْقِيقِ وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالنَّفْحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾⁵، أَي: طَرِيقَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقِيلَ: التَّدْيِينِ.
﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ﴾⁶، يَعْنِي: فَلَمْ يَشْكُرْ تِلْكَ الْأَيَادِيَ وَالنَّعَمَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، ثُمَّ بِالْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ، بَلْ غَمَطَ النَّعَمَ وَكَفَرَ بِالْمُنْعِمِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْفَاقَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ هُوَ الْإِنْفَاقُ الْمَرَضِيُّ النَّافِعُ عِنْدَ اللَّهِ، لَا أَنْ يُهْلِكَ مَالًا لُبَدًا فِي الرِّيَاءِ وَالْفَخَارِ، فَيَكُونُ مَثَلُهُ ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾⁷ [آلِ عِمْرَانَ: 117]. الْآيَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَلَّمَا تَقَعُ "لَا" الدَّاخِلَةُ عَلَى الْمَاضِي إِلَّا مُكَرَّرَةً، وَنَحْوَ قَوْلِهِ: فَأَيُّ أَمْرٍ سَيِّئٍ لَا فَعْلَهُ لَا يَكَادُ يَقَعُ، فَمَا لَهَا لَمْ تُكَرَّرْ فِي الْكَلَامِ الْأَفْصَحِ؟ قُلْتُ: هِيَ مُتَكَرَّرَةٌ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّ مَعْنَى: ﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ﴾⁸: فَلَا فَكَّ رِقَبَةٍ، وَلَا أَطْعَمَ مِسْكِينًا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ فَسَّرَ افْتِحَامَ الْعُقْبَةِ بِذَلِكَ؟

وَقَالَ الرَّجَّاحُ: قَوْلُهُ: "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا" يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى: ﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ﴾⁹، وَلَا آمَنَ. وَالْإِفْتِحَامُ: الدُّخُولُ وَالْمُجَاوِزَةُ بِشِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ. وَالْقَحْمَةُ: الشِّدَّةُ، وَجَعَلَ الصَّالِحَةَ: عُقْبَةً، وَعَمَلَهَا: افْتِحَامًا لَهَا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُعَانَاةِ الْمَشَقَّةِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .

وَعَنِ الْحَسَنِ: عَقَبَةُ وَاللَّهُ شَدِيدَةٌ. مُجَاهِدَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَعَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ. وَفَكُّ الرَّقَبَةِ: تَخْلِيصُهَا مِنْ رِقٍّ أَوْ غَيْرِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: "تَعْتِقُ النَّسَمَةَ وَتَفُكُّ الرَّقَبَةَ. قَالَ: أَوْ لَيْسَا سَوَاءً؟ قَالَ: لَا، إِعْتَاقُهَا أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا. وَفُكُّهَا: أَنْ تُعِينَ فِي تَخْلِيصِهَا" مِنْ قَوْدٍ أَوْ غُرْمٍ. وَالْعِتْقُ وَالصَّدَقَةُ: مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ. وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ الْعِتْقَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ. وَعَنْ صَاحِبِيهِ: الصَّدَقَةُ أَفْضَلُ، وَالْآيَةُ أَذَلُّ عَلَى قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ لِتَقْدِيمِ الْعِتْقِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ فِي رَجُلٍ عِنْدَهُ فَضْلٌ نَفَقَةً: أَيَصَعُهُ فِي ذِي قَرَابَةٍ، أَوْ يُعْتِقُ رَقَبَةً؟ قَالَ: الرَّقَبَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَنْ فَكَّ رَقَبَةً فَكَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ". فَرِيءٌ: فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ عَلَى: هِيَ فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ. وَفَرِيءٌ: فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ أَطْعَمَ، عَلَى الْإِنْدَالِ مَنِ افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾¹ اعْتِرَاضٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّكَ لَمْ تَدْرِ كُنْهَ صُعُوبَتِهَا عَلَى النَّفْسِ وَكُنْهَ ثَوَابِهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَالْمَسْغِيَةُ، وَالْمَقْرَبَةُ، وَالْمُتْرَبَةُ: مَفْعَلَاتٌ مِنْ سَغَبَ: إِذَا جَاعَ. وَقَرَّبَ فِي النَّسَبِ، يُقَالُ: فُلَانٌ ذُو قَرَابَتِي. وَذُو مَقْرَبَتِي. وَتَرَبَ: إِذَا افْتَقَرَ، وَمَعْنَاهُ: التَّصَقَّ بِالثَّرَابِ. وَأَمَّا أَتْرَبَ فَاسْتَعْنَى، أَي: صَارَ ذَا مَالٍ كَالثَّرَابِ فِي الْكُفْرَةِ، كَمَا قِيلَ: أَتْرَى. وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَا مَتْرَبَةٌ﴾²: الَّذِي مَأْوَاهُ الْمَزَابِلُ، وَوُصِفَ الْبَوْمُ بِذِي مَسْغِيَةٍ نَحْوَ مَا يَقُولُ التَّحْوِيثُونَ فِي قَوْلِهِمْ: هَمَّ نَاصِبٌ: ذُو نَصَبٍ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: ذَا مَسْغِيَةٍ؛ نَصَبُهُ بَ "إِطْعَامٌ". وَمَعْنَاهُ: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ذَا مَسْغِيَةٍ.

﴿مَنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَاتُوا فِي أَسْوَاقِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ هُمْ وَأَسْوَاقُهُمْ فِي أَسْوَاقٍ مُتَمَرِّجَةٍ سَاءَ لِمَنْ هُوَ فِيهَا مَرْجَمٌ﴾³

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾¹، جَاءَ بِثَمَّ لِتَرَاجِي الْإِيمَانِ وَتَبَاعُدِهِ فِي الرُّتْبَةِ وَالْفَضِيلَةِ
عَنِ الْعِتْقِ وَالصَّدَقَةِ، لَا فِي الْوَقْتِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ السَّابِقُ الْمُقَدَّمُ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَثْبُتُ
عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا بِهِ.

وَالْمَرْحَمَةُ: الرَّحْمَةُ، أَي: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّابَاتِ عَلَيْهِ. أَوْ
بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي وَعَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَحَنِ الَّتِي يُبْتَلَى بِهَا الْمُؤْمِنُ، وَبِأَنَّ
يَكُونُوا مُتَرَاحِمِينَ مُتَعَاظِفِينَ. أَوْ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ.
الْمَيْمَنَةُ وَالْمَشَامَةُ: اليمِينُ وَالشَّمَالُ. أَوْ اليمُنُ وَالشُّؤْمُ، أَي: المَيَامِينُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَالْمَشَائِيمُ عَلَيْهِمْ.

قُرئ: "مُوصَدَّةٌ" بِالْوَاوِ وَالْهَمْزَةِ، مِنْ وَصَدْتُ الْبَابَ وَآصَدْتُهُ: إِذَا أَطْبَقْتَهُ وَأَغْلَقْتَهُ.
وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ: لَنَا إِمَامٌ يَهْمُزُ "مُوصَدَّةً"، فَأَشْتَهِي أَنْ أَسُدَّ أُذُنِي إِذَا
سَمِعْتُهُ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ
الْأَمَانَ مِنْ غَضَبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

¹ سورة ، الآية .

]

[

[]

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ [نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَدْرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَاها وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاها وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾¹

ضُحَاهَا: ضَوْؤُهَا إِذَا أَشْرَقَتْ وَقَامَ سُلْطَانُهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ: **وَفَتْ الضُّحَى**، كَأَنَّ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى. وَقِيلَ: الضُّحُوَّةُ ارْتِفَاعُ النَّهَارِ. وَالضُّحَى فَوْقَ ذَلِكَ. وَالضُّحَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ: إِذَا امْتَدَّ النَّهَارُ وَقَرَّبَ أَنْ يَنْتَصِفَ.

﴿إِذَا تَلَاها﴾²: طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِهَا آخِذًا مِنْ نُورِهَا، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ. وَقِيلَ: إِذَا اسْتَدَارَ فَتَلَاها فِي الضِّيَاءِ وَالنُّورِ.

﴿إِذَا جَلَاها﴾³: عِنْدَ انْتِفَاحِ النَّهَارِ وَانْبِسَاطِهِ، لِأَنَّ الشَّمْسَ تَنْجَلِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَمَامَ الْإِنْجِلَاءِ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلظُّلْمَةِ، أَوْ لِلدُّنْيَا، أَوْ لِلْأَرْضِ، وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَهَا ذِكْرٌ، كَقَوْلِهِمْ: أَصْبَحَتْ بَارِدَةٌ: يُرِيدُونَ الْعَدَاةَ، وَأُرْسِلَتْ: يُرِيدُونَ السَّمَاءَ إِذَا يَغْشَاهَا، فَتَغِيبُ وَتُظْلِمُ الْأَفَاقُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: الْأَمْرُ فِي نَصَبِ "إِذَا" مُعْضِلٌ: لِأَنَّكَ لَا تَخْلُو إِمَّا أَنْ تَجْعَلَ الْوَاوَاتِ عَاطِفَةً فَتَنْصِبَ بِهَا وَتَجْرَ، فَتَقَعُ فِي الْعَطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: مَرَرْتُ أَمْسٍ بِزَيْدٍ، وَالْيَوْمَ عَمْرٍو. وَإِمَّا أَنْ تَجْعَلَهُنَّ لِلْقَسَمِ، فَتَقَعُ فِيمَا اتَّفَقَ الْخَلِيلُ وَسَيِّوْنُهُ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ. قُلْتُ: الْجَوَابُ فِيهِ أَنَّ وَآوَ الْقَسَمِ مُطْرَحٌ مَعَهَا إِبْرَازُ الْفِعْلِ إِطْرَاحًا كَلِّيًّا، فَكَانَ لَهَا شَأْنٌ خِلَافَ شَأْنِ الْبَاءِ، حَيْثُ أُبْرِزَ مَعَهَا الْفِعْلُ وَأُضْمِرَ، فَكَانَتِ الْوَاوُ قَائِمَةً مَقَامَ الْفِعْلِ وَالْبَاءِ سَادَّةً مَسْدَهُمَا مَعًا، وَالْوَاوَاتُ الْعَوَاطِفُ نَوَائِبُ عَن هَذِهِ الْوَاوِ، فَحَقِيقَتُنَّ أَنْ يَكُنَّ عَوَامِلَ عَلَى الْفِعْلِ وَالْجَارِّ جَمِيعًا، كَمَا تَقُولُ: ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا، وَبَكَرَ خَالِدًا، فَتَرْفَعُ بِالْوَاوِ وَتَنْصِبُ لِقِيَامِهَا مَقَامَ ضَرَبَ الَّذِي هُوَ عَامِلُهُمَا.

جُعِلَتْ "مَا" مَصْدَرِيَّةً فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا بَنَاهَا وَمَا طَحَاهَا وَمَا سَوَّاهَا﴾¹، وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾² وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ فَسَادِ النَّظْمِ، وَالْوَجْهُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، وَإِنَّمَا أُوتِرَتْ عَلَى مَنْ لِرِزَادَةِ مَعْنَى الْوَصْفِيَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالسَّمَاءِ، وَالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَنَاهَا، وَنَفْسِ، وَالْحَكِيمِ الْبَاهِرِ الْحِكْمَةِ الَّذِي سَوَّاهَا، وَفِي كَلَامِهِمْ: سُبْحَانَ مَا سَخَّرَكُنَّ لَنَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَكَّرْتَ النَّفْسَ؟ قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يُرِيدَ نَفْسًا خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ النَّفُوسِ وَهِيَ نَفْسُ آدَمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَوَاحِدَةٍ مِنَ النَّفُوسِ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يُرِيدَ كُلَّ نَفْسٍ وَيُنَكِّرُ لِلتَّكْثِيرِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾³ [التَّكْوِيرِ: 144]. وَمَعْنَى إِيْلَامِ الْفُجُورِ وَالتَّقْوَى: إِفْهَامُهُمَا وَإِعْقَالُهُمَا، وَأَنْ أَحَدَهُمَا حَسَنٌ وَالْآخَرُ قَبِيحٌ، وَتَمَكِّيْنُهُ مِنْ اخْتِيَارِ مَا شَاءَ مِنْهُمَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁴ فَجَعَلَهُ فَاعِلَ التَّرْكِيْبِ، وَالتَّدْسِيَةِ وَتَوَلَّيْتُهُمَا. وَالتَّرْكِيْبُ: الْإِنْمَارُ وَالْإِعْلَاءُ بِالتَّقْوَى. وَالتَّدْسِيَةُ: التَّقْصُ وَالْإِخْفَاءُ بِالْفُجُورِ. وَأَصْلُ دَسَى: دَسَسَ، كَمَا قِيلَ فِي تَقْصُصَ: تَقْصَى.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَفَرُّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، وَقَدْ حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا¹ [طه: 111].

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي زَكَّى وَدَسَى لِلَّهِ -تَعَالَى-، وَأَنَّ تَأْيِثَ الرَّاجِعِ إِلَى "مَنْ" لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّفْسِ: فَمِنْ تَعَكُّيسِ الْقَدْرِتَةِ الَّذِينَ يُورَثُونَ عَلَى اللَّهِ قَدْرًا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ وَمُتَعَالٍ عَنْهُ، وَيُحْيُونَ لِيَالِيهِمْ فِي تَمَحُّلٍ فَاحِشَةٍ يَنْسُبُونَهَا إِلَيْهِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيْنَ جَوَابُ الْقَسَمِ؟ قُلْتُ: هُوَ مَحْدُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لِيَدْمَدَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَيُّ: عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كَمَا ذَمَدَمَ عَلَى ثَمُودَ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا صَالِحًا.

وَأَمَّا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾²، فَكَلَامٌ تَابِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾³ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْطِرْدَادِ، وَلَيْسَ مِنْ جَوَابِ الْقَسَمِ فِي شَيْءٍ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَتَسَوَّاهَا
وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾⁴

الْبَاءُ فِي: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾⁵ مِثْلُهَا فِي: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ. وَالطَّغْوَى مِنَ الطُّغْيَانِ: فَصَلُّوا بَيْنَ الْأِسْمِ وَالصِّفَةِ فِي فَعْلَى مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ، بِأَنَّ قَلَبُوا الْيَاءَ وَآوًا فِي الْأِسْمِ، وَتَرَكُوا الْقَلْبَ فِي الصِّفَةِ، فَقَالُوا: امْرَأَةٌ خَزَيْ وَصَدَيْ، يَعْنِي: فَعَلَتِ التَّكْذِيبَ بِطُغْيَانِهَا، كَمَا تَقُولُ: ظَلَمَنِي بِجُرْأَتِهِ عَلَى اللَّهِ. وَقِيلَ: كَذَّبَتْ بِمَا أُوْعِدَتْ بِهِ مِنْ عَذَابِهَا ذِي الطَّغْوَى كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَهْلِكُوا

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

بِالطَّاعِيَةِ¹ [الْحَاقَّةِ: 5]. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "بِطُغُوَاهَا" بِضَمِّ الطَّاءِ كَالْحُسْنَى وَالرُّجْعَى فِي الْمَصَادِرِ.

﴿إِذْ أَنْبَعَثَ²: مَنْصُوبٌ بِكَذَّبَتْ. أَوْ بِالطُّغَى.

وَ﴿أَشَقَّاهَا³: قِدَارُ بْنُ سَالِفٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا جَمَاعَةً، وَالتَّوْحِيدُ لِتَسْوِيَتِكَ فِي أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ إِذَا أَضَفْتَهُ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالْمَدَكْرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَشَقَّوْهَا، كَمَا تَقُولُ: أَفَاضِلُهُمْ. وَالضَّمِيرُ فِي "لَهُمْ" يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْأَشَقِيَيْنِ وَالتَّفْضِيلِ فِي الشَّقَاوَةِ، لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّى الْفَقْرَ وَيَأْشُرُهُ كَانَتْ شَقَاوَتُهُ أَظْهَرَ وَأَبْلَغَ.

وَ﴿نَاقَةَ اللَّهِ⁴: نُصِبَ عَلَى التَّحْذِيرِ، كَقَوْلِكَ: الْأَسَدَ الْأَسَدَ، وَالصَّبِيَّ الصَّبِيَّ، بِاضْمَارٍ: ذَرُوا أَوْ احْذَرُوا عَقْرَهَا .

﴿وَسُقْيَاهَا⁵: فَلَا تَزُوْهَا عَنْهَا، وَلَا تَسْتَأْتِرُوا بِهَا عَلَيْهَا فَكَذَّبُوهُ فِيمَا حَذَرْتَهُمْ مِنْهُ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ إِنْ فَعَلُوا.

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ⁶ فَأَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وَهُوَ مِنْ تَكْرِيرِ قَوْلِهِمْ: نَاقَةَ مَدْمُومَةٍ: إِذَا أَلْبَسَهَا الشَّحْمَ. بِذَنبِهِمْ بِسَبَبِ ذَنبِهِمْ. وَفِيهِ إِندَارٌ عَظِيمٌ بِعَاقِبَةِ الذَّنْبِ، فِعْلٌ كُلُّ مُذْنِبٍ أَنْ يَعْتَبَرَ وَيَحْذَرَ.

﴿فَسَوَّاهَا⁷ الضَّمِيرُ لِلدَّمْدَمَةِ، أَي: فَسَوَّاهَا بَيْنَهُمْ لَمْ يَفْلِتْ مِنْهَا صَغِيرُهُمْ وَلَا كَبِيرُهُمْ، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا⁸، أَي: عَاقِبَتَهَا وَتَبِعَتَهَا، كَمَا يَخَافُ كُلُّ مُعَاقِبٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَيُتَّقِي بَعْضَ الْإِبْقَاءِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِشُمُودَ عَلَى مَعْنَى: فَسَوَّاهَا بِالْأَرْضِ. أَوْ فِي الْهَلَاكِ، وَلَا يَخَافُ عُقْبَى هَلَاكِهَا. وَفِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ: فَلَا يَخَافُ. وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: وَلَمْ يَخَفْ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

7 سورة ، الآية .

8 سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الشَّمْسِ]، فَكَانَتْهَا
تَصَدَّقَ بِكُلِّ شَيْءٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ".

] [

[]

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ 2
[تَزَلَّتْ بَعْدَ الْأَعْلَى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾¹

الْمَغْشَى: إِذَا الشَّمْسُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾² [الشَّمْسِ: 4]. وَإِذَا النَّهَارُ
مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾³ [الأَعْرَافِ: 54]. وَإِذَا كُلُّ شَيْءٍ يُوَارِيهِ بِظِلَامِهِ مِنْ قَوْلِهِ:
﴿إِذَا وَقَبُ﴾⁴ [الْفَلَقِ: 3]

﴿تَجَلَّى﴾⁵: ظَهَرَ بِزَوَالِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. أَوْ تَبَيَّنَ وَتَكَشَّفَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ.
﴿وَمَا خَلَقَ﴾⁶: وَالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الْقُدْرَةَ الَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى مِنْ مَاءٍ
وَاحِدٍ، وَقِيلَ: هُمَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَحَوَّاءُ. وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

: "وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَى". وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى". وَعَنِ الْكِسَائِيِّ: وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى بِالْجَزْرِ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ مَا خَلَقَ بِمَعْنَى: وَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ، أَي: وَمَخْلُوقِ اللَّهِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى. وَجَازَ إِضْمَارُ اسْمِ اللَّهِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لِانْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ. إِذْ لَا خَالِقَ سِوَاهُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ لَيْسَ بِذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى. وَالْحُنْثَى، وَإِنْ أَشْكَلَ أَمْرُهُ عِنْدَنَا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ مُشْكَلٍ، مَعْلُومٌ بِالذُّكُورَةِ أَوْ الْأُنْثَى، فَلَوْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَمْ يَلْقَ يَوْمَهُ ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى، وَلَقَدْ لَقِيَ حُنْثَى مُشْكَلًا: كَانَ حَانِثًا، لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ إِمَّا ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَإِنْ كَانَ مُشْكَلًا عِنْدَنَا .

شَتَّى جَمْعُ شَتِيَةٍ، أَي: إِنَّ مَسَاعِيَكُمْ أَشْتَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَبَيَانَ اخْتِلَافِهِمَا فِيمَا فَصَّلَ عَلَى آثَرِهِ.

﴿قَالَمَا مِنْ أَعْطَى وَآتَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾¹

﴿أَعْطَى﴾²، يَعْنِي حُقُوقَ مَالِهِ، ﴿وَآتَى﴾³ اللَّهُ فَلَمْ يَعْصِهِ، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾⁴: بِالْحَصَلَةِ الْحُسْنَى: وَهِيَ الْإِيمَانُ. أَوْ بِالْمِلَّةِ الْحُسْنَى: وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ بِالْمَثُوبَةِ الْحُسْنَى: وَهِيَ الْجَنَّةُ.

﴿فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾⁵، فَسَنَّهُيُوهُ لَهَا؛ مِنْ يَسَرَ الْفَرَسَ لِلرُّكُوبِ إِذَا أَسْرَجَهَا وَأَلْجَمَهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "كُلُّ مَيْسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ". وَالْمَعْنَى: فَسَنَلْطَفُ بِهِ وَتُوفِّقَهُ حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَيْسَرَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ وَأَهْوَنَهَا، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾⁶[الأنعام: 125].

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَعْتَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى
وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾¹

﴿وَاسْتَعْتَى﴾²: وَرَهَدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ كَأَنَّهُ مُسْتَعْنٍ عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِهِ. أَوْ اسْتَعْتَى بِشَهَوَاتِ
الدُّنْيَا عَنِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ ﴿وَاتَّقَى﴾³.
﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾⁴: فَسَنَحْدُلُهُ وَنَمْنَعُهُ الْأَلْطَافَ، حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَعْسَرَ شَيْءٍ
عَلَيْهِ وَأَشَدَّهُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾⁵ [الأنعام:
1255]. أَوْ سَمَّى طَرِيقَةَ الْخَيْرِ بِالْيُسْرَى؛ لِأَنَّ عَاقِبَتَهَا الْيُسْرُ، وَطَرِيقَةَ الشَّرِّ الْعُسْرَى، لِأَنَّ
عَاقِبَتَهَا الْعُسْرُ. أَوْ أَرَادَ بِهِمَا طَرِيقِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَي: فَسَنَهْدِيهِمَا فِي الْأَحْرَةِ لِلطَّرِيقَيْنِ.
وَقِيلَ: نَزَلْنَا فِي أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَفِي أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ.
﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ﴾⁶: اسْتَفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ. أَوْ نَفْيٍ.
﴿تَرَدَّى﴾⁷: تَفَعَّلَ مِنَ الرَّدَى، وَهُوَ الْهَلَاكُ، يُرِيدُ: الْمَوْتَ. أَوْ تَرَدَّى فِي الْحُفْرَةِ إِذَا
قُبِرَ، أَوْ تَرَدَّى فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾⁸

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾¹: إِنَّ الْإِزْشَادَ إِلَى الْحَقِّ وَاجِبٌ عَلَيْنَا بِنَصْبِ الدَّلَائِلِ
وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ.

﴿وَأَنْ لَنَا لَلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾²، أَي: ثَوَابِ الدَّارَيْنِ لِلْمُهْتَدِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ
فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾³ [العنكبوت: 27].

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾⁴

وَقَرَأَ أَبُو الزُّبَيْرِ "تَلَظَّى".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: لَا يَصْلَاهَا إِلَّا... وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَقِيٍّ
يَصْلَاهَا، وَكُلَّ تَقِيٍّ يُجَنَّبُهَا، لَا يَخْتَصُّ بِالصَّلَى الْأَشْقِيَاءَ، وَلَا بِالنَّجَاةِ اتَّقَى الْأَتْقِيَاءَ،
وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ نَكَرَ النَّارَ فَأَرَادَ نَارًا بَعِيْنَهَا مَخْصُوصَةً بِالْأَشْقَى، فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى﴾⁵، فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَفْسَقَ الْمُسْلِمِينَ يُجَنَّبُ تِلْكَ النَّارَ الْمَخْصُوصَةَ، لَا الْأَتْقَى مِنْهُمْ
خَاصَّةً؟ قُلْتُ: الْآيَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ حَالَتِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَظِيمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
فَأُرِيدُ أَنْ يُبَالِغَ فِي صِفَتَيْهِمَا الْمُتَنَاقِضَتَيْنِ فَقِيلَ: الْأَشْقَى، وَجُعِلَ مُخْتَصًّا بِالصَّلَى، كَأَنَّ النَّارَ
لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ. وَقِيلَ: الْأَتْقَى، وَجُعِلَ مُخْتَصًّا بِالنَّجَاةِ، كَأَنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ. وَقِيلَ:
هُمَا أَبُو جَهْلٍ أَوْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

﴿يَتَزَكَّى﴾⁶: مِنَ الرِّكَاءِ. أَي: يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ زَاكِيًّا، لَا يُرِيدُ بِهِ رِبَاءً وَلَا
سُمْعَةً. أَوْ يَتَفَعَّلُ مِنَ الرِّكَاءِ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ يَتَزَكَّى؟ قُلْتُ: هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِنْ جَعَلْتَهُ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

بَدَلًا مِنْ يُؤْتَى فَلَا مَحَلَّ لَهُ، لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ، وَالصَّلَاتُ لَا مَحَلَّ لَهَا، وَإِنْ جَعَلْتُهُ حَالًا فِي الضَّمِيرِ فِي يُؤْتَى فَمَحَلُّهُ النَّصْبُ.

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾¹: مُسْتَشْنَى مِنْ غَيْرِ جَنْسِهِ وَهُوَ النِّعْمَةُ أَي: مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ نِعْمَةٌ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، كَقَوْلِكَ: مَا فِي الدَّارِ أَحَدٌ إِلَّا حِمَارًا. وَقَرَأَ **يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ**: "إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ" بِالرَّفْعِ: عَلَى لُغَةٍ مَنْ يَقُولُ: مَا فِي الدَّارِ أَحَدٌ إِلَّا حِمَارٌ.

وَأَنْشَدَ فِي اللَّغَتَيْنِ قَوْلَ بَشْرِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ:

أَضْحَتْ خَلَابًا قِفَارًا لَا أُنَيْسَ بِهَا إِلَّا الْجَادِرُ وَالظَّلْمَانُ تَخْتَلِفُ

وَقَوْلِ الْقَائِلِ:

وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعَافِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾² مَفْعُولًا لَهُ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: لَا

يُؤْتِي مَالَهُ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، لَا لِمُكَافَأَةِ نِعْمَةٍ.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾³ مَوْعِدٌ بِالتَّوَابِ الَّذِي يُرْضِيهِ وَيُقْرَأُ عَيْنَهُ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ "وَاللَّيْلِ"، أَعْطَاهُ اللَّهُ حَتَّى

يَرْضَى، وَعَافَاهُ مِنَ الْعُسْرِ وَيَسَّرَ لَهُ الْيُسْرَ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

] [[

[]

مَكِّيَّةٌ وَأَيَّامُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَىٰ¹﴾

الْمُرَادُ بِالضُّحَى: وَقْتُ الضُّحَى، وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ وَتُلْقَى شُعَاعَهَا. وَقِيلَ: إِنَّمَا خَصَّ وَقْتُ الضُّحَى بِالْقَسَمِ، لِأَنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كَلَّمَ فِيهَا مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَأُلْقِيَ فِيهَا السِّحْرَةُ سُجَّدًا، لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى﴾² [طه: 59]. وَقِيلَ: أُرِيدَ بِالضُّحَى: النَّهَارُ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَا ضُحَى﴾³ [الأعراف: 98]. فِي مُقَابَلَةِ "بَيَاتًا".

﴿سَجَى﴾⁴: سَكَنَ وَرَكَدَ ظَلَامُهُ. وَقِيلَ: لَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ سَاكِنَةُ الرِّيحِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: سُكُونُ النَّاسِ وَالْأَصْوَاتِ فِيهِ. وَسَجَا الْبَحْرُ: سَكَنَتْ أَمْوَاجُهُ. وَطَرَفٌ سَاجٍ: سَاكِنٌ فَاتِرٌ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾¹: جَوَابُ الْقَسَمِ. وَمَعْنَاهُ: مَا قَطَعَكَ قَطْعَ الْمُودِعِ. وَفَرَى بِالتَّخْفِيفِ،
يَعْنِي: مَا تَرَكَكَ.
قَالَ:

وَمَمَّ وَدَّعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ فَرَائِسَ أَطْرَافِ الْمُتَثَقِّفَةِ السُّمْرِ

وَالتَّوْدِيعُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْوَدْعِ، لِأَنَّ مَنْ وَدَّعَكَ مُفَارِقًا فَقَدْ بَالَغَ فِي تَرَكَكَ. رُوِيَ: أَنَّ
الْوَحْيَ قَدْ تَأَخَّرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيَّامًا، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ:
إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ. وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّ جَمِيلٍ امْرَأَةً أَبِي لَهَبٍ قَالَتْ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَرَى
شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَنَزَلَتْ.

حَذَفَ الضَّمِيرَ مِنْ قَلَى كَحَذَفِهِ مِنَ ﴿الذَّاكِرَاتِ﴾² فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ﴾³ [الأحزاب: 355]. يُرِيدُ: وَالذَّاكِرَاتِ، وَنَحْوَهُ: "فَأَوَى... فَهَدَى... فَأَعْنَى"،
وَهُوَ اخْتِصَارٌ لَفْظِي لظُهُورِ المَحذُوفِ.

﴿وَللآخِرَةُ خَيْرٌ لكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ
رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁴

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَللآخِرَةُ خَيْرٌ لكَ مِنَ الْأُولَى﴾⁵ بِمَا قَبْلَهُ؟ قُلْتُ:
لَمَّا كَانَ فِي ضَمْنِ نَفْيِ التَّوْدِيعِ وَالْقَلْبِي: أَنَّ اللَّهَ مُوَاصِلُكَ بِالْوَحْيِ إِلَيْكَ، وَأَنَّكَ حَبِيبُ اللَّهِ
وَلَا تَرَى كِرَامَةً أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا نِعْمَةً أَجَلَّ مِنْهُ، أَخْبَرَهُ أَنَّ حَالَهُ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ
وَأَجَلُّ، وَهُوَ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَشَهَادَةُ أُمَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ،
وَرَفْعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِعْلَاءُ مَرَاتِبِهِمْ بِشَفَاعَتِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكِرَامَاتِ السَّنِيَّةِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾¹: مُوعِدٌ شَامِلٌ لِمَا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفُلْجِ وَالظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا، وَالغَلْبَةَ عَلَى فُرْنِظَةَ وَالنَّضِيرِ وَإِجْلَائِهِمْ، وَبَثُّ عَسَاكِرِهِ وَسَرَايَاهُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَمَا فَتَحَ عَلَى خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَهَدَمَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ مَمَالِكِ الْجَبَابِرَةِ وَأَنْهَبَهُمْ مِنْ كُنُوزِ الْأَكَاسِرَةِ، وَمَا قَدَفَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنَ الرُّعْبِ وَتَهَبَّبَ الْإِسْلَامَ، وَفُشِّو الدَّعْوَةَ وَاسْتِيْلَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمَّا ادَّخَرَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: لَهُ فِي الْحِنَّةِ أَلْفُ قَصْرِ مِنْ لَوْلُو أَبِيصَ تُرَابُهُ الْمِسْكُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا هَذِهِ اللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى سَوْفَ؟ قُلْتُ: هِيَ لَامُ الْإِبْتِدَاءِ الْمُؤَكَّدَةُ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، وَالْمُبْتَدَأُ مَحْدُوفٌ. تَقْدِيرُهُ: وَلَآنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي: لَا أَقْسِمُ، أَنَّ الْمَعْنَى: لَأَنَا أَقْسِمُ، وَذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ لَامَ قَسَمٍ أَوْ إِبْتِدَاءٍ فَلَا تُقْسِمُ لَمْ تَدْخُلْ عَلَى الْمَضَارِعِ إِلَّا مَعَ نُونِ التَّأْكِيدِ، فَبَقِيَ أَنْ تَكُونَ لَامَ إِبْتِدَاءٍ، وَلَا مَ الْإِبْتِدَاءِ لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْجُمْلَةِ مِنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَأَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ: وَلَآنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْجَمْعِ بَيْنَ حَرْفِي التَّوَكُّيدِ وَالتَّأْخِيرِ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَطَاءَ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ، لِمَا فِي التَّأْخِيرِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ.

﴿إِنَّمَا يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأُعْتَى﴾²

عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ وَأَيَادِيَهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْلِهِ مِنْهَا مِنْ أَوَّلِ تَرْبِيهِ وَإِبْتِدَاءِ نَشْئِهِ، تَرْشِيحًا لِمَا أَرَادَ بِهِ، لِيُقَيِّسَ الْمُتَرْقِّبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ، لِئَلَّا يَتَوَقَّعَ إِلَّا الْحُسْنَى وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ: وَلَا يَضِيقُ صَدْرُهُ وَلَا يَقْلُ صَبْرُهُ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾¹ مِنَ الْوُجُودِ الَّذِي بِمَعْنَى الْعِلْمِ: وَالْمَنْصُوبَانِ مَفْعُولَا وَجَدَ. وَالْمَعْنَى: أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ مَاتَ وَهُوَ جَيِّينٌ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ وَمَاتَتْ أُمُّهُ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عُمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَعَظَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ. وَمِنْ بَدَعِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: "دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ"، وَأَنَّ الْمَعْنَى: أَلَمْ يَجِدْكَ وَاحِدًا فِي فَرْشِ عَدِيمِ النَّظِيرِ فَأَوَّاكَ. وَقُرِيءَ: فَأَوَى؛ وَهُوَ عَلَى مَعْنَى: إِمَّا مِنْ أَوَاهُ بِمَعْنَى آوَاهُ. سَمِعَ بَعْضُ الرُّعَاةِ يَقُولُ: أَيْنَ أَوِي هَذِهِ الْمُؤَقَّسَةَ، وَإِمَّا مِنْ أَوِي لَهُ: إِذَا رَحِمَهُ ﴿ضَالًّا﴾²، مَعْنَاهُ الضَّلَالُ عَنْ عِلْمِ الشَّرَائِعِ وَمَا طَرِيقَهُ السَّمْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾³ [الشُّورَى: 52].

وَقِيلَ: ضَلَّ فِي صِبَاهٍ فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ، فَرَدَّهُ أَبُو جَهْلٍ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَقِيلَ: أَضَلَّتْهُ حَلِيمَةُ عِنْدَ بَابِ مَكَّةَ حِينَ فَطَمَتْهُ وَجَاءَتْ بِهِ لِتَرْدَهُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَقِيلَ: ضَلَّ فِي طَرِيقِ الشَّامِ حِينَ خَرَجَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ، فَهَذَاكَ: فَعَرَفَكَ الْقُرْآنَ وَالشَّرَائِعَ. أَوْ فَازَالَ ضَالًّاكَ عَنْ جَدِّكَ وَعَمِّكَ. وَمَنْ قَالَ: كَانَ عَلَى أَمْرِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى خُلُوقِهِمْ عَنِ الْعُلُومِ السَّمْعِيَّةِ، فَنَعَمْ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَمَعَاذَ اللَّهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ قَبْلَ التُّبُوءِ وَبَعْدَهَا مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الشَّائِنَةِ، فَمَا بَالُ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ بِالصَّانِعِ ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾⁴ [يُوسُفَ: 388]. وَكَفَى بِالنَّبِيِّ نَقِيصَةً عِنْدَ الْكُفَّارِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ كُفْرٌ.

﴿عَائِلًا﴾⁵: فَقِيرًا. وَقُرِيءَ: عَيْلًا كَمَا قُرِيءَ: سَيِّحَاتٌ. وَعَدِيمًا، ﴿فَأَغْنِي﴾⁶: فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ. أَوْ بِمَا أَفَاءَ عَلَيْكَ مِنَ الْغَنَائِمِ. قَالَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي" وَقِيلَ: قَنَّعَكَ وَأَغْنَى قَلْبَكَ".

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزُ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ¹

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾²: فَلَا تَغْلِبْهُ عَلَى مَالِهِ وَحَقِّهِ لِضَعْفِهِ. وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "فَلَا تَكْهَرْ"، وَهُوَ أَنْ يَعْبَسَ فِي وَجْهِهِ. وَفَلَانٌ ذُو كَهْرُورَةٍ: عَابَسُ الْوَجْهِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "فَبَابِي وَأُمِّي هُوَ، مَا كَهَرَنِي". النَّهْرُ، وَالنَّهْمُ: الرَّجْرَجُ.

عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا رَدَّدْتَ السَّائِلَ ثَلَاثًا فَلَمْ يَرْجِعْ، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَزِيرَهُ". وَقِيلَ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالسَّائِلِ الْمُسْتَجِدِّي، وَلَكِنْ طَالِبُ الْعِلْمِ: إِذَا جَاءَ فَلَا تَنْهَرُهُ. التَّحْدِيثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ: شُكْرُهَا وَإِسَاعَتُهَا، يُرِيدُ: مَا ذَكَرَهُ مِنْ نِعْمَةِ الْإِبْوَاءِ وَالْهَدَايَةِ وَالْإِغْنَاءِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ.

عَنْ مُجَاهِدٍ: بِالْقُرْآنِ، فَحَدَّثَ: أَقْرَأَهُ، وَبَلَغَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: رَزَقَنِي اللَّهُ الْبَارِحَةَ خَيْرًا: قَرَأْتُ كَذَا وَصَلَّيْتُ كَذَا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا فِرَاسٍ مِثْلَكَ يَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾³، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَا تُحَدِّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا يَجُوزُ مِثْلُ هَذَا إِذَا قُصِدَ بِهِ اللَّطْفُ، وَأَنْ يَفْتَدِيَ بِهِ غَيْرَهُ، وَأَمِنْ عَلَى نَفْسِهِ الْفِتْنَةَ. وَالسُّتْرُ أَفْضَلُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا التَّشْبُهُ بِأَهْلِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ: لَكَفَى بِهِ. وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "فَخَبِّرْ".

وَالْمَعْنَى: أَنْتَ كُنْتَ يَتِيمًا، وَصَالًا وَعَانِيًا، فَأَوَّاكَ اللَّهُ، وَهَدَاكَ: وَأَعْنَاكَ، فَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ وَعَلَى مَا خِيَلْتَ فَلَا تَنْسَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ. وَاقْتَدِ بِاللَّهِ، فَتَعَطَّفْ عَلَى الْيَتِيمِ وَأَوْهٍ، فَقَدْ دُقَّتِ الْيَتِيمَ وَهَوَانَهُ، وَرَأَيْتَ كَيْفَ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَى السَّائِلِ وَتَفَقَّدْهُ بِمَعْرُوفِكَ وَلَا تَزْجُرْهُ عَنْ بَابِكَ، كَمَا رَحِمَكَ رَبُّكَ فَأَعْنَاكَ بَعْدَ الْفَقْرِ، وَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ كُلِّهَا، وَيُدْخِلُ تَحْتَهُ هِدَايَتَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَتَعْلِيمَهُ الشَّرَائِعَ وَالْقُرْآنَ، مُفْتَدِيًا بِاللَّهِ فِي أَنْ هَدَاهُ مِنَ الصَّلَاةِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الضُّحَى] جَعَلَهُ اللَّهُ فِي مَن يَرْضَى لِمُحَمَّدٍ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ وَعَشْرُ حَسَنَاتٍ يَكْتُبُهَا اللَّهُ لَهُ بَعْدَ كُلِّ يَتِيمٍ وَسَائِلٍ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا ثَمَانٍ
[نَزَلَتْ بَعْدَ الضُّحَى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾¹

اسْتَفْهَمَ عَنِ انْتِفَاءِ الشَّرْحِ عَلَى وَجْهِ الإنْكَارِ، فَأَفَادَ إِبْتِاتَ الشَّرْحِ وَإِبْجَابَهُ، فَكَانَتْهُ
قِيلَ: شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَيْهِ: وَضَعْنَا: اعْتِبَارًا لِلْمَعْنَى. وَمَعْنَى: شَرَحْنَا
صَدْرَكَ: فَسَّخْنَاهُ حَتَّى وَسِعَ عُمُومَ التُّبُوءِ وَدَعَاةَ الثَّقَلَيْنِ جَمِيعًا. أَوْ حَتَّى احْتَمَلَ الْمَكَارَةَ
الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَكَ بِهَا كُفَّارُ قَوْمِكَ وَغَيْرُهُمْ: أَوْ فَسَّخْنَاهُ بِمَا أَوْدَعْنَاهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ،
وَأَزَلْنَا عَنْهُ الضِّيقَ وَالْحَرَجَ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْعَمَى وَالْجَهْلِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: مُلِيَ حِكْمَةً وَعِلْمًا. وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمُنْصُورِ أَنَّهُ قَرَأَ: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ"
بِفَتْحِ الْحَاءِ. وَقَالُوا: لَعَلَّهُ بَيْنَ الْحَاءِ وَأَشْبَعَهَا فِي مَخْرَجِهَا، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّهُ فَتَحَهَا، وَالْوَزْرُ
الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَهُ - أَي: حَمَلَهُ عَلَى النِّفْيِ وَهُوَ صَوْتُ الإِنْقَاضِ وَالإِنْفِكَالِ لِتَقْلِبِهِ - مَثَلٌ
لِمَا كَانَ يَنْثَلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَعْمُهُ مِنْ فُرْطَاتِهِ قَبْلَ التُّبُوءِ. أَوْ
مِنْ جَهْلِهِ بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ. أَوْ مِنْ تَهَالُكِهِ عَلَى إِسْلَامِ أُولِي الْعِنَادِ مِنْ قَوْمِهِ وَتَلَهُّفِهِ.
وَوَضَعُهُ عَنْهُ: أَنْ غَفَرَ لَهُ، أَوْ عَلَّمَ الشَّرَائِعَ، أَوْ مَهَّدَ عُدْرَهُ بَعْدَ مَا بَلَغَ وَبَلَغَ.

¹ سورة ، الآية .

وَقَرَأَ أَنَسٌ: "وَحَلَّلْنَا" حَطَطْنَا. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَحَلَّلْنَا عَنْكَ وَفَرَكَ". وَرَفَعَ ذِكْرَهُ: أَنْ قُرِنَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالشَّهَادِ وَالْخُطْبِ، وَفِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التَّوْبَةِ: 62]، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النِّسَاءِ: 13]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾² [الْمَائِدَةِ: 922]. وَفِي تَسْمِيَّتِهِ رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيِّ اللَّهِ، وَمِنْهُ ذِكْرُهُ فِي كُتُبِ الْأَوْلِيَيْنِ، وَالْأَخْذُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَّمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ.

فَإِنْ قُلْتُ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي زِيَادَةِ ﴿لَكَ﴾³، وَالْمَعْنَى مُسْتَقَلٌّ بِدُونِهِ؟ قُلْتُ: فِي زِيَادَةِ ﴿لَكَ﴾⁴ مَا فِي طَرِيقَةِ الْإِبْهَامِ وَالْإِيضَاحِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ، فَفَهْمٌ أَنْ تَمَّ مَشْرُوحًا، ثُمَّ قِيلَ: صَدْرَكَ، فَأَوْضَحَ مَا عَلِمَ مِنْهُمَا، وَكَذَلِكَ ﴿لَكَ ذِكْرَكَ وَعَنْكَ وَزُرْكَ﴾⁵.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾⁶

فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾⁷ بِمَا قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَيِّرُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْفَقْرِ وَالصِّقَّةِ، حَتَّى سَبَقَ إِلَى وَهْمِهِ أَنَّهُمْ رَغِبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ لِافْتِقَارِ أَهْلِهِ وَاحْتِقَارِهِمْ، فَذَكَرَهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ جَلَائِلِ النَّعْمِ ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾⁸، كَأَنَّهُ قَالَ: حَوْلْنَاكَ مَا حَوْلْنَاكَ فَلَا تَيَأَسُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ يُسْرًا.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿إِنَّ مَعَ﴾¹ لِلصُّحْبَةِ، فَمَا مَعْنَى اصْطِحَابِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ؟ قُلْتُ: أَرَادَ أَنْ اللَّهَ يُصِيْبُهُمْ يُسِرُّ بَعْدَ الْعُسْرِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ بِزَمَانٍ قَرِيبٍ، فَقَرَّبَ الْيُسْرَ الْمُتْرَقَّبَ حَتَّى جَعَلَهُ كَالْمُقَارِنِ لِلْعُسْرِ، زِيَادَةً فِي التَّسْلِيَةِ وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ" وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا: أَنَّهُ خَرَجَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ". قُلْتُ: هَذَا عَمَلٌ عَلَى الظَّاهِرِ، وَبِنَاءٍ عَلَى قُوَّةِ الرِّجَالِ، وَأَنَّ مَوْعِدَ اللَّهِ لَا يُحْمَلُ إِلَّا عَلَى أَوْفَى مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ وَأَبْلَغُهُ، وَالْقَوْلُ فِي أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ تَكْرِيرًا لِلأُولَى كَمَا كَرَّرَ قَوْلُهُ: وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [الطُّور: 11]. لِيَتَقَرَّرَ مَعْنَاهَا فِي النَّفْسِ وَتَمَكِّيَهَا فِي الْقُلُوبِ، وَكَمَا يُكَرِّرُ الْمُفْرَدُ فِي قَوْلِكَ: جَاءَنِي زَيْدٌ زَيْدًا، وَأَنْ تَكُونَ الأُولَى عِدَّةً بِأَنَّ الْعُسْرَ مَرْدُوفٌ بِيُسْرٍ لَا مَحَالَةَ، وَالثَّانِيَّةُ عِدَّةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ بِأَنَّ الْعُسْرَ مُتَبَوِّعٌ بِيُسْرٍ، فَهُمَا يُسْرَانِ عَلَى تَقْدِيرِ الإِسْتِنَافِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعُسْرُ وَاحِدًا لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو، إِذَا أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفُهُ لِلْعَهْدِ، وَهُوَ الْعُسْرُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَهُوَ هُوَ، لِأَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ زَيْدٍ فِي قَوْلِكَ: إِنَّ مَعَ زَيْدٍ مَالًا، إِنَّ مَعَ زَيْدٍ مَالًا. وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ لِلْجِنْسِ الَّذِي يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ فَهُوَ هُوَ أَيْضًا. وَأَمَّا الْيُسْرُ فَمُنْكَرٌ مُتَنَاوِلٌ لِبَعْضِ الْجِنْسِ، فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ الثَّانِي مُسْتَأْنَفًا غَيْرَ مُكَرَّرٍ فَقَدْ تَنَاوَلَ بَعْضًا غَيْرَ الْبَعْضِ الأَوَّلِ بِغَيْرِ إِشْكَالٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا الْمُرَادُ بِالْيُسْرَيْنِ؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِمَا مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الْفُتُوحِ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا تَيَسَّرَ لَهُمْ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ، وَأَنْ يُرَادَ يُسْرُ الدُّنْيَا وَيُسْرُ الآخِرَةِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾² [التَّوْبَةِ: 522]. وَهُمَا حُسْنَى الظَّفَرِ وَحُسْنَى الثَّوَابِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى هَذَا التَّنْكِيرِ؟ قُلْتُ: التَّنْفِيحُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا عَظِيمًا وَأَيُّ يُسْرٍ، وَهُوَ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرَّةً وَاحِدَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا ثَبَّتَ فِي قِرَاءَتِهِ غَيْرَ مُكَرَّرٍ، فَلِمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرِ لَطَلَبَهُ الْيُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ؟ قُلْتُ: كَأَنَّهُ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

فَصَدَّ بِالْيُسْرَيْنِ: مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يُسْرًا﴾¹ مِنْ مَعْنَى التَّفْحِيمِ، فَتَأَوَّلَهُ يُسْرٍ الدَّارَيْنِ، وَذَلِكَ يُسْرَانِ فِي الْحَقِيقَةِ .

﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصِبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾²

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصِبْ﴾³ بِمَا قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَمَّا عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعْمَةَ السَّالِفَةِ وَوَعَدَهُ الْآئِنَةَ، بَعَثَهُ عَلَى الشُّكْرِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالنَّصَبِ فِيهَا، وَأَنْ يُوَاصِلَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ، وَيَتَابِعَ وَيَحْرِصَ عَلَى أَنْ لَا يُخْلِي وَفْتًا مِنْ أَوْقَاتِهِ مِنْهَا، فَإِذَا فَرَعَ مِنْ عِبَادَةٍ ذَنَبَهَا بِأُخْرَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ صَلَاتِكَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ. وَعَنِ الْحَسَنِ: فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْعَزْوِ فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَأَنْصِبْ فِي صَلَاتِكَ. وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَشِيلُ حَجْرًا فَقَالَ: لَيْسَ بِهَذَا أَمْرَ الْفَارِغِ، وَقَعُودُ الرَّجُلِ فَارِغًا مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ أَوْ اشْتِغَالُهُ بِمَا لَا يُعِينُهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ: مِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ وَسَخَافَةِ الْعَقْلِ وَاسْتِيْلَاءِ الْعُقْلَةِ، وَلَقَدْ قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدَكُمْ فَارِغًا سَبْهَلًا لَا فِي عَمَلٍ دُنْيَا وَلَا فِي عَمَلٍ آخِرَةٍ. وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: "فَرَعْتَ" بِكَسْرِ الرَّاءِ وَلَيْسَتْ بِفَصِيحَةٍ. وَمِنَ الْبِدْعِ: مَا زُوِيَ عَنِ بَعْضِ الرَّافِضَةِ أَنَّهُ قَرَأَ: فَأَنْصِبْ، بِكَسْرِ الصَّادِ، أَيُّ: فَأَنْصِبْ عَلَيَّا لِلْإِمَامَةِ، وَلَوْ صَحَّ هَذَا لِلرَّافِضِيِّ لَصَحَّ لِلنَّاصِبِيِّ أَنْ يَقْرَأَ هَكَذَا، وَيَجْعَلُهُ أَمْرًا بِالنَّصَبِ الَّذِي هُوَ بَعْضُ عَلَيٍّ وَعَدَاوَتُهُ.

﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾⁴، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَيْهِ خُصُوصًا، وَلَا تَسْأَلْ إِلَّا فَضْلَهُ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ. وَقُرِئَ: "فَرَعْتَ" أَيُّ: رَغَبِ النَّاسِ إِلَى طَلَبِ مَا عِنْدَهُ.

عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ أَلَمْ نَشْرَحْ، فَكَأَنَّمَا جَاءَنِي وَأَنَا مُعْتَمِّمٌ فَفَرَّجَ عَنِّي".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، آيَاتُهَا ثَمَانٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِاللَّذِينَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾¹

أَفَسَمَ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا عَجِيبانِ مِنْ بَيْنِ أَصْنَافِ الْأَشْجَارِ الْمُشْمِرَةِ، وَرُوي: أَنَّهُ أُهْدِيَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَبَقٌ مِنْ تَيْنٍ فَأَكَلَ مِنْهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "كُلُوا، فَلَوْ قُلْتُ:
إِنَّ فَاكِهَةَ نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ لَقُلْتُ هَذِهِ، لِأَنَّ فَاكِهَةَ الْجَنَّةِ بِلا عَجَمٍ، فَكُلُوهَا. فَإِنَّهَا تَقْطَعُ
الْبُواسِيرَ وَتَنْفَعُ مِنَ النَّفْسِ".

وَمَرَّ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِشَجَرَةِ الزَّيْتُونِ فَأَخَذَ مِنْهَا فَضِيًّا وَاسْتَاكَ بِهِ وَقَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "يَعْمُ السَّوَاكُ الزَّيْتُونُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ
يُطَيِّبُ الْفَمَ وَيُذْهِبُ بِالْخُفْرَةِ". وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "هِيَ سَوَاكِي وَسَوَاكُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي".
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: هُوَ تَيْنُكُمْ هَذَا وَزَيْتُونُكُمْ. وَقِيلَ: جَبَلانِ مِنَ
الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يُقَالُ لَهُمَا بِالسُّرْيَانِيَّةِ: طُورَيْنَا وَطُورِزَيْنَا، لِأَنَّهُمَا مُنَبَّاتَا التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ. وَقِيلَ:
"التَّيْنُ" جَبالٌ مَا بَيْنَ حُلُوانَ وَهَمْدانَ.

¹ سورة ، الآية .

وَالرَّيْتُونَ": جِبَالُ الشَّامِ، لِأَنَّهَا مَنَابِتُهُمَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَنَابِتُ التَّيْنِ وَالرَّيْتُونَ. وَأَضْيَفَ الطُّورُ: وَهُوَ الْجَبَلُ، إِلَى سَيِّبِينَ: وَهِيَ الْبُقْعَةُ. وَنَحْوُ سَيِّبُونَ: يَبْرُونَ، فِي حَوَازِ الإِعْرَابِ بِالْوَاوِ وَالْيَاءِ، وَالْإِفْرَارُ عَلَى الْيَاءِ، وَتَحْرِيكُ التَّوْنِ بِحَرَكَاتِ الإِعْرَابِ. وَلِلْبَلَدِ مَكَّةُ حَمَاهَا اللَّهُ. وَالْأَمِينُ: مَنْ أَمِنَ الرَّجُلُ أَمَانَةً فَهُوَ أَمِينٌ. وَقِيلَ: أَمَانٌ، كَمَا قِيلَ: كِرَامٌ فِي كَرِيمٍ. وَأَمَانَتُهُ: أَنْ يَحْفَظَ مَنْ دَخَلَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْأَمِينُ مَا يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِنْ أَمَنَهُ لِأَنَّهُ مَأْمُونٌ الْعَوَائِلِ، كَمَا وَصِفَ بِالْأَمْنِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾¹ [الْقَصَصِ: 577]. بِمَعْنَى ذِي أَمْنٍ: وَمَعْنَى الْقَسَمِ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءِ: الإِبَانَةُ عَنِ شَرَفِ الْبِقَاعِ الْمُبَارَكَةِ وَمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ بِسُكْنَى الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. فَمُنِبَتُ التَّيْنِ وَالرَّيْتُونَ مُهَاجِرُ إِبْرَاهِيمَ وَمَوْلِدُ عِيسَى وَمَنْشُؤُهُ، وَالطُّورُ: الْمَكَانُ الَّذِي نُودِيَ مِنْهُ مُوسَى.

وَمَكَّةُ: مَكَانُ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ هُدَى لِلْعَالَمِينَ، وَمَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبْعَثُهُ.

﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾²: فِي أَحْسَنِ تَعْدِيلٍ لِشَكْلِهِ وَصُورَتِهِ وَتَسْوِيَةِ لِأَعْضَائِهِ. ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ حِينَ لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ تِلْكَ الْخَلْقَةِ الْحَسَنَةِ الْقَوِيمَةِ السَّوِيَّةِ: أَنْ رَدَّدْنَاهُ أَسْفَلَ مَنْ سَأَلَ خَلْقًا وَتَرْكِييًّا، يَعْنِي: أَفْبَحَ مَنْ قُبِحَ صُورَةً وَأَشْوَهَهُ خَلْقَةً، وَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ أَوْ أَسْفَلَ مَنْ سَأَلَ مِنْ أَهْلِ الدَّرَكَاتِ. أَوْ ثُمَّ رَدَّدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوِيمِ وَالتَّحْسِينِ أَسْفَلَ مَنْ سَأَلَ فِي حُسْنِ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ: حَيْثُ نَكَّسْنَاهُ فِي خَلْفِهِ، فَقُوسَ ظَهْرَهُ بَعْدَ اعْتِدَالِهِ، وَابْيَضَّ شَعْرُهُ بَعْدَ سَوَادِهِ، وَتَشَنَّ جِلْدُهُ وَكَانَ بَضًّا وَكَلَّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَكَانَا حَدِيدَيْنِ، وَتَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ: فَمَشِيهِ دَلِيفٌ، وَصَوْتُهُ خُفَاتٌ، وَقُوَّتُهُ ضَعْفٌ، وَشَهَامَتُهُ خَرْفٌ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: "أَسْفَلَ السَّافِلِينَ".

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ الإِسْتِثْنَاءُ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ؟ قُلْتُ: هُوَ عَلَى الْأَوَّلِ مُتَّصِلٌ ظَاهِرُ الإِتِّصَالِ، وَعَلَى الثَّانِي: مُنْقَطِعٌ. يَعْنِي: وَلَكِنْ الَّذِينَ كَانُوا صَالِحِينَ مِنَ الْهَرَمِيِّ فَلَهُمْ ثَوَابٌ دَائِمٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى ابْتِلَاءِ اللَّهِ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ، وَعَلَى مُقَاسَاةِ الْمَشَاقِّ وَالْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ عَلَى تَحَاذُلِ نُهُوضِهِمْ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾¹ مِنَ الْمُخَاطَبِ بِهِ؟ قُلْتُ: هُوَ خِطَابٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ، أَيْ: فَمَا يَجْعَلُكَ كَاذِبًا بِسَبَبِ الدِّينِ وَإِنْكَارِهِ بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ، يَعْنِي: أَنَّكَ تُكَذِّبُ إِذَا كَذَّبْتَ بِالْجَزَاءِ، لِأَنَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ بِالْحَقِّ فَهُوَ كَاذِبٌ، فَأَيُّ شَيْءٍ يَضْطَرُّكَ إِلَى أَنْ تَكُونَ كَاذِبًا بِسَبَبِ تَكْذِيبِ الْجَزَاءِ. وَالْبَاءُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾² [التَّحْلِ: 1000].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ نُطْفَةٍ، وَتَقْوِيمَهُ بَشَرًا سَوِيًّا وَتَدْرِيجَهُ فِي مَرَاتِبِ الرِّيَازَةِ إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَيَسْتَوِيَ، ثُمَّ تَنْكِيْسَهُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَرْذَلَ الْعُمُرِ: لَا تَرَى دَلِيلًا أَوْضَحَ مِنْهُ عَلَى فُذْرَةِ الْخَالِقِ، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذَا كُلِّهِ: لَمْ يَعْجِزْ عَنْ إِعَادَتِهِ، فَمَا سَبَبَ تَكْذِيبِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِالْجَزَاءِ بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ. وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾³ وَعِيدٌ لِلْكَفَّارِ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: "بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ

مِنَ الشَّاهِدِينَ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [التِّينِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ حَصَلَتَيْنِ: الْعَافِيَةَ وَالْيَقِينَنَ مَا دَامَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَإِذَا مَاتَ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ بَعْدَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

] [

[]

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ
وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾¹

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْفَاتِحَةَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ ثُمَّ سُورَةُ الْقَلَمِ.

مَحَلُّ ﴿بِسْمِ رَبِّكَ﴾² التَّصْبُّ عَلَى الْحَالِ، أَي: اقْرَأْ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اقْرَأْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: "خَلَقَ" فَلَمْ يَذَكَرْ لَهُ مَفْعُولًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾³؟ قُلْتُ: هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَنْ لَا يُقَدَّرُ لَهُ مَفْعُولٌ وَأَنْ يُرَادَ أَنَّهُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ الْخَلْقُ وَاسْتَأْتَرَ بِهِ لَا خَالِقَ سِوَاهُ. وَإِمَّا أَنْ يُقَدَّرَ وَيُرَادَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَيَتَنَاوَلُ كُلَّ مَخْلُوقٍ، لِأَنَّهُ مُطْلَقٌ، فَلَيْسَ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ أَوْلَى بِتَقْدِيرِهِ مِنْ بَعْضٍ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾¹ تَخْصِيصٌ لِلْإِنْسَانِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْخَلْقُ، لِأَنَّ التَّنَزِيلَ إِلَيْهِ وَهُوَ أَشْرَفُ مَا عَلَى الْأَرْضِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، كَمَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾² [الرَّحْمَنُ: 1-2-3]. فَقِيلَ: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾³ مُبْهَمًا، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾⁴ تَفْخِيمًا لِخَلْقِ الْإِنْسَانِ. وَدَلَالَةٌ عَلَى عَجِيبِ فِطْرَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿مَنْ عَلَّمَ﴾⁵ عَلَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ عِلْقَةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ نُطِقَهُ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ﴾⁶ [غَافِرٍ: 67]. قُلْتُ: لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ﴾⁷ [العَصْرِ: 2].

﴿الْأَكْرَمُ﴾⁸: الَّذِي لَهُ الْكَمَالُ فِي زِيَادَةِ كَرَمِهِ عَلَى كُلِّ كَرَمٍ، يُنْعَمُ عَلَى عِبَادِهِ النَّعْمَ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَيَحْلُمُ عَنْهُمْ فَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ لِعِمِّهِ وَرُكُوبِهِمْ الْمَنَاهِي وَاطْرَاحِهِمْ الْأَوَامِرَ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ بَعْدَ اقْتِرَافِ الْعِظَامِ، فَمَا لِكَرَمِهِ غَايَةٌ وَلَا أَمَدٌ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ التَّكْرُمِ بِإِفَادَةِ الْفَوَائِدِ الْعِلْمِيَّةِ تَكْرُمٌ، حَيْثُ قَالَ: الْأَكْرَمُ.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁹، فَدَلَّ عَلَى كَمَالِ كَرَمِهِ بِأَنَّهُ عَلَّمَ عِبَادَهُ مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَنَقَلَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِ عِلْمِ الْكِتَابَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا هُوَ، وَمَا دُونَتِ الْعُلُومُ وَلَا قَيَّدَتِ الْحِكْمُ وَلَا ضَبِطَتِ أَخْبَارُ الْأَوْلِيَيْنِ وَمَقَالَاتُهُمْ، وَلَا كُتِبَ اللَّهُ الْمُنَزَّلَةُ إِلَّا بِالْكِتَابَةِ، وَلَوْلَا هِيَ لَمَا اسْتَقَامَتِ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دَقِيقِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَلَطِيفِ تَدْبِيرِهِ دَلِيلٌ إِلَّا أَمْرُ الْقَلَمِ وَالْخَطِّ، لَكَفَى بِهِ. وَلِبَعْضِهِمْ فِي صِفَةِ الْقَلَمِ:

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .
- 9 سورة ، الآية .

وَرَوَاقِيمِ رُفْشٍ كَمِثْلِ أَرَاقِيمِ فُطْفِ الْأُحْطَا نَيَْالَةَ أَفْصَى الْمَدَى
سُودَ الْقَوَائِمِ مَا يَجِدُ مَسِيرَهَا إِلَّا إِذَا لَعِبَتْ بِهَا بِيضُ الْمَدَى
وَقَرَأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: "عَلَّمَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ".

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي
يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾¹

﴿كَلَّا﴾²: رَذَغَ لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِطُغْيَانِهِ، وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.
﴿أَنْ رَأَاهُ﴾³: أَنْ رَأَى نَفْسَهُ. يُقَالُ: فِي أَفْعَالِ الْقُلُوبِ: رَأَيْتُنِي وَعَلِمْتُنِي، وَذَلِكَ
بَعْضُ خَصَائِصِهَا. وَمَعْنَى الرَّؤْيَةِ: الْعِلْمُ، وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى الْإِبْصَارِ لَامْتَنَعَ فِي فِعْلِهَا الْجَمْعُ
بَيْنَ الضَّمِيرَيْنِ.

﴿اسْتَغْنَى﴾⁴ هُوَ الْمَغْفُولُ الثَّانِي.

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى﴾⁵: وَقَعَ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْإِنْسَانِ، تَهْدِيدًا لَهُ
وَتَحْذِيرًا مِنْ عَاقِبَةِ الطُّغْيَانِ. وَالرُّجْعَى: مَصْدَرٌ كَالْبُشْرَى بِمَعْنَى الرَّجُوعِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي
جَهْلٍ.

وَكَذَلِكَ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾⁶.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَتُرْعَمُ أَنَّ مِنْ اسْتَغْنَى طَغَى،
فَاجْعَلْ لَنَا جِبَالَ مَكَّةَ فِضَّةً وَذَهَبًا، لَعَلَّنَا نَأْخُذُ مِنْهَا فَنَطْعَى فَنَدْعُ دِينَنَا وَنَتَّبِعُ دِينَكَ،

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

فَنَزَلَ جِبْرِيْلُ، فَقَالَ: إِنَّ شِئْتَ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا فَعَلْنَا بِهِمْ مَا فَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْمَائِدَةِ، فَكَفَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الدُّعَاءِ إِنْقَاءً عَلَيْهِمْ.

وَرُوِيَ عَنْهُ - لَعْنَةُ اللَّهِ - أَنَّهُ قَالَ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَوَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَأَطَأَنَّ عُنُقَهُ، فَجَاءَهُ ثُمَّ نَكَصَ عَلَى عَقَبِيهِ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةً".

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾¹، وَمَعْنَاهُ: أَخْبَرَنِي عَمَّنْ يَنْهَى بَعْضَ عِبَادِ اللَّهِ عَنِ صَلَاتِهِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ النَّاهِي عَلَى طَرِيقَةِ سَدِيدَةٍ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ. أَوْ كَانَ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّقْوَى فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ كَمَا يَعْتَقِدُ، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْحَقِّ وَالتَّوَلَّى عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، كَمَا نَقُولُ نَحْنُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾²، وَيَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ هُدَاهُ وَضَلَالِهِ فَيَجَازِيهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ. وَهَذَا وَعِيدٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مُتَعَلِّقٌ أَرَأَيْتَ؟ قُلْتُ: الَّذِي يَنْهَى مَعَ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ، وَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيُّ جَوَابِ الشَّرْطِ؟ قُلْتُ: هُوَ مَحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟ وَإِنَّمَا حُذِفَ لِدَلَالَةِ ذِكْرِهِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ الثَّانِي. فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ صَحَّ أَنْ يَكُونَ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾³: جَوَابًا لِلشَّرْطِ؟ قُلْتُ: كَمَا صَحَّ فِي قَوْلِكَ: إِنْ أَكْرَمْتُكَ أَتَّكْرُمُنِي؟ وَإِنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ زَيْدٌ هَلْ تُحْسِنُ إِلَيْهِ؟ فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا أَرَأَيْتَ الثَّانِيَةَ وَتَوَسَّطُهَا بَيْنَ مَفْعُولِ أَرَأَيْتَ؟ قُلْتُ: هِيَ زَائِدَةٌ مُكْرَّرَةٌ لِلتَّوَكِيدِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ أُمِيَّةٌ بِنُ خَلْفٍ كَانَ يَنْهَى سَلْمَانَ عَنِ الصَّلَاةِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

﴿كَلَّا﴾¹ رَدَعُ لِأَبِي جَهْلٍ وَخُسُوءٌ لَهُ عَنِ نَهْيِهِ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ بِعِبَادَةِ
اللَّاتِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَ﴾² عَمَّا هُوَ فِيهِ، ﴿لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾³ لِنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ
وَلَنَسْحَبَنَّهُ بِهَا إِلَى النَّارِ. وَالسَّفْعُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ وَجَذْبُهُ بِشِدَّةٍ.
قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ:

قَوْمٌ إِذَا يَقَعُ الصَّرِيحُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ

وَقُرَى: لَسَفَعَنَّ، بِالتَّوْنِ الْمُشَدَّدَةِ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَأَسْفَعَا. وَكَتَبْتُهَا فِي الْمُصْحَفِ
بِالْأَلِفِ عَلَى حُكْمِ الْوَقْفِ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهَا نَاصِيَةُ الْمَذْكُورِ: اِكْتَفَى بِإِلَامِ الْعَهْدِ عَنِ الْإِضَافَةِ
"نَاصِيَةً" بَدَلًا مِنَ النَّاصِيَةِ، جَازَ بَدَلُهَا عَنِ الْمَعْرِفَةِ، وَهِيَ نَكْرَةٌ، لِأَنَّهَا وَصِفَتْ فَاسْتَقَلَّتْ
بِفَائِدَةٍ. وَقُرَى: نَاصِيَةً عَلَى: هِيَ نَاصِيَةٌ، وَنَاصِيَةً بِالتَّصْبِ. وَكِلَاهُمَا عَلَى الشَّتْمِ. وَوَصَفَهَا
بِالْكَذِبِ وَالْخَطَأِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ. وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لِصَاحِبِهَا. وَفِيهِ مِنَ الْحُسْنِ
وَالْجَزَالَةِ مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ: نَاصِيَةُ كَاذِبٍ خَاطِئٍ. وَالنَّادِي: الْمَجْلِسُ الَّذِي يُنْتَدَى فِيهِ
الْقَوْمُ. أَي: يَجْتَمِعُونَ. وَالْمُرَادُ: أَهْلُ النَّادِي. كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السَّبَالِ أَدَلَّةٌ

وَقَالَ زُهَيْرٌ:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمْ

وَالْمَقَامَةُ: الْمَجْلِسُ.

رُوي: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ
أَنْهَكَ؟ فَأَغْلَطَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: "أَتَهْدِدُنِي وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ
الْوَادِي نَادِيًا"، فَتَنَزَلَتْ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: سِيدَعَى الزَّبَانِيَةَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَالزَّبَانِيَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ:
الشُّرْطُ، الْوَاحِدُ، زَبْنِيَّةٌ، كَعَفْرِيَّةٍ، مِنَ الزَّبْنِ: وَهُوَ الدَّفْعُ. وَقِيلَ: زَبْنِيٌّ، وَكَأَنَّهُ نُسِبَ إِلَى الزَّبْنِ،
ثُمَّ غَيَّرَ لِلنَّسَبِ، كَقَوْلِهِمْ: أَمْسَى، وَأَصْلُهُ: زَبَانِيٌّ، فَقِيلَ: زَبَانِيَّةٌ عَلَى التَّعْوِيضِ، وَالْمُرَادُ:
مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

وَعَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتَهُ الرَّبَابِيَّةَ عِيَانًا".
﴿كَأَلَّا﴾¹: رَدَّعَ لِأَبِي جَهْلٍ، ﴿لَا تُطْعَهُ﴾²، أَي: اثْبُتْ عَلَيَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِصْيَانِهِ،
كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾³ [الْقَلَمِ: 88].
﴿وَاسْجُدْ﴾⁴: وَدُمَّ عَلَيَّ سُجُودَكَ، يُرِيدُ: الصَّلَاةَ.
﴿وَاقْتَرِبْ﴾⁵: وَتَقَرَّبْ إِلَى رَبِّكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ إِذَا
سَجَدَ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْعَلَقِ] أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ
كَأَنَّمَا قَرَأَ الْمُفْصَلِ كُلَّهُ".

-
- 1 سورة ، الآية .
 - 2 سورة ، الآية .
 - 3 سورة ، الآية .
 - 4 سورة ، الآية .
 - 5 سورة ، الآية .

] [

[]

مَكِّيَّةٌ وَقِيلَ مَدْيَنِيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا خَمْسٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [عَبَسَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ
شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ
حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾¹

عَظَمَ الْقُرْآنُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

- أَحَدُهَا: أَنْ أَسْنَدَ انْزَالَهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُ مُحْتَصًّا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ،
- وَالثَّانِي: أَنَّهُ جَاءَ بِضَمِيرِهِ دُونَ اسْمِهِ الظَّاهِرِ شَهَادَةً لَهُ بِالتَّبَاهَةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ.
- وَالثَّلَاثُ: الرَّفْعُ مِنْ مِقْدَارِ الْوَقْتِ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ. رُوِيَ أَنَّهُ أَنْزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. وَأَمَلَاهُ جِبْرِيلُ عَلَى السَّفَرَةِ، ثُمَّ كَانَ يُنَزِّلُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نُجُومًا فِي ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ سَنَةً.
- وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: الْمَعْنَى إِنَّا ابْتَدَأْنَا انْزَالَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِهَا فَأَكْثَرُهُمْ عَلَى أَنَّهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي أَوْتَارِهَا. وَأَكْثَرُ الْقَوْلِ أَنَّهَا السَّابِعَةُ مِنْهَا، وَلَعَلَّ الدَّاعِيَ إِلَى إِخْفَائِهَا أَنْ يُحْيِيَ مَنْ يُرِيدُهَا اللَّيَالِي الْكَثِيرَةَ: طَلَبًا لِمُوَافَقَتِهَا، فَتَكْثُرُ

¹ سورة ، الآية .

عِبَادَتُهُ وَيَتَصَاعَفُ ثَوَابُهُ، وَأَنْ لَا يَتَّكِلَ النَّاسُ عِنْدَ إِظْهَارِهَا عَلَى إِصَابَةِ الْفَضْلِ فِيهَا فَيَفْرُطُوا فِي غَيْرِهَا.

وَمَعْنَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ: لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَقَضَائِهَا، وَمِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾¹ [الدُّخَانُ: 4]. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِخَطَرِهَا وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ اللَّيَالِي.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾²، يَعْنِي: وَلَمْ تَبْلُغْ دِرَائِكَ غَايَةَ فَضْلِهَا وَمُنْتَهَى غُلُوِّ قَدْرِهَا، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِأَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَبَبُ ارْتِقَاءِ فَضْلِهَا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ مَا يُوجَدُ فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا: مِنْ تَنْزُلِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، وَفَضْلِ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَذِكْرٍ فِي تَخْصِيصِ هَذِهِ الْمُدَّةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبَسَ السَّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجِبَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَفَاصَرَتْ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَأَعْطَوْا لَيْلَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ مُدَّةِ ذَلِكَ الْغَارِي.

وَقِيلَ: إِنَّ الرَّجُلَ فِيمَا مَضَى مَا كَانَ يُقَالُ لَهُ عَابِدٌ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهُ أَلْفَ شَهْرٍ، فَأَعْطَوْا لَيْلَةً إِنْ أَحْيَوْهَا كَانُوا أَحَقَّ بِأَنْ يُسَمَّوْا عَابِدِينَ مِنْ أَوْلَيْكَ الْعَبَادِ.

﴿تَنْزُلُ﴾³ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: إِلَى الْأَرْضِ.

﴿وَالرُّوحُ﴾⁴: جِبْرِيلُ. وَقِيلَ: خَلَقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَرَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾⁵، أَي: تَتَنَزَّلُ مِنْ أَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ فَضَاهُ اللَّهُ لِيَلْكَ السَّنَةَ إِلَى قَابِلٍ. وَقُرِيَ: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، أَي: مِنْ أَجْلِ كُلِّ إِنْسَانٍ. وَقِيلَ: لَا يَلْقَوْنَ مُؤْمِنًا وَلَا مُؤْمِنَةً إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾⁶ مَا هِيَ إِلَّا سَلَامَةٌ، أَي: لَا يُقَدَّرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا السَّلَامَةُ وَالْخَيْرُ، وَيَقْضَى فِي غَيْرِهَا بَلَاءٌ وَسَلَامَةٌ. أَوْ: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ لِكَثْرَةِ مَا يُسَلِّمُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَقُرِيَ: مَطْلَعِ بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْقَدْرِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ
صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ".

] [

[]

مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدْيَنِيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا ثَمَانٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الطَّلَاقِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيْتَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْتَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ¹

كَانَ الْكُفَّارُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ يَقُولُونَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا تَنْفَكُ مِنَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ دِينِنَا وَلَا نَتْرُكُهُ حَتَّى يُبْعَثَ النَّبِيُّ
الْمَوْعُودُ الَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،
فَحَكَى اللَّهُ -تَعَالَى- مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ.

¹ سورة ، الآية .

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾¹ يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْدُونَ اجْتِمَاعَ الْكَلِمَةِ وَالِاتِّفَاقَ عَلَى الْحَقِّ: إِذَا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ، ثُمَّ مَا فَرَّقَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَلَا أَقْرَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ إِلَّا مَجِيءُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَنَظِيرُهُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ الْفَاسِقُ لِمَنْ يَعْطُهُ: لَسْتُ بِمُنْفَكِّ مِمَّا أَنَا فِيهِ حَتَّى يَرْزُقَنِي اللَّهُ الْعَنَى، فَيَرْزُقُهُ اللَّهُ الْعَنَى فَيَزِدَادُ فَسَقًا، فَيَقُولُ وَعَظُهُ: لَمْ تَكُنْ مُنْفَكًّا عَنِ الْفَسَقِ حَتَّى تُوسِرَ، وَمَا غَمَسْتَ رَأْسَكَ فِي الْفَسَقِ إِلَّا بَعْدَ الْيَسَارِ: يُذَكِّرُهُ مَا كَانَ يَقُولُهُ تَوْبِيحًا وَإِلْزَامًا. وَإِنْفِكَائِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ. أَنْ يُزَايِلَهُ بَعْدَ التَّحَامِهِ بِهِ، كَالْعَظْمِ إِذَا انْفَكَ مِنَ مِفْصَلِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ مُتَشَبِّهُونَ بِدِينِهِمْ وَلَا يَتْرَكُونَهُ إِلَّا عِنْدَ مَجِيءِ الْبَيِّنَةِ.

وَ﴿الْبَيِّنَةُ﴾²: الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ.

وَ﴿رَسُولٌ﴾³ بَدَلٌ مِنَ الْبَيِّنَةِ. وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: رَسُولًا حَالًا مِنَ الْبَيِّنَةِ "صُحُفًا" قَرَاتِيْسَ "مُطَهَّرَةً" مِنَ الْبَاطِلِ فِيهَا كُتِبَ مَكْتُوبَاتٌ "قِيَمَةٌ" مُسْتَقِيْمَةٌ نَاطِقَةٌ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالْمُرَادُ بِتَفَرُّقِهِمْ: تَفَرُّقُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَانْقِشَاعُهُمْ عَنْهُ. أَوْ تَفَرُّقُهُمْ فِرْقًا، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ، وَقَالَ: لَيْسَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَ وَعَانَدَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَمَعَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَوْلًا ثُمَّ أَفْرَدَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾⁴؟ قُلْتُ: لِأَنََّّهُمْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِهِ لَوْجُودِهِ فِي كُتُبِهِمْ، فَإِذَا وَصَفُوا بِالتَّفَرُّقِ عَنْهُ كَانَ مَنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَدْخَلَ فِي هَذَا الْوَصْفِ. ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾⁵، يَعْنِي: فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا بِالَّذِينَ الْحَنِيفِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ حَرَّفُوا وَبَدَّلُوا.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾⁶، أَي: دِينُ الْمِلَّةِ الْقِيَمَةِ. وَقُرِئَ: وَذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمَةُ عَلَى تَأْوِيلِ الدِّينِ بِالْمِلَّةِ.

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾¹؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَمَا أُمِرُوا بِمَا فِي الْكِتَابَيْنِ إِلَّا لِأَجْلِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا"، بِمَعْنَى: بَأَنْ يَعْبُدُوا. قَرَأَ نَافِعٌ: "الْبَرِيَّةَ" بِالْهَمْزِ، وَالْقُرَّاءُ عَلَى التَّخْفِيفِ. وَالنَّبِيُّ، وَالْبَرِيَّةُ: مِمَّا اسْتَمَرَ الْإِسْتِعْمَالَ عَلَى تَخْفِيفِهِ وَرَفُضِ الْأَصْلِ. وَفُرِي: خِيَارُ الْبَرِيَّةِ جَمْعُ خَيْرٍ، كَجِيَادٍ وَطِيَابٍ: فِي جَمْعِ جَيِّدٍ وَطَيِّبٍ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [لَمْ يَكُنْ] كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَسَاءً وَمُقْبَلًا".

¹ سورة ، الآية .

مَدِينَةٌ وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا ثَمَانٍ
تَزَلَّتْ بَعْدَ [النِّسَاءِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾¹

﴿زُلْزَالَهَا﴾² قُرئ: بِكَسْرِ الزَّايِ وَفَتْحِهَا، فَالْمَكْسُورُ: مَصْدَرٌ، وَالْمَفْتُوحُ: اسْمٌ، وَلَيْسَ فِي الْأَنْبِيَةِ فَعْلَالٌ بِالْفَتْحِ إِلَّا فِي الْمَضَاعِفِ.
فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَعْنَى زُلْزَالَهَا بِالْإِضَافَةِ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ زِلْزَالَهَا الَّذِي تَسْتَوْجِبُهُ فِي الْحِكْمَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَهُوَ الزَّلْزَالُ الشَّدِيدُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ. وَنَحْوَهُ قَوْلُكَ: أَكْرِمِ التَّقِيَّ إِكْرَامَهُ، وَأَهْنِ الْفَاسِقَ إِهَانَتَهُ، تُرِيدُ: مَا يَسْتَوْجِبَانِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ أَوْ زِلْزَالَهَا كُلَّهُ وَجَمِيعَ مَا هُوَ مُمَكِّنٌ مِنْهُ. الْأَثْقَالُ: جَمْعُ ثَقَلٍ. وَهُوَ مَتَاعُ الْبَيْتِ، وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ جَعَلَ مَا فِي جَوْفِهَا مِنَ الدَّفَائِنِ أَثْقَالًا لَهَا.

¹ سورة ، الآية .

² سورة ، الآية .

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾¹ زُلْزِلَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةَ وَلَقَطَتْ مَا فِي بَطْنِهَا، وَذَلِكَ عِنْدَ التَّفْحَةِ الثَّانِيَةِ حِينَ تُرْزَلُ وَتَلْفِظُ أَمْوَاتَهَا أَحْيَاءً، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِمَا يُبْهَرُهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْفَطِيحِ، كَمَا يَقُولُونَ: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾² [يس: 52].
 وَقِيلَ: هَذَا قَوْلُ الْكَافِرِ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾³.

فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَعْنَى تَحْدِيثِ الْأَرْضِ وَالْإِيحَاءِ لَهَا؟ قُلْتُ: هُوَ مَجَازٌ عَنِ إِحْدَاثِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ مَا يَقُومُ مَقَامَ التَّحْدِيثِ بِاللِّسَانِ، حَتَّى يَنْظُرَ مَنْ يَقُولُ مَا لَهَا إِلَى تِلْكَ الْأَحْوَالِ، فَيَعْلَمُ لِمَ زُلْزِلَتْ وَلِمَ لَقِطَتْ الْأَمْوَاتَ؟ وَأَنَّ هَذَا مَا كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ يُنذِرُونَهُ وَيُحَدِّثُونَ مِنْهُ. وَقِيلَ: يُنطِقُهَا اللَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَتُخْبِرُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.
 وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا".

فَإِنْ قُلْتُ: "إِذَا"، وَ"يَوْمَئِذٍ": مَا نَاصَبَهُمَا؟ قُلْتُ: "يَوْمَئِذٍ" بَدَلٌ مِنْ "إِذَا"، وَنَاصَبَهُمَا ﴿تُحَدِّثُ﴾⁴. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ "إِذَا" بِمُضْمَرٍ، وَ "يَوْمَئِذٍ" بِتُحَدِّثُ.
 فَإِنْ قُلْتُ: أَيْنَ مَفْعُولًا ﴿تُحَدِّثُ﴾⁵؟ قُلْتُ: قَدْ حُذِفَ أَوْلُهُمَا، وَالثَّانِي: أَخْبَارَهَا، وَأَصْلُهُ تُحَدِّثُ الْخَلْقَ أَخْبَارَهَا، إِلَّا أَنَّ الْمَقْصُودَ ذِكْرَ تَحْدِيثِهَا الْأَخْبَارَ لَا ذِكْرَ الْخَلْقِ تَعْظِيمًا لَلْيَوْمِ.

فَإِنْ قُلْتُ: بِمَ تَعَلَّقَتِ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾⁶؟ قُلْتُ: بِتُحَدِّثُ، مَعْنَاهُ: تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِسَبَبِ إِيحَاءِ رَبِّكَ لَهَا، وَأَمْرِهِ إِيَّاهَا بِالتَّحْدِيثِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ بِتُحْدِيثِ أَنْ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا أَخْبَارَهَا، عَلَى أَنَّ تَحْدِيثَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا: تَحْدِيثُ بِأَخْبَارَهَا، كَمَا تَقُولُ: نَصَحْتَنِي كُلَّ نَصِيحَةٍ، بِأَنَّ نَصَحْتَنِي فِي الدِّينِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾¹ بَدَلًا مِنْ ﴿أَخْبَارَهَا﴾² كَأَنَّهُ قِيلَ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ بِأَخْبَارِهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، لِأَنَّكَ تَقُولُ: حَدَّثْتُهُ كَذَا وَحَدَّثْتُهُ بِكَذَا. وَ﴿أَوْحَى لَهَا﴾³ بِمَعْنَى أَوْحَى إِلَيْهَا، وَهُوَ مَجَازٌ كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁴ [النحل: 40].
قَالَ:

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "تَسْبِيءُ أَخْبَارِهَا". وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: تَسْبِيءٌ، بِالتَّخْفِيفِ. يَصْدُرُونَ عَنْ مَخَارِجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْمَوْقِفِ.
﴿أَشْتَاتًا﴾⁵: بِيضَ الْوُجُوهِ آمِنِينَ، وَسُودَ الْوُجُوهِ فَرَعِينَ. أَوْ يَصْدُرُونَ عَنِ الْمَوْقِفِ أَشْتَاتًا يَتَفَرَّقُ بِهِمْ طَرِيقَا الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لِيُرَوْا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ. وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لِيُرَوْا" بِالْفَتْحِ.
وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: "يَرَهُ" بِالضَّمِّ. وَيُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا آخَرَ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾⁶، فَقِيلَ لَهُ: قَدَمْتَ وَأَخْرَتَ، فَقَالَ:

خَذَا بَطْنَ هَرَشَى أَوْ قَفَاها فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبَيْ هَرَشَى لَهُنَّ طَرِيقُ

وَالدَّرَّةُ: التَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ، وَقِيلَ: الدَّرُّ مَا يُرَى فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ مِنَ الْهَبَاءِ.
فِي أَنْ قُلْتُ: حَسَنَاتُ الْكَافِرِ مُحْبَطَةٌ بِالْكَفْرِ، وَسَيِّئَاتُ الْمُؤْمِنِ مَعْفُودَةٌ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، فَمَا مَعْنَى الْجَزَاءِ بِمَثَاقِيلِ الدَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؟ قُلْتُ: الْمَعْنَى: فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا: مِنْ فَرِيقِ السُّعْدَاءِ. وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا: مِنْ فَرِيقِ الْأَشْقِيَاءِ، لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾⁷.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "مَنْ قَرَأَ سُورَةً إِذَا [زُذِّلَتْ] أَرْبَعَ مَرَّاتٍ
كَانَ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ".

مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدِيْنَةٌ، وَأَيَّامُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ
تَزَلَّتْ بَعْدَ [العَصْرِ]

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ
جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا
يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ إِلَىٰ قَبْرِ أَبِي سَعْدٍ وَهُوَ بِأَهْلِهَا يَلْقَىٰ رَبَّهُمْ فَقَالَ يَا أبا سَعْدٍ إِنِّي بُعِثْتُ
إِلَيْكُمْ فَيَوْمِئِذٍ لَّخَيْرٌ ﴿١﴾﴾

أَقْسَمَ بِخَيْلِ الْعُرَاةِ تُعَدُّو فِتْضِيحُ. وَالضَّبْحُ: صَوْتُ أَنْفَاسِهَا إِذَا عَدَوْنَ.
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَكَاهُ فَقَالَ: أَحْ أَح.
قَالَ عَنَّتَرَةُ:

وَالخَيْلُ تَكْدَحُ حِينَ تَضُ بِحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ضَبْحًا

وَأَنْتِصَابُ ضَبْحًا عَلَى: يَضْبَحُنْ ضَبْحًا، أَوْ بِالْعَادِيَاتِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالضَّابِحَاتِ، لِأَنَّ
الضَّبْحَ يَكُونُ مَعَ الْعَدْوِ. أَوْ عَلَى الْحَالِ، أَي: ضَابِحَاتِ "فَالْمُورِيَاتِ" تُورِي نَارَ الْحُبَابِ،
وَهِيَ مَا يَنْفَدُحُ مِنْ حَوَافِرِهَا.

¹ سورة ، الآية .

﴿قَدَحًا﴾¹ قَادِحَاتٍ صَاكَّاتٍ بِحَوَافِرِهَا الْحِجَارَةَ. وَالْقُدْحُ: الصَّكُّ. وَالْإِيرَاءُ: إِخْرَاجُ النَّارِ. تَقُولُ: قَدَحَ فَأَوْرَى، وَقَدَحَ فَأَصْلَدَ، وَأَنْتَصَبَ قَدْحًا بِمَا أَنْتَصَبَ بِهِ ضَبْحًا.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾²: تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ "صَبْحًا" فِي وَقْتِ الصُّبْحِ.

﴿فَأَنْزَنَ بِهِ نَفْعًا﴾³: فَهَيَّجَنَ بِذَلِكَ الْوَقْتِ غُبَارًا، ﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ﴾⁴ بِذَلِكَ الْوَقْتِ، أَوْ بِالنَّفْعِ، أَي: وَسَّطَنَ النَّفْعَ الْجَمْعَ. أَوْ فَوَسَّطَنَ مُلْتَبِسَاتٍ بِهِ، ﴿جَمْعًا﴾⁵: مِنْ جُمُوعِ الْأَعْدَاءِ. وَوَسَّطَهُ بِمَعْنَى تَوَسَّطَهُ. وَقِيلَ: الصَّمِيرُ لِمَكَانِ الْعَارَةِ. وَقِيلَ: لِلْعَدُوِّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾⁶.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالنَّفْعِ: الصِّيَاحُ، مِنْ قَوْلِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "مَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ وَلَا لَفْلَقَةٌ".

وَقَوْلِ لَبِيدٍ:

فَمَتَى يَنْفَعُ صُرَاخُ صَادِقٍ

أَي: فَهَيَّجَنَ فِي الْمَغَارِ عَلَيْهِمْ صِيحًا وَجَلَبَةً. وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: "فَأَنْزَنَ" بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَى: فَأَظْهَرَ بِهِ غُبَارًا، لِأَنَّ التَّأثيرَ فِيهِ مَعْنَى الْإِظْهَارِ. أَوْ قَلَبَ ثَوْرَنَ إِلَى وَثْرَنَ، وَقَلَبَ الْوَاوَ هَمْزَةً، وَفَرَى: "فَوَسَّطَنَ" بِالتَّشْدِيدِ لِلتَّعْدِيَةِ. وَالْبَاءُ مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَتُوا بِهِ﴾⁷ [البقرة: 255]. وَهِيَ مُبَالَغَةٌ فِي وَسَّطَنَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُنْتُ جَالِسًا فِي الْحَجْرِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عَنْ ﴿وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا﴾⁸، فَفَسَّرْتُهَا بِالْخَيْلِ، فَذَهَبَ إِلَيَّ عَلِيٌّ وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زَمْرَمَ فَسَأَلَهُ وَذَكَرَ لَهُ مَا قُلْتُ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: تُفْنِي النَّاسَ بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِأَوَّلِ غَزْوَةٍ فِي الْإِسْلَامِ بَدْرٌ، وَمَا كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ: فَرَسُ الرَّبِيرِ وَفَرَسُ لِمَقْدَادِ.

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾¹: الإِبِلُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُرْدَلِفَةِ ، وَمِنْ الْمُرْدَلِفَةِ إِلَى مَيْيَ ، فَإِنَّ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ فَقَدْ اسْتَعِيرَ الصَّبْحُ لِلإِبِلِ ، كَمَا اسْتَعِيرَ الْمَشَافِرُ وَالْحَافِرُ لِلإِنْسَانِ ، وَالشَّفَقَاتِ لِلْمُهْرِ ، وَالشَّعْرُ لِلثُّورَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَقِيلَ: الصَّبْحُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْفَرَسِ وَالْكَلْبِ وَالثَّغْلَبِ . وَقِيلَ: الصَّبْحُ بِمَعْنَى الصَّبْحِ ، يُقَالُ: صَبَحَتِ الإِبِلُ وَصَبَعَتْ: إِذَا مَدَّتْ أَضْبَاعَهَا فِي السَّبْرِ ، وَلَيْسَ بِثَبَّتٍ . وَجُمِعَ: هُوَ الْمُرْدَلِفَةُ .

فَإِنَّ قُلْتَ: عَلَامَ عَطَفَ ﴿فَأَثَرْنَ﴾²؟ قُلْتُ: عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي وُضِعَ اسْمُ الْفَاعِلِ مَوْضِعَهُ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَاللَّاتِي عَدُونَ فَأَوْرَيْنَ ، فَأَعْرَنَ فَأَثَرْنَ . الْكُنُودُ: الْكُفُورُ . وَكُنْدَ النَّعْمَةِ كُنُودًا . وَمِنْهُ سُمِّيَ: كُنْدُهُ؛ لِأَنَّهُ كُنْدَ أَبَاهُ فَفَارَقَهُ .

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: الْكُنُودُ بِلِسَانِ كُنْدَةَ: الْعَاصِي ، وَبِلِسَانِ بَنِي مَالِكٍ: الْبَخِيلُ ، وَبِلِسَانِ 2 مُضَرٍّ وَرَبِيعَةَ: الْكُفُورُ ، يَعْنِي: أَنَّهُ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ خُصُوصًا لَشَدِيدِ الْكُفْرَانِ ، لِأَنَّ تَفْرِيطَهُ فِي شُكْرِ نِعْمَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَفْرِيطٌ قَرِيبٌ لِمُقَارَبَةِ النَّعْمَةِ ، لِأَنَّ أَجَلَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ مِثْلِهِ نِعْمَةٌ أَبْوَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّ عَظْمَانَهَا فِي جَنْبِ أَدْنَى نِعْمَةِ اللَّهِ قَلِيلَةٌ ضَائِلَةٌ .

﴿وَإِنَّهُ﴾³: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ "عَلَى ذَلِكَ" عَلَى كُنُودِهِ "لَشَهِيدٌ" يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْحَدَهُ لِظُهُورِ أَمْرِهِ . وَقِيلَ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُنُودِهِ لَشَهِيدٌ عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ . "الْخَيْرِ" الْمَالُ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾⁴ [البقرة: 180] . وَالشَّدِيدُ: الْبَخِيلُ الْمُمْسِكُ . يُقَالُ: فَلَانَ شَدِيدًا وَمُتَشَدِّدًا . قَالَ طَرَفَةُ:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

يَعْنِي: وَإِنَّهُ لِأَجْلِ حُبِّ الْمَالِ وَأَنَّ إِنْفَاقَهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ: لَبَخِيلٌ مُمْسِكٌ . أَوْ أَرَادَ بِالشَّدِيدِ: الْقَوِيَّ ، وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْمَالِ وَإِيثارِ الدُّنْيَا وَطَلَبِهَا قَوِيٌّ مُطِيقٌ ، وَهُوَ لِحُبِّ عِبَادَةِ اللَّهِ وَشُكْرِ نِعْمَتِهِ ضَعِيفٌ مُتَقَاعَسٌ . تَقُولُ: هُوَ شَدِيدٌ لِهَذَا الْأَمْرِ ، وَقَوِيٌّ لَهُ: إِذَا كَانَ مُطِيقًا لَهُ صَابِطًا . أَوْ أَرَادَ: أَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرَاتِ غَيْرِ هَشٍّ مُنْبَسِطٍ ، وَلَكِنَّهُ مُنْقَبِضٌ .

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

﴿بُعِثَ﴾¹: بُعِثَ. وَقُرِئَ: "بُحِثِرَ" وَبُحِثَ، وَبُحِثِرَ. وَحُصِّلَ: عَلَى بِنَائِهِمَا لِلْفَاعِلِ.
وَحُصِّلَ: بِالتَّخْفِيفِ.
وَمَعْنَى ﴿حُصِّلَ﴾²: جُمِعَ فِي الصُّحُفِ، أَي: أُظْهِرَ مُحْصَلًا مَجْمُوعًا. وَقِيلَ: مُيِّرَ
بَيْنَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمُنْخُلِ: الْمَحْصَلُ.
وَمَعْنَى عِلْمِهِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مُجَازَاتُهُ لَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَثَرَ خَيْرِهِ
بِهِمْ. وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: "إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ".
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [وَالْعَادِيَاتِ] أُعْطِيَ
مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ بَاتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَشَهِدَ جَمْعًا".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا
تَزَلَّتْ بَعْدَ [قُرَيْشٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَتْهُ
نَارٌ حَامِيَةٌ﴾¹

الظَّرْفُ نُصِبَ بِمُضْمَرٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَارِعَةُ، أَي: تَقْرَعُ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ﴾² شَبَّهَهُمْ بِالْفَرَاشِ فِي الْكَثْرَةِ وَالِانْتِشَارِ وَالضَّعْفِ وَالذَّلَّةِ، وَالتَّطَايُرِ إِلَى الدَّاعِي مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ، كَمَا يَتَطَايَرُ الْفَرَاشُ إِلَى النَّارِ.
قَالَ جَرِيرٌ:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ مَا عَلِمْتُ وَقَوْمَهُ مِثْلَ الْفَرَاشِ عَشِينَ نَارَ الْمُصْطَلِي
وَفِي أُمَّتَالِهِمْ: أَضَعُفٌ مِنْ فَرَاشَةٍ وَأَذَلُّ وَأَجْهَلُ. وَسُمِّيَ فَرَاشًا: لِتَفَرُّشِهِ وَانْتِشَارِهِ.
وَشَبَّهَ الْجِبَالَ بِالْعِهْنِ، وَهُوَ الصُّوفُ الْمُصْبَغُ الْوَانَا، لِأَنَّهَا أَلْوَانٌ، وَبِالْمَنْفُوشِ مِنْهُ، لِتَفَرُّقِ
أَجْزَائِهَا. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "كَالِصُّوفِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

المَوَازِينُ: جَمْعُ مَوْزُونٍ وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي لَهُ وَزْنٌ وَخَطَرٌ عِنْدَ اللَّهِ. أَوْ جَمْعُ مِيزَانٍ.
وَتَقْلَهَا: رُجْحَانُهَا.

وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ لِعَمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ: "وَإِنَّمَا تَقُلْتُ مَوَازِينَ
مَنْ تَقُلْتُ مَوَازِينُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْحَقَّ وَتَقْلَهَا فِي الدُّنْيَا، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا تُوضَعُ فِيهِ
إِلَّا الْحَسَنَاتُ أَنْ يَثْقُلَ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ لِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفَّتْهَا فِي
الدُّنْيَا، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا تُوضَعُ فِيهِ السَّيِّئَاتُ أَنْ يَخِفَّ".

﴿فَأُمُّ هَاوِيَةَ﴾¹ مِنْ قَوْلِهِمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى الرَّجُلِ بِالْهَلَكَةِ: هَوَتْ أُمُّهُ، لِأَنَّهُ إِذَا هَوَى
أَيُّ: سَقَطَ وَهَلَكَ، فَقَدْ هَوَتْ أُمُّهُ تُكَلًّا وَخُرْنًا.

قَالَ:

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلُ حِينَ يَثُوبُ
فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَقَدْ هَلَكَ. وَقِيلَ: "هَاوِيَةٌ" مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَكَأَنَّهَا
النَّارُ الْعَمِيقَةُ لِهَوَى أَهْلِ النَّارِ فِيهَا مَهْوَى بَعِيدًا، كَمَا رُوِيَ: "يَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا" أَيُّ:
فَمَا وَاهُ النَّارِ. وَقِيلَ: لِلْمَأْوَى: أُمُّ، عَلَى التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ الْأُمَّ مَأْوَى الْوَلَدِ وَمَفْرَعُهُ.
وَعَنْ قَتَادَةَ: فَأُمُّ هَاوِيَةَ، أَيُّ: فَأُمُّ رَأْسِهِ هَاوِيَةٌ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، لِأَنَّهُ يُطْرَحُ فِيهَا
مَنْكُوسًا.

"هِيَّة": ضَمِيرُ الدَّاهِيَةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿فَأُمُّ هَاوِيَةَ﴾² فِي التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ. أَوْ
ضَمِيرُ هَاوِيَةَ، وَالْهَاءُ لِلسَّكْتِ، وَإِذَا وَصَلَ الْقَارِئُ حَذَفَهَا. وَقِيلَ: حَقُّهُ أَنْ لَا يُدْرَجَ لِنَلَا
يُسْقَطُهَا الْإِدْرَاجُ، لِأَنَّهَا ثَابِتَةٌ فِي الْمُصْحَفِ. وَقَدْ أُجِيزَ اثْبَاتُهَا مَعَ الْوَصْلِ .
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْفَارِعَةِ] ثَقَّلَ اللَّهُ بِهَا
مِيزَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا 8 تَزَلَّتْ بَعْدَ [الْكَوْثَرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَآئِمُّ التَّكَآثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ
تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ
ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾¹

أَلْهَاهُ عَن كَدًّا وَأَقْفَاهُ: إِذَا شَغَلَهُ.

وَ"التَّكَآثُرُ": التَّبَارِي فِي الْكُثْرَةِ وَالتَّبَاهِي بِهَا، وَأَنْ يَقُولَ هُوَآءِ: نَحْنُ أَكْثَرُ، وَهُوَآءِ:
نَحْنُ أَكْثَرُ.

رُوِيَ أَنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي سَهْمٍ تَفَاخَرُوا أَيُّهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا، فَكَثَرْتُهُمْ بَنُو عَبْدِ
مَنَافٍ فَقَالَتْ بَنُو سَهْمٍ: إِنَّ الْبَغْيَ أَهْلَكَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَعَادُونَا بِالْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ،
فَكَثَرْتُهُمْ بَنُو سَهْمٍ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّكُمْ تَكَآثَرْتُمْ بِالْأَحْيَاءِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْعَبْتُمْ عَدَدَهُمْ صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ
فَتَكَآثَرْتُمْ بِالْأَمْوَاتِ: عَبَّرَ عَن بُلُوغِهِمْ ذِكْرَ الْمَوْتِ بِزِيَارَةِ الْمَقَابِرِ تَهَكُّمًا بِهِمْ. وَقِيلَ: كَانُوا
يَزُورُونَ الْمَقَابِرَ فَيَقُولُونَ: هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ، وَهَذَا قَبْرُ فُلَانٍ عِنْدَ تَفَاخُرِهِمْ. وَالْمَعْنَى: أَلْهَآئِكُمْ
ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّا لَا يَعِينُكُمْ وَلَا يُجِدِي عَلَيْكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ عَمَّا يُعِينُكُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ
الَّذِي هُوَ أَهْمٌ وَأَعْنَى مِنْ كُلِّ مُهِمٍّ. أَوْ أَرَادَ أَلْهَآئِكُمْ التَّكَآثُرُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ إِلَى أَنْ مُتُّم

¹ سورة ، الآية .

وَقُفِرْتُمْ. مُنْفِقِينَ أَعْمَارَكُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْإِسْتِيقَاقِ إِلَيْهَا وَالتَّهَالُكِ عَلَيْهَا، إِلَى أَنْ أَتَاكُمْ
المَوْتُ لَا هَمَّ لَكُمْ غَيْرَهَا، عَمَّا هُوَ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ السَّعْيِ لِعَاقِبَتِكُمْ وَالْعَمَلِ لِآخِرَتِكُمْ. وَزِيَارَةُ
القُبُورِ: عِبَارَةٌ عَنِ المَوْتِ.
قَالَ:

لَنْ يُخْلِصَ العَامَ خَلِيلٌ عِشْرًا ذَاقَ الصَّمَادَ أَوْ يَزُورَ القُبُورَا
وَقَالَ:

زَارَ القُبُورَ أَبُو مَالِكٍ فَأَصْبَحَ أَلَمَ زُورِهَا
وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَلْهَاكُمْ"؟ عَلَى الإِسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّفْهِيمُ.
﴿كَلَّا﴾¹: رَدْعٌ وَتَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ لِنَفْسِهِ أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا جَمِيعَ هَمِّهِ
وَلَا يَهْتَمَّ بِدِينِهِ.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾² إِندَارٌ لِيَخَافُوا فَيَتَنَبَّهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ. وَالتَّكْرِيرُ: تَأْكِيدٌ لِلرَّدْعِ
وَالْإِنْدَارِ عَلَيْهِمْ.

﴿ثُمَّ﴾³ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الإِنْدَارَ الثَّانِي أْبْلَغُ مِنَ الأوَّلِ وَأَشَدُّ، كَمَا تَقُولُ لِلْمَنْصُوحِ:
أَقُولُ لَكَ ثُمَّ أَقُولُ لَكَ: لَا تَفْعَلْ، وَالْمَعْنَى: سَوْفَ تَعْلَمُونَ الخَطَأَ فِيمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَايَنْتُمْ
مَا قُدَّامَكُمْ مِنْ هَوْلِ لِقَاءِ اللّهِ، وَإِنَّ هَذَا التَّنْبِيهُ نَصِيحَةٌ لَكُمْ وَرَحْمَةٌ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ كَرَّرَ التَّنْبِيهِ
أَيْضًا.

وَقَالَ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾⁴ مَحذُوفُ الجَوَابِ، يَعْنِي: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا بَيَّنَّ أَيْدِيَكُمْ عِلْمَ
الأَمْرِ اليَقِينِ، أَي: كَعْلَمِكُمْ مَا تَسْتَيْقِنُونَهُ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي وَكَلْتُمْ بِعَمَلِهَا هِمَمَكُمْ: لَفَعَلْتُمْ مَا
لَا يُوصَفُ وَلَا يُكْتَنَهُ، وَلَكِنِّكُمْ ضَلَالٌ جَهْلَةٌ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾⁵، فَبَيَّنَ لَهُمْ مَا أَنْذَرَهُمْ مِنْهُ وَأَوْعَدَهُمْ بِهِ، وَقَدْ مَرَّ مَا فِي
إِبْصَاحِ الشَّيْءِ بَعْدَ إِهْامِهِ مِنْ تَفْخِيمِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَهُوَ جَوَابُ قَسَمِ مَحذُوفٍ، وَالْقَسَمُ لِتَوْكِيدِ

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

الْوَعِيدِ، وَأَنَّ مَا أُوْعِدُوا بِهِ مَا لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلرَّيْبِ، وَكَرَّرَهُ مَعْطُوفًا بِثُمَّ تَغْلِيظًا فِي التَّهْدِيدِ وَزِيَادَةً فِي التَّهْوِيلِ. وَفَرِيءٌ: "لَتَرْوُنَّ" بِالْهَمْزِ وَهِيَ مُسْتَكْرَهَةٌ. فَإِنْ قُلْتُ: لِمَ اسْتَكْرَهْتَ وَالْوَاوُ الْمَضْمُومَةُ قَبْلَهَا هَمْزَةٌ قِيَاسٌ مُطْرَدٌ؟ قُلْتُ: ذَلِكَ فِي الْوَاوِ الَّتِي صَمَّتْهَا لَازِمَةٌ، وَهَذِهِ عَارِضَةٌ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ. وَفَرِيءٌ: "لَتَرْوُنَّ" وَلَتَرْوُنَّهَا: عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾¹، أَي: الرُّؤْيَةُ الَّتِي هِيَ نَفْسُ الْيَقِينِ وَخَالِصَتُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالرُّؤْيَةِ: الْعِلْمُ وَالْإِبْصَارُ.

﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾²: عَنِ اللَّهْوِ وَالتَّنَعُّمِ الَّذِي شَغَلَكُمْ الْإِلْتِدَادُ بِهِ عَنِ الدِّينِ وَتَكَالِيفِهِ. فَإِنْ قُلْتُ: مَا النَّعِيمُ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ وَيُعَاتَبُ عَلَيْهِ؟ فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ نَعِيمٌ؟ قُلْتُ: هُوَ نَعِيمٌ مَنْ عَكَفَ هِمَّتَهُ عَلَى اسْتِيفَاءِ اللَّذَاتِ، وَلَمْ يَعِشْ إِلَّا لِيَأْكُلِ الطَّيِّبَ وَيَلْبَسَ اللَّيِّنَ، وَيَقْطَعَ أَوْقَاتَهُ بِاللَّهْوِ وَالطَّرْبِ، لَا يَعْبَأُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يُحْمَلُ نَفْسَهُ مَشَاقِقَهُمَا، فَأَمَّا مَنْ تَمَتَّعَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَأَرْزَاقِهِ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْهَا إِلَّا لِعِبَادِهِ، وَتَقَوَّى بِهَا عَلَى دِرَاسَةِ الْعِلْمِ وَالْقِيَامِ بِالْعَمَلِ، وَكَانَ نَاهِضًا بِالشُّكْرِ: فَهُوَ مِنْ ذَلِكَ بِمَعْرَلٍ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يُرْوَى: أَنَّهُ أَكَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ تَمْرًا وَشَرِبُوا عَلَيْهِ مَاءً، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ بِالنَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَعْطِي مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا ثَلَاثٌ تَزَلَّتْ بَعْدَ [الشَّرْحِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾¹

أَفْسَمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ لِفَضْلِهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: صَلَاةُ الْعَصْرِ، فِي مُصْحَفِ حَفْصَةَ. وَقَوْلُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ"; وَلِأَنَّ التَّكْلِيفَ فِي أَدَائِهَا أَشَقُّ لِسَهَابَةِ النَّاسِ فِي تِجَارَاتِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمْ آخِرَ النَّهَارِ، وَاشْتِعَالِهِمْ بِمَعَايِشِهِمْ. أَوْ أَفْسَمَ بِالْعَشِيِّ كَمَا أَفْسَمَ بِالضُّحَى لِمَا فِيهِمَا جَمِيعًا مِنْ دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ. أَوْ أَفْسَمَ بِالزَّمَانِ لِمَا فِي مُرُورِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَجَائِبِ. وَالْإِنْسَانُ: لِلْجِنْسِ. وَالْخُسْرُ: الْخُسْرَانُ، كَمَا قِيلَ: الْكُفْرُ فِي الْكُفْرَانِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ النَّاسَ فِي خُسْرَانٍ مِنْ تِجَارَتِهِمْ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَحَدَهُمْ، لِأَنَّهُمْ اشْتَرَوْا الْآخِرَةَ بِالْدُّنْيَا، فَرَبِحُوا وَسَعِدُوا، وَمِنْ عَدَاهُمْ تَجَرُّوا خِلَافَ تِجَارَتِهِمْ، فَوَقَعُوا فِي الْخَسَارَةِ وَالشَّقَاوَةِ.

¹ سورة ، الآية .

﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾¹: بِالْأَمْرِ الثَّابِتِ الَّذِي لَا يَسُوغُ انْكَارَهُ، وَهُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ: مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾² عَنِ الْمَعَاصِي وَعَلَى الطَّاعَاتِ، عَلَى مَا يَبْلُو اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [وَالْعَصْرِ] غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَكَانَ مِمَّنْ تَوَاصَى بِالْحَقِّ وَتَوَاصَى بِالصَّبْرِ".

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا تَسَعُّ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْقِيَامَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي
الْحُطْمَةِ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾¹

الهُمَزُ: الْكَسْرُ، كَالْهُزْمِ. وَاللُّمَزُ: الطَّعْنُ. يُقَالُ: لَمَزَهُ وَلَهَزَهُ طَعَنَهُ، وَالْمُرَادُ: الْكَسْرُ
مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالغَضُّ مِنْهُمْ، وَاعْتِبَائُهُمْ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ، وَبِنَاءِ "فُعَلَّةٌ" يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ
عَادَةٌ مِنْهُ قَدْ ضَرَبَ بِهَا. وَنَحْوُهُمَا: اللُّعْنَةُ وَالضُّحْكَةُ.
قَالَ:

وَإِنْ أُغْيِبَ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ

وَقُرِئَ: وَيْلٌ لِلْهُمَزَةِ اللَّمَزَةِ". وَقُرِئَ: "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ" بِسُكُونِ الْمِيمِ: وَهُوَ
الْمُسْحَرَةُ الَّذِي يَأْتِي بِالْأَوَابِدِ وَالْأَصْحَابِكِ فَيُضْحِكُ مِنْهُ، وَيَشْتُمُ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ
بْنِ شَرِيْقٍ وَكَانَتْ عَادَتُهُ الْعِيبَةَ وَالْوَقِيعَةَ. وَقِيلَ: فِي أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ. وَقِيلَ: فِي الْوَلِيدِ بْنِ
الْمُعْبِرَةِ وَاعْتِبَائِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَضَّهُ مِنْهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ
خَاصًّا وَالْوَعِيدُ عَامًّا، لِيَتَنَاوَلَ كُلٌّ مَنْ بَاشَرَ ذَلِكَ الْفَبِيْحَ، وَلِيَكُونَ جَارِيًا مَجْرَى التَّعْرِيضِ

¹ سورة ، الآية .

بِالْوَارِدِ فِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَرْجُزٌ لَهُ وَأَنْكَى فِيهِ "الَّذِي" بَدَلٌ مِنْ كُلِّ. أَوْ نُصِبَ عَلَى الدَّمِّ. وَقُرِئَ: "جَمَعَ" بِالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِعَدَدِهِ. وَقِيلَ: "عَدَدُهُ" جَعَلَهُ عِدَّةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ. وَقُرِئَ: "وَعَدَدُهُ" أَي: جَمَعَ الْمَالَ وَضَبَطَ عَدَدَهُ وَأَخْصَاهُ. أَوْ جَمَعَ مَالَهُ وَقَوْمَهُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُ، مِنْ قَوْلِكَ: فَلَانَ ذُو عَدَدٍ وَعَدَدٍ: إِذَا كَانَ لَهُ عَدَدٌ وَافِرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَا يُصْلِحُهُمْ. وَقِيلَ: "وَعَدَدُهُ" مَعْنَاهُ: وَعَدَّهُ عَلَى فَكِّ الْإِدْغَامِ، نَحْوُ: ضَنُّوا .

﴿أَخْلَدَهُ﴾¹ وَخَلَّدَهُ بِمَعْنَى؛ أَي: طَوَّلَ الْمَالَ أَمَلَهُ، وَمَنَاهُ الْأَمَانِيَّ الْبَعِيدَةَ، حَتَّى أَصْبَحَ لِفَرْطِ غَفْلَتِهِ وَطَوَّلِ أَمَلِهِ يَحْسَبُ أَنَّ الْمَالَ تَرَكَهُ خَالِدًا فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُ. أَوْ يَعْمَلُ مِنْ تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ الْمُوتَقِ بِالصَّخْرِ وَالْأَجْرُ وَعَرَسِ الْأَشْجَارِ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ: عَمَلٌ مَنْ يَطْنُ أَنْ مَالَهُ أَبْقَاهُ حَيًّا. أَوْ هُوَ تَعْرِيزٌ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخْلَدَ صَاحِبَهُ فِي التَّعِيمِ، فَأَمَّا الْمَالَ فَمَا أَخْلَدَ أَحَدًا فِيهِ.

وَرُوي أَنَّهُ كَانَ لِلْأَخْنَسِ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ. وَقِيلَ: عَشْرَةُ آلَافٍ. وَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّهُ عَادَ مُوسِرًا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي أُلُوفٍ لَمْ أَفْتَدِ بِهَا مِنْ لَيْمٍ وَلَا تَفَصَّلْتُ عَلَى كَرِيمٍ؟ قَالَ: وَلَكِنْ لِمَاذَا؟ قَالَ: لِنَبْوَةِ الزَّمَانِ، وَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ، وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ. وَمَخَافَةِ الْفَقْرِ. قَالَ: إِذْ ن تَدْعُهُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ، وَتَرُدُّ عَلَى مَنْ لَا يَغْدُرُكَ.

﴿كَأَلَا﴾²: رَدَّعَ لَهُ عَنْ حُسْبَانِهِ.

وَقُرِئَ: "الْيُنْبَذَانِ"، أَي: هُوَ وَمَالُهُ. وَلْيُنْبَذَنَّ، بِضَمِّ الدَّالِ، أَي: هُوَ وَأَنْصَارُهُ. وَلْيُنْبَذَنَّهُ ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾³: فِي النَّارِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْطِمَ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيهَا. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: إِنَّهُ لِحُطْمَةٌ.

وَقُرِئَ: "الْحَاطِمَةِ"، يَعْنِي أَنَّهَا تَدْخُلُ فِي أَجْوَابِهِمْ حَتَّى تَصِلَ إِلَى صُدُورِهِمْ وَتَطَّلِعَ عَلَى أَفْنِدَتِهِمْ، وَهِيَ أَوْسَاطُ الْقُلُوبِ، وَلَا شَيْءَ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ أَلْطَفُ مِنَ الْقُوَادِ، وَلَا أَشَدُّ تَأَلُّمًا مِنْهُ بِأَذَى يَمْسُهُ، فَكَيْفَ إِذَا اطَّلَعَتْ عَلَيْهِ نَارُ جَهَنَّمَ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؟!

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَخُصَّ الْأَفْعِدَةَ، لِأَنَّهَا مَوَاطِنُ الْكُفْرِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالنِّيَّاتِ الْخَبِيثَةِ.
وَمَعْنَى اِطَّلَاعِ النَّارِ عَلَيْهَا: أَنَّهَا تَعْلُوهَا وَتَغْلِبُهَا وَتَشْتَمِلُ عَلَيْهَا. أَوْ تُطَالِعُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ
مَعَادِنَ مُوجِبَهَا.

﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾¹: مُطَبَّقَةٌ.

قَالَ:

تَحِنُّ إِلَى أَجْبَالِ مَكَّةَ نَاقَتِي وَمِنْ ذُونِهَا أَبْوَابُ صَنْعَاءَ مُؤَصَّدَةٌ
وَقُرِيءَ: "فِي عُمْدٍ بِضَمَّتَيْنِ. وَعُمْدٌ، بِسُكُونِ الْمِيمِ. وَعُمْدٌ بِفَتْحَتَيْنِ.
وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُؤَكِّدُ يَأْسَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ وَتَيَقُّنُهُمْ بِحَبْسِ الْأَبَدِ، فَتُؤَصَّدُ عَلَيْهِمُ
الْأَبْوَابُ وَتُمَدَّدُ عَلَى الْأَبْوَابِ الْعُمْدُ، اسْتِثْنَاءً فِي اسْتِثْنَاءٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهَا
عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ، مُؤْتَقِينَ فِي عُمْدٍ مُمَدَّدَةٍ مِثْلَ الْمَقَاطِرِ الَّتِي تُفْطَرُ فِيهَا اللَّصُوصُ. اللَّهُمَّ أَجْرْنَا
مِنَ النَّارِ يَا خَيْرَ مُسْتَجَارٍ.
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْهُمَزَةَ] أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ
حَسَنَاتٍ بَعْدَ مِنْ اسْتَهْزَأَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ".

¹ سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، آيَاتُهَا خَمْسٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْكَافِرُونَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ
فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ﴾¹

رُوي أَنَّ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ الْأَشْرَمَ مَلِكَ الْيَمَنِ مِنْ قَبْلِ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ بَنَى
كَيْسَةَ بِصَنْعَاءَ وَسَمَّاهَا الْقُلَيْسَ، وَأَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ إِلَيْهَا الْحَاجَّ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ فَقَعَدَ
فِيهَا لَيْلًا، فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ. وَقِيلَ: أَجْبَحَتْ رُفْقَةً مِنَ الْعَرَبِ نَارًا فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَأَخْرَقَتْهَا،
فَحَلَفَ لِيَهْدِمَنَّ الْكُعْبَةَ، فَخَرَجَ بِالْحَبَشَةِ وَمَعَهُ فِيلٌ لَهُ اسْمُهُ مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَوِيًّا عَظِيمًا، وَاتْنَا
عَشَرَ فَيْلًا غَيْرُهُ. وَقِيلَ: ثَمَانِيَّةٌ. وَقِيلَ: كَانَ مَعَهُ أَلْفُ فَيْلٍ، وَكَانَ وَحْدَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُعَمَّسَ
خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ أَمْوَالٍ تِهَامَةَ لِيَرْجِعَ، فَأَبَى وَعَبَأَ جَيْشَهُ وَقَدَّمَ
الْفَيْلَ، فَكَانُوا كُلَّمَا وَجَّهُوهُ إِلَى الْحَرَمِ بَرَكَ وَلَمْ يَبْرَحْ، وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى الْيَمَنِ أَوْ إِلَى غَيْرِهَا
مِنَ الْجِهَاتِ هَرُوْلٌ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ طَيْرًا سَوْدًا. وَقِيلَ: حُضْرًا. وَقِيلَ: بَيْضًا، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ حَجْرٌ
فِي مَنْقَارِهِ، وَحَجْرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَكْبَرُ مِنَ الْعَدَسَةِ وَأَصْغَرُ مِنَ الْحِمِّصَةِ.

¹ سورة ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ رَأَى مِنْهَا عِنْدَ أُمِّ هَانِيٍّ قَفِيرًا مُخَطَّطَةً بِحُمْرَةِ كَالجَزَعِ الطَّفَارِيِّ، فَكَانَ الْحَجْرُ يَقَعُ عَلَى رَأْسِ الرَّجُلِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذُبْرِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَجْرٍ اسْمٌ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ، فَفَرُّوا فَهَلَكُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَمَنْهَلٍ، وَدَوَى أَبْرَهُهُ فَتَسَاقَطَتْ أَنَامِلُهُ وَآرَابُهُ، وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ. وَانْفَلَتَ وَزِيرُهُ أَبُو يَكْسُومَ وَطَائِرُهُ يُحَلِّقُ فَوْقَهُ، حَتَّى بَلَغَ النَّجَاشِيَّ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَلَمَّا أَتَمَّهَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْحَجْرُ فَخَرَّ مَيِّتًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَقِيلَ: كَانَ أَبْرَهُهُ جَدَّ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ أَعْمِيَيْنِ مُفْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ. وَفِيهِ أَنَّ أَبْرَهُهُ أَخَذَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِائَتِي بَعِيرٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِيهَا، فَجَهَرَهُ وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا. وَقِيلَ: هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَصَاحِبُ عِيرِ مَكَّةَ الَّذِي يُطْعِمُ النَّاسَ فِي السَّهْلِ وَالْوُحُوشِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَلَمَّا ذَكَرَ حَاجَتَهُ قَالَ: سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِي، جِئْتُ لِأَهْدِمَ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ وَعِصْمَتُكُمْ وَشَرَفُكُمْ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، فَأَلْهَاكَ عَنْهُ ذَوْدٌ أَخَذَ لَكَ، فَقَالَ أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَلِلْبَيْتِ رَبٌّ سَمِنَعُهُ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَتَى بَابَ الْبَيْتِ فَأَخَذَ بِحَلْقَتَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمَّ نَعُ أَهْلُهُ فَا مَنَعَ حَالَكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيَهُمْ وَمِحَالَهُمْ عَدَاؤًا مِحَالَكَ
إِنْ كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَكَغُ بَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

وَمِنْ الرَّجَزِ :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَا مَنَعَ مِنْهُمْ حِمَاكَ
فَالْتَفَتَ وَهُوَ يَدْعُو فَإِذَا هُوَ بِطَيْرٍ مِنْ نَحْوِ الْيَمَنِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَطَيْرٌ غَرِيبَةٌ مَا هِيَ
بِبحْرِيَّةٍ وَلَا تَهَا مِيَّةٍ. وَفِيهِ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدِ اخْتَوَوْا عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَجَمَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ
جَوَاهِرِهِمْ وَذَهَبِهِمُ الْجَوْرَ، وَكَانَ سَبَبَ يَسَارِهِ.
وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الطَّيْرِ، فَقَالَ:
حَمَامٌ مَكَّةَ مِنْهَا. وَقِيلَ: جَاءَتْ عَشِيَّةً ثُمَّ صَبَّحَتْهُمْ.

وَعَنْ عِكْرَمَةَ: مَنْ أَصَابَتْهُ جَدْرَتُهُ وَهُوَ أَوَّلُ جُدْرِيٍّ ظَهَرَ. وَفُرِيٌّ: أَلَمْ تَرَ بِسُكُونِ الرَّاءِ
لِلْجِدِّ فِي إِظْهَارِ أَثَرِ الْجَازِمِ.
وَالْمَعْنَى: أَنْكَ رَأَيْتَ آثَارَ فِعْلِ اللَّهِ بِالْحَبَشَةِ، وَسَمِعْتَ الْأَخْبَارَ بِهِ مُتَوَاتِرَةً، فَقَامَتْ
لَكَ مَقَامَ الْمُشَاهَدَةِ.

وَ﴿كَيْفَ﴾¹ فِي مَوْضِعِ نَصْبِ بِ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾²، لَا بِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾³، لِمَا فِي
﴿كَيْفَ﴾⁴ مِنْ مَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ ﴿فِي تَضْلِيلِ﴾⁵ فِي تَضْيِيعٍ وَإِبْطَالٍ. يُقَالُ: ضَلَّلَ كَيْدَهُ، إِذَا
جَعَلَهُ ضَالًّا ضَائِعًا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾⁶ [غَافِرٍ:
25].

وَقِيلَ: لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ الْمَلِكِ الضَّلِيلِ، لِأَنَّهُ ضَلَّلَ مُلْكَ أَبِيهِ، أَي: ضَيَّعَهُ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ
كَادُوا الْبَيْتَ أَوْلًا بِنَاءِ الْقَلْبِيسِ، وَأَزَادُوا أَنْ يَنْسَخُوا أَمْرَهُ بِصَرْفِ وُجُوهِ الْحَاجِّ إِلَيْهِ فَضَلَّلَ
كَيْدَهُمْ بِإِقْفَاعِ الْحَرِيقِ فِيهِ، وَكَادُوهُ ثَانِيًا بِإِرَادَةِ هَدْمِهِ، فَضَلَّلَ بِإِرْسَالِ الطَّيْرِ عَلَيْهِمْ
﴿أَبَابِيلَ﴾⁷: حَزَائِقُ، الْوَاحِدَةُ: إِبَالَةٌ. وَفِي أَمْثَالِهِمْ: ضَعُثَ عَلَى إِبَالَةٍ، وَهِيَ: الْحَزْمَةُ الْكَبِيرَةُ،
شَبَّهَتِ الْحَزْقَةَ مِنَ الطَّيْرِ فِي تَضَامُّهَا بِالْإِبَالَةِ. وَقِيلَ: أَبَابِيلُ مِثْلُ عِبَادِيدَ، وَشَمَاطِيطٌ لَا وَاحِدَ
لَهَا، وَقَرَأَ أَبُو حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: يَرْمِيهِمْ أَي: اللَّهُ تَعَالَى أَوْ الطَّيْرُ، لِأَنَّهُ اسْمٌ جَمْعٌ
مُدَكَّرٌ، وَإِنَّمَا يُؤَنَّثُ عَلَى الْمَعْنَى. وَسَجَّيْلٌ: كَأَنَّهُ عَلِمَ لِدِيْوَانِ اللَّذِي كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ الْكُفَّارِ،
كَأَنَّ سَجَّيًّا عَلِمَ لِدِيْوَانِ أَعْمَالِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِحِجَارَةٍ مِنْ جُمَّلَةِ الْعَذَابِ الْمَكْتُوبِ
الْمُدَوَّنِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْإِسْجَالِ وَهُوَ الْإِرْسَالُ، لِأَنَّ الْعَذَابَ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ، وَأُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
طَيْرًا، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾⁸ [الْأَعْرَافِ: 133].

- 1 سورة ، الآية .
- 2 سورة ، الآية .
- 3 سورة ، الآية .
- 4 سورة ، الآية .
- 5 سورة ، الآية .
- 6 سورة ، الآية .
- 7 سورة ، الآية .
- 8 سورة ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: مِنْ طِينٍ مَطْبُوحٍ كَمَا يُطْبَخُ الْأَجْرُ. وَقِيلَ: هُوَ مُعَرَّبٌ مِنْ سَنَكْكَلٍ. وَقِيلَ: مِنْ شَدِيدِ عَذَابِهِ، وَرَوَوْا بَيْتَ ابْنِ مَعْقِلٍ:

ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِيلاً

وَإِنَّمَا هُوَ سَجِينًا، وَالْقَصِيدَةُ نُوبِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ فِي دِيَوَانِهِ، وَشَبَّهُوا بِوَرَقِ الزَّرْعِ إِذَا أُكِلَ، أَيْ: وَقَعَ فِيهِ الْأَكَّالُ: وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَهُ الدُّودُ. أَوْ يَتَّبِعُ أَكَلَتَهُ الدَّوَابُّ وَرَائَتَهُ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ عَلَى مَا عَلَيْهِ آدَابُ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾¹ [الْمَائِدَةِ: 75]. أَوْ أُرِيدَ: أُكِلَ حَبُّهُ فَبَقِيَ صِفْرًا مِنْهُ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْفِيلِ] أَعْفَاهُ اللَّهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ مِنَ الْحَسْفِ وَالْمَسْخِ".

¹ سورة ، الآية .

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَّامُهَا أَرْبَعٌ
تَزَلَّتْ بَعْدَ [التَّيْنِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾¹

﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ﴾² مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: "فَلْيَعْبُدُوا" أَمْرُهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لِأَجْلِ إِيْلَافِهِمْ

الرَّحْلَتَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتُ: فَلِمَ دَخَلَتِ الْفَاءُ؟ قُلْتُ: لِمَا فِي الْكَلَامِ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى:
إِمَّا لَا فَلْيَعْبُدُوهُ لِإِيْلَافِهِمْ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تُحْصَى، فَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ لِسَائِرِ
نِعَمِهِ، فَلْيَعْبُدُوهُ لِهَذِهِ الْوَاحِدَةِ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: عَجِبُوا
لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ. وَقِيلَ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، أَيُّ: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ،
وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ التَّضْمِينِ فِي الشُّعْرِ: وَهُوَ أَنْ يَتَعَلَّقَ مَعْنَى الْبَيْتِ بِالَّذِي قَبْلَهُ تَعَلُّقًا لَا يَصِحُّ إِلَّا
بِهِ، وَهَمَّا فِي مُصْحَفِ أَبِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ، بِلَا فَصْلِ.

وَعَنْ عُمَرَ: أَنَّهُ قَرَأَهُمَا فِي الثَّانِيَةِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ. وَقَرَأَ فِي الْأُولَى: [وَالتَّيْنِ].
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَهْلَكَ الْحَبَشَةَ الَّذِينَ فَصَدُوهُمْ لِيَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَيَتَهَيَّبُوهُمْ زِيَادَةَ تَهَيُّبٍ،

¹ سورة ، الآية .

² سورة ، الآية .

وَيَحْتَرِمُوهُمْ فَضْلَ احْتِرَامٍ، حَتَّى يَنْتَظِمَ لَهُمُ الْأَمْنُ فِي رِحْلَتِهِمْ، فَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ رِحْلَتَانِ، يَرْحَلُونَ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، فَيَمْتَارُونَ وَيَنْجِرُونَ، وَكَانُوا فِي رِحْلَتَيْهِمْ آمِنِينَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَوُلَاةُ بَيْتِهِ، فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُمْ، وَالنَّاسُ غَيْرُهُمْ يُتَخَطَّفُونَ وَيُعَارَى عَلَيْهِمْ، وَالْإِيلَافُ مِنْ قَوْلِكَ: آلَفْتُ الْمَكَانَ أُولَفُهُ إِيْلَافًا: إِذَا آلَفْتُهُ، فَأَنَا مَأْلَفٌ.

قَالَ:

..... مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّهْوِ غَيْرِ الْأَوَارِكِ

وَقُرَيْ: "لِلْإِيلَافِ قُرَيْشٍ"، أَيْ: لِمُؤَلَّفَةِ قُرَيْشٍ. وَقِيلَ: يُقَالُ: آلَفْتُ الْفُلَّ وَالْإِلَافًا. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: "لِلْإِيلَافِ قُرَيْشٍ"، وَقَدْ جَمَعَهُمَا مَنْ قَالَ:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِيْلَفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِيْلَافٌ

وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: "لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إِيْلَفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ". وَقُرَيْشٌ: وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ سُمُّوا بِتَضْعِيرِ الْقُرَشِ: وَهِيَ دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْبَحْرِ تَعْبَثُ بِالسُّفُنِ، وَلَا تُطَاقُ إِلَّا بِالنَّارِ. وَعَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: بِمِ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالَ: بِدَابَّةٍ فِي الْبَحْرِ تَأْكُلُ وَلَا تُؤْكَلُ، وَتَعْلُو وَلَا تُعْلَى.

وَأَنْشَدَ:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ رَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا

وَالْتَضْعِيرُ لِلتَّعْظِيمِ. وَقِيلَ: مِنَ الْقُرَشِ وَهُوَ الْكَسْبُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَسَابِينَ بِتِجَارَاتِهِمْ وَضَرَبَهُمْ فِي الْبِلَادِ. أَطْلَقَ الْإِيلَافَ ثُمَّ أَبْدَلَ عَنْهُ الْمُقَيَّدَ بِالرَّحْلَتَيْنِ، تَفْخِيمًا لِأَمْرِ الْإِيلَافِ، وَتَذَكِيرًا بِعَظَمِ النِّعْمَةِ فِيهِ، وَنَصَبَ الرَّحْلَةَ بِإِيلَافِهِمْ مَفْعُولًا بِهِ، كَمَا نَصَبَ "بَيْتِي" بِ "إِطْعَامٍ"، وَأَرَادَ رِحْلَتِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَأَفْرَدَ لِأَمْنِ الْإِيلَافِ، كَقَوْلِهِ:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ

وَقُرَيْ: "رِحْلَةُ" بِالضَّمِّ: وَهِيَ الْجِهَةُ الَّتِي يُرْحَلُ إِلَيْهَا: وَالتَّنْكِيرُ فِي "جُوعٍ" وَ "خَوْفٍ" لِشِدَّتَيْهِمَا، يَعْنِي: أَطْعَمَهُمُ بِالرَّحْلَتَيْنِ مِنْ جُوعٍ شَدِيدٍ كَانُوا فِيهِ قَبْلَهُمَا، وَأَمْنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ عَظِيمٍ وَهُوَ خَوْفُ أَصْحَابِ الْفِيلِ، أَوْ خَوْفُ التَّخَطُّفِ فِي بِلَدِهِمْ وَمَسَايِرِهِمْ. وَقِيلَ: كَانُوا قَدْ أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيْفَ وَالْعِظَامَ الْمُحْرَقَةَ، وَأَمْنُهُمْ مِنْ خَوْفِ الْجُدَامِ فَلَا يُصِيبُهُمْ

بِإِلْدِهِمْ. وَقِيلَ: ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَمِنْ بَدَعِ التَّفَاسِيرِ: وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، مِنْ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ فِي غَيْرِهِمْ. وَقُرِئَ: مِنْ خَوْفٍ يَخْفَاءِ التُّونِ .
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْإِيلَافِ قُرَيْشٍ] أُعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ طَافَ بِالْكَعْبَةِ وَاعْتَكَفَ بِهَا".

52 - 19

كتاب تفسير الكشاف
الجزء التاسع عشر

64 - 61

محتويات الكتاب

التّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الرّيتونة - III/2 - المنار 2 - تونس - الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: +216 71886914
الفاكس: +216 71886872
العنوان الإلكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرف التّاشر: 9938-02
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 6-070-02-9938-978

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

